جامـــعة الخليـــــــل
كلية الدراســات العلـيا
قسم أصول الدين
التفسـير وعلوم القرآن

السّنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر

Divine rules in Surat Alisra' and Surat Fater

إعداد الطالبة:

ديانا صاحب محمود الصاحب

إشراف الدكتور:

هـــارون كامل محمود الشــرباتي

الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن

قدم هذا البحث استكمالا لنيل درجة الماجستير في أصـول الدين- فرع التفسير

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م

جامـــعة الخليـــــــل
كلية الدراســات العليا
قسم أصول الدين
التفسير وعلوم القران

السّنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر

Divine rules in Surat Alisra' and Surat Fater

إعداد الطالبة:

ديانا صاحب محمود الصاحب

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت يوم السبت 2018/3/10 م

الموافق /22 جمادى الآخرة /١٤٣٩هـ

وكانت لجنة المناقشة مكونة من السادة :

١- الدكتور : هارون كامل الشرياتي.....مشرفاً ورئيساً

٢- الدكتور : محسن الخالدي.....ممتحناً خارجياً

٣- الدكتور : عطية صدقي الأطرش.....ممتحناً داخلياً

عطيـــة صدقي الاطرش

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى أرواح المجاهدين المخلصين

إلى أبي الغالي رزقه الله الصحة والعافية

إلى أمي الحبيبة أدامها الله تاجاً فوق رؤوسنا

إلى زوجي الغالي وأبنائي الأحباء

إلى منْ أحببتهم ، وكانوا معي على طريق النجاح والخير ، أخواتي

وصديقاتي

إلى الموحدين المخلصين في أرجاء المعمورة

إلى كل هؤلاء أهدي جهدي هذا سائلة الله تعالى الإخلاص

والقبول

الشكر والتقدير

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم عليَّ بنعمة العقل والدين، وأصلي وأسلم على حبيب الحق محمد ﷺ القائل: "**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به، فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه**"(١).

وفاءً وتقديراً واعترافاً مني بالجميل أتقدم بجزيل الشكر لأساتذتنا المخلصين في جامعة الخليل الذين لم يألوا جهداً في مساعدتنا على مدار أعوامنا الدراسية ، وأخص بالذكر أساتذة كلية الشريعة وعلى رأسهم الدكتور الفاضل "**هارون كامل الشرباتي**" الذي أسعدني بالإشراف على هذه الرسالة سائلة المولى ﷻ أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وأن يرفع درجاته في الجنة.

كما أتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذيْن الكريمَيْن عُضْوَي لجنة المناقشة **الدكتور**: "**محسن الخالدي**"، **والدكتور**: "**عطية الأطرش**"، لِتفضُّلهما بقَبول مناقشة هذه الرسالة، وتصحيح ما جانَبتُ فيه الصواب، فجزاهما الله عني وعن طلبة العلم كل خير.

ولا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للعم الغالي: فضيلة الاستاذ الدكتور "**محمد عيد الصاحب**"، استاذ الحديث الشريف في الجامعة الأردنية، الذي أرشدني بعلمه وتوجيهاته الرائعة فبارك الله فيه، وجزاه عني كل الخير.

---

١) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السجستاني، (المتوفى: ٢٧٥هـ)، **(سنن أبي داود)**، كتاب الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله،ج١، ص١٠٤، رقم الحديث١٦٧٢، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م. صححه الألباني، محمد ناصر الدين، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،**(صحيح أبي داود)**، ج٥، ص٣٦٣، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

وأخيراً، أتقدم بجزيل شكري إلي كل من مدّ لي يد العون والمساعدة في إخراج هذه الرسالة على أكمل وجه، سائلة الله لهم التوفيق والرِّفعة في الدنيا والآخرة .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ت
فهرس الموضوعات	ج
ملخص البحث باللغة العربية	ذ
ملخص البحث باللغة الانجليزية	ز
مقدمة	ش
الفصل الأول: مقدمات في السُّنن الإلهية	١
المبحث الأول: تعريف السّنن الإلهية	٢
المطلب الأول: تعريف السُنّة الإلهية لغة واصطلاحاً	٢
المطلب الثاني: تعريف السُنّة الإلهية اصطلاحا عند اللغويين	٦
المطلب الثالث: تعريف السّنن الإلهية عند المفسرين	٨
المطلب الرابع: تعريف السّنن الإلهية في الفكر الإسلامي	١١
المبحث الثاني: أهمية السّنن الإلهية، وخصائصها، وآثارها، وعواقب الإعراض عنها	١٦
المطلب الأول: أهمية العلم بالسّنن الإلهية	١٦
المطلب الثاني: خصائص السّنن الإلهية	٢٢

المطلب الثالث: آثار مراعاة السّنن الإلهية وعاقبة الإعراض عنها	٣١
المبحث الثالث: موارد السّنن الإلهية وأساليب القرآن الكريم في بيانها	٣٤
المطلب الأول: موارد السّنن الإلهية في القرآن الكريم	٣٤
المطلب الثاني: صيغ ورود السّنن الإلهية في القرآن الكريم	٤٧
المطلب الثالث: الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في بيان السّنن الإلهية	٥٠
الفصل الثاني: السّنن الإلهية في سورة الإسراء	٦٠
المبحث الأول: بين يدي سورة الإسراء.	٦١
المطلب الأول: اسم السورة، وعدد آياتها	٦١
المطلب الثاني: فضل سورة الإسراء	٦٦
المطلب الثالث: ترتيب سورة الإسراء	٦٦
المطلب الرابع: مكيّ سورة الإسراء ومدنيها	٦٧
المطلب الخامس: مناسبة سورة الإسراء لما قبلها (سورة النحل)، وما بعدها (سورة الكهف)	٦٩
المطلب السادس: موضوعات سورة الإسراء	٧٢
المبحث الثاني: السّنن الإلهية في سورة الإسراء	٧٤
المطلب الأول: سُنّة الله ﷻ في الصراع مع اليهود	٧٥

المطلب الثاني: سُنّة الله ﷻ في بعث الأنبياء وعقاب الأمم الجاحدة	٩٧
المطلب الثالث: سُنّة الله ﷻ في الترف والمترفين	١٠٧
المطلب الرابع: سُنّة الجزاء من جنس العمل	١١٥
المطلب الخامس: سُنّة الله ﷻ في الهداية والضلال	١٢٣
المطلب السادس: سُنّة الاستفزاز	١٣٨
الفصل الثالث : السّنن الإلهية في سورة فاطر	١٥٢
المبحث الأول: بين يدي سورة فاطر	١٥٢
المطلب الأول: اسم السورة، وعدد آياتها.	١٥٣
المطلب الثاني: ترتيب سورة فاطر	١٥٤
المطلب الثالث: مكي سورة فاطر ومدنيها	١٥٥
المطلب الرابع: مناسبة سورة فاطر لما قبلها (سورة سبأ)، وما بعدها (سورة يس).	١٥٦
المطلب الخامس: موضوعات سورة فاطر	١٥٦
المبحث الثاني: السّنن الالهية في سورة فاطر	١٥٩
المطلب الأول: سُنّة الله ﷻ في استدراج الماكرين	١٥٩
المطلب الثاني: سُنّة الله ﷻ في الزيادة	١٧٩
المطلب الثالث: سُنّة الله ﷻ في النعم	١٨٦
الخاتمة	١٩٥

مسرد الآيات القرآنية	١٩٨
مسرد الأحاديث	٢١٦
مسرد الكلمات الغريبة	٢١٧
مسرد الأعلام	٢٢٠
قائمة المصادر والمراجع	٢٢٢

ملخص البحث

السنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد :

هذا البحث موسوم ب "**السّنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر**"، اشتمل على مجموعة من الأهداف والنتائج والتوصيات، أما أهم أهدافه فهو الوقوف على السّنن الإلهية في القرآن الكريم، من خلال دراسة السورتين موضوع البحث؛ وفي سياق ذلك سعيت لجمع أكبر قدر ممكن من الأدلة القرآنية وتأويلاتها، من خلال الترحال في التفاسير الأصيلة والمعاصرة وبخاصّة تلك التي تدور في فلك سورتي الإسراء وفاطر – محل الدراسة –.

اشتملت الرسالة على مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة.

كانت بداية الرسالة بمثابة التأصيل لموضوع السّنن الإلهية، وتوضيح لهذه السّنن، من خلال إلقاء نظرة حول السّنن الإلهية، حيث قمت بتعريف السُّنن عند علماء اللغة وأهل التفسير وعلماء الفكر الإسلامي، ثمّ عرّجت للحديث عن أهمية السّنن الإلهية وخصائصها، ووضحت عواقب الإعراض عنها، وأخيراً، ألقَيْت نظرة على موارد السّنن الإلهية وصيغ ورودها في القرآن الكريم إضافة لأساليب القرآن الكريم في بيانها

انتقلت بعدها للترحال بين يدي سورة الإسراء، ثمّ دراسة أهم السّنن الإلهية التي تزخر بها هذه السورة، من خلال استعراض سُنّة الله ﷻ في الصراع مع اليهود، وسنّته تعالى في بعث

الأنبياء وعقاب الأمم الجاحدة، وسُنّة الله ﷻ في الترف والمترفين، وسُنّة الجزاء من جنس العمل وسنّته ﷻ في الهداية والضلال، وأخيرا سُنّة الاستفزاز.

ثم ارتحلت بين يدي سورة فاطر، فتَتَبَّعت بعض السّنن الإلهية التي تضمنتها هذه السورة مثل: سُنّة الله ﷻ في استدراج الماكرين، وبعدها سُنّة الله ﷻ في الزيادة، وأخيرا سُنّة الله ﷻ في النعم.

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي تَوصّلْت إليها كباحثة، ومن أهمها أن الله تعالى خلق البشر، وسخر لهم الكون بما فيه وبيّن لهم سنناً إلهية دقيقة، ينبغي على كل مسلم أن يفهمها، لأنها بمثابة معالم في طريق النَّجاح والنَّهضة والإبداع من جهة، وشاخصاتٍ تحذيريَّة من الهلاك والفشل والانزلاق من جهة أخرى، وفي دراستها واستيعابها بصورة صحيحة من قِبل أفراد الأمة الإسلامية أهمية عظيمة؛ لأن ذلك سوف يعين على أخذ العِبر، ووضع حد للجرأة على حدود الله وحرماته، إضافة إلى تميُّز سورة الإسراء بسُنن منفردة لم ترد في غيرها من السور ووجود سُنن مشتركة بين سورتي الإسراء وفاطر.

Abstract

The Divine Rules in Surat Al-Isra' and Surat Fater.

All praise due to Allah, the Cherisher of the world, and peace and blessing be upon the Prophet of Allah, on his family and all his companions.

This research, entitled "The Rules in Surat Al-Isra' and Surat Fater ", contains a set of objectives, results and recommendations. One of the most important objectives of this study is to identify the divine rules in the Holy Quran through studying the two Suras. In this context, I sought to gather as much of the Qur'anic evidence and their interpretations as possible through reading and studying the original and contemporary interpretations, especially those related to both Surat Al Isra' and Fater, the subject of this study.

The thesis includes an introduction, three chapters and a conclusion.

The first chapter consist of a definition and clarification of the divine rules; starting with the definition of the divine rules among the linguists, interpreters and the researchers of Islamic studies. Then, the importance of the divine Rules is clarified, their characteristics, and the consequences of keeping off of this rules. Finally, the sources of the divine Rules is explained, its forms and declaration in the Holy Quran.

As for the second chapter, it studies the most important rules in Surat Al-Isra' by reviewing God's rules in the conflict with the Jews, his rules in the resurrection of the Prophets, the punishment of the disbelievers, the rule of the "Rewards depend on the kind of deed", provocation rule and the rule of guidance and error.

The third chapter studies the most important rules in Surat Fater like the rule of cheating and cheaters, the rule of growth and blessings.

As for the conclusion, it includes the most important findings for me as a researcher, and then comes the recommendations.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزلَ على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد ﷺ، الذي بلّغ الأمانة، وأدّى الرسالة، ونصحَ الأمة، فزالَ الضلالُ وأشرقَ الهدى، وعلى آله وأصحابه أنصار الحقِّ وحَمَلَةِ الدين، والعلماءِ العاملين من المفسِّرين والفقهاء، والمحدّثين، إلى أن يقوم الناسُ لرب العالمين، وبعد:

فإنَّ خيرَ ما قُطِعَ به الوقت، وشُغِلَتْ به النفس، فتُقُرِّبَ بهِ إلى الربِّ –جلتْ عظمتُه– طلبُ علمٍ أخرجَ مِنْ ظلمة الجهل إلى نور الشرع، وذاك الذي شغلتُ به نفسي، وقطعتُ به وقتي[1]، فلله الحمد والمنّة.

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق، وتكفّل بهم، وسيّر أمورهم، وأخضعهم لقوانينَ ثابتة وسنن إلهية، تحكم تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم، وما حلّ بالأمة المسلمة اليوم وعبر العصور من خطوب، وما تعرضت له من انكسارات وهزائم، لم يكن محض صدفة ولا من قبيل العبثية، وإنما جزاءً وفاقاً لمخالفتها للسنن الإلهية، وعدم الأخذ بها، وعدم تدبرها، وعدم العمل بها.

والناظر في حياة المسلمين يجد أن معظم المسلمين صرفوا جُلّ اهتمامهم لحفظ القرآن الكريم وتلاوته، لكنها تلاوة من غير تدبر، ولا وقوف عند سنن الله تعالى ونواميسه، فيما نجد

---

١) ابن عقيل، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، **(كتاب الفنون)**، تحقيق: جورج المقدسي دار المشرق، بيروت – عام ١٩٧٠م، تصوير: مكتبة لينة للنشر والتوزيع، دمنهور – عام ١٩٩١م.

طائفة أخرى من الناس ينتظرون نصراً خارقاً للعادة دون الأخذ بسنن الله ﷻ، وما ذلك إلا لأنّهم قرأوا القرآن بقصد التّبرك فحسب، لا بقصد التدبّر لسُننه وقوانينه.

وقد أدرك علماؤنا أهمية السّنن الإلهية؛ والتي يمكن من خلالها استشراف المستقبل بالنظر إلى أن هذه السّنن ثابتة ومطردة لا تحابي أحداً، ولا تتخلف عن مسيرها إلا وفق علم الله تعالى وحُكمه وحِكمته، ولذلك دعا العلماء إلى تكاتف الجهود لدراسة هذه السّنن وإخراجها في علم خاص له أبوابه وفروعه، وذلك لِما لهذه السّنن الإلهية من أهمية في قراءة الحاضر واستشراف المستقبل.

لذا؛ جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ (السّنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر)؛ لتلقي الضَّوْء على أهمية تدبّر السّنن الإلهية في القرآن الكريم، وبيان أثرها في حياة الأمة، ولمساعدة المسلم على التفكير في السّنن الإلهية، ومعالجة السطحية والغفلة التي يقع فيها عند التعامل مع الوقائع والأحداث.

موضوع البحث:

يتناول البحث دراسة آيات سورتي الإسراء وفاطر دراسة تحليلية، واستنباطَ السّنن الإلهية التي تضمنتها، وبيانَ أثر هذه السّنن في الواقع المعاصر، وتصحيحَ المفاهيم المغلوطة لدى بعض الناس، من أن ما يقع في هذا العالم من حوادثَ ومجرياتٍ إنما يقع صدفة أو خبط عشواء؛ وبيان أن كلّ ما يقع إنما هو وفق سنن إلهية ثابتة لا تحيد ولا تميل، ولا يخرج عن مقتضاها شيء.

سبب اختيار الموضوع:

كان الباعثُ وراء اختياري لهذا الموضوع أموراً عدّة أهمها:

١. الرغبة القوية في دراسة موضوع السّنن الإلهية، باعتبارها موضوعاً بكراً بالنسبة لعلوم التفسير، لذلك رأيت أنه من واجبي سد ثغرة من ثغرات هذا العلم، وإظهار مكنونات هذا العلم الذي يزخر به القرآن الكريم، من خلال بيان بعض السّنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر .

٢. عظيم فائدة فقه السّنن الإلهية والحاجةُ إليه، مع ضرورة الاعتبار بما يقع من مصائر البشر، ذلك أن الله أمر بالسَّير في الأرض، والنظر في وقائع القرون الخالية، وسنن الأمم الماضية، ومعرفة أخبارهم وأحوالهم، والاتّعاظ بكل ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:١٣٧)، فإذا حصل السيرُ في الأرض، حِسًّا ومعنًى، فقد حصل الاعتبارُ بالوقائع والأخبار.

٣. إن دراسة السّنن نوع من تدبر القرآن المأمور به في قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ (محمد:٢٤).

٤. نقص الدراسات والبحوث التي تتناول السّنن الإلهية، فهذا الموضوع لم يُوَفَّ قدرَه من العناية والاهتمام، ولم يُعطَ حقَّهُ من البحث والدراسة، فكان ما كتبه العلماء والدارسون في ذلك قليل؛ مما يَستوْجب الاجتهاد في بيان السّنن الإلهية والكشف عن معانيها وحقائقها.

٥. الإسهام في نشر الدراسات القرآنية، وبيان أثر هذه السّنن، ليعتبر الناس بها ويستفيدوا منها بإذن الله ﷻ.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١. لفت أنظار المسلمين إلى أهمية مفهوم السّنن الإلهية، وزيادة الوعي بها، حتى يتخلصوا من الفوضى الفكرية والعلمية التي يتخبط فيها كثير منهم، وهم يواجهون واقعاً معقداً لا سبيل إلى التغلب عليه إلا بالالتزام بدين الله وشريعته.

٢. إدراك سنن الله تعالى في الكون والمجتمع والإنسان، تمهيداً لتسخيرها، والعمل بمقتضاها، حتى يعود المسلمون من جديد خير أمة أخرجت للناس.

٣. التعريف بالسّنن الإلهية التي تضمنتها سورتا الإسراء وفاطر.

٤. تقديم رؤية جديدة في تناول السّنن القرآنية، والاعتناء بمعرفة سنن الله تعالى وفقهها لأنّها من الدّين الذي بيّنه الله في كتابه حيث قال الله تعالى:﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾(النحل: ٨٩).

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من خلال النقاط الآتية:

١. تحقيق الأهداف السّابقة الذِّكر.

٢. إذكاء روح التّدبر والفهم الواعي للقرآن الكريم.

٣. إلقاء الضَّوْء على أهمية تدبّر السّنن الإلهية في القرآن الكريم، وبيان أثرها في حياة الأمة، ومساعدة المسلم على التفكير في السّنن الإلهية، ومعالجة السطحية والغفلة التي يقع فيها عند التعامل مع الوقائع والأحداث.

٤. التذكير بموضوع السّنن الإلهية التي يجهلها الكثيرون من خلال دراسة سورتي الإسراء وفاطر.

٥. الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية بمادة جديدة في موضوع السّنن الإلهية.

حدود البحث:

اقتصر البحث على إبراز بعض السّنن الإلهية التي تضمنتها كل من سورتي الإسراء وفاطر ودراستهما دراسة تحليلية، دون التعرض لغيرها من سور القرآن الكريم، وقد كان السبب وراء اختياري لهاتين السورتين، أن كلا السورتين مكية النزول، واشتملتا على كثير من السّنن الإلهية التي سأحاول استنباطها بإذن الله تعالى.

الدراسات السابقة:

بعد الترحال في الكتب المطبوعة، والشبكة العنكبوتية، تبين لي، حسب ما اطّلعت عليه أن موضوعي لم يبحث من قبل، فالبحث عن السّنن الإلهية في سورة من سور القرآن الكريم لم يتطرق إليه باحث، وإنما كانت جميع الرسائل التي وجدتها تتحدث عن السّنن الإلهية بشكل عام أو تبحث في واحدة منها، ومن هنا يظهر وجه الجِدة في بحثي هذا.

أما أهم الرسائل والكتب التي تحدثت عن السّنن الالهية بشكل عام فهي:

١. رسالة علمية بعنوان "**السّنن الإلهية في الحياة الإنسانية، وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك**"؛ د. شريف الخطيب، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه تَحدَّثتْ عن السُنّة الإلهية: مفهومُها، وخصائصها، وعلاقتها بالأسباب والقدر، ثم تَطَرَّقتْ لذكر السّنن الإلهية في الحياة الإنسانية، مثل سُنّة الله في الابتلاء، والتمحيص، وسُنّة الله في الرخاء والشدة وسُنّة الله في التغيير، وسُنّة الله في التدافع..... وغيرها، وأخيراً تحدثَت الرسالة عن سُنّة

الله في عقاب الأمة الإسلامية إذا حادَت عن منهجه سبحانه وتعالى، وكشفت أسباب هذا العقاب.

٢. رسالة بعنوان "**السّنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعاً ودراسة** "وهي عبارة عن رسالة ماجستير قدمت الى كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، من قبل الطالب أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، عام ١٤٢٨هـ تحدث فيها الباحث عن أساليب السّنن الإلهية وخصائصها ووُرودها في القرآن الكريم وكيفية الاستفادة منها في التغيير، ثم عمد الباحث إلى عرض السّنن الإلهية في الهدى والضلال، والنصر والهزيمة، والأمن والخوف، والرزق، وأخيرا سُنّة الله في السعادة والشقاوة.

٣. رسالة علمية بعنوان "**السّنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط**"، وهي رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس كتبها مجدي محمد عاشور عام ٢٠٠٦م، هدفت الدراسة إلى بيان جانبين من جوانب السّنن الإلهية:

الجانب الأول: الجانب النظري في دراسة السّنن الإلهية، حيث هدف إلى توضيح تعريف السّنن الإلهية وأقسامها والفارق بين السّنن الكونية والاجتماعية وموارد استخراج السّنن وضوابطها.

الجانب الثاني: الجانب التطبيقي للسنن الإلهية: حيث هدف إلى توضيح سُنّة الله في الأسباب والمسببات، وسُنّة الله فيما يتعلق بفكرة الجزاء من جنس العمل، وسُنّة الله في الابتلاء والفتنة، وسُنّة الله في النصر والتمكين، وسُنّة الله في هلاك الأمم .

٤. رسالة بعنوان "**سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم**" وهي عبارة عن رسالة جامعية قدمت للحصول على درجة الدكتوراه، تقدم بها الباحث حسن بن صالح الحميد لكلية التربية بجامعة الملك سعود عام ١٤١٤هـ، وقف فيها الباحث وقفات موفقة مع سنن الله في الأمم، وذلك من خلال الآيات القرآنية، فتناول فيها التعريف بعنوان الدراسة وأهم الفروق بين سُنن الله في الكون المادي وسُننه في الحياة الإنسانية، وكذلك أهم الفروق بين سُنن الله في الأمم وسُننه في الأفراد، ثم ابتدأ بالحديث عن خصائص سُنن الله في الأمم، ومنهج القرآن في عرضها، ثم تحدث عن مجالات سنن الله في الأمم كالحماية والوقاية والابتلاء والتمحيص، وغيرها، ثم عرج إلى ذكر آثار رعاية هذه السّنن وعواقب الإعراض عنها، وختم ذلك بالحديث عن فقه هذه السّنن.

٥. كتاب "**السّنن الإلهية في السيرة النبوية**" للدكتور رشيد كهوس، تناول فيه السّنن الإلهية في السيرة النبوية في عهديها المكي والمدني، حيث خصص الباب الأول للحديث عن ماهية سُنّة الله وأهميتها وخصائصها وقواعدها، وطرائق استنباطها، وسنن الله في الفترة المكية من البعثة.

أما الباب الثاني: فقد خصصه لسنن الله في الفترة المدنية، وهو يضم مجموعة من السّنن.

٦. كتاب "**السّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**" للدكتور عبد الكريم زيدان، كتاب قيم جمعه الدكتور زيدان على هيئة فصول وعناوين من الكتاب والسُنّة، وضَّح فيه سُنّة الله في خلقه لتدبرها والعمل بها، حيث تناول الكاتب سنن الله المتعلقة بسلوك البشر وأفعالهم في الدنيا وما يترتب عليها من نتائج في الدنيا والآخرة

مثل: سنن الله في الأسباب والمسببات، سنن الله في الهدى والضلال، سنن الله في الظلم والظالمين، سنن الله في التدافع بين الحق والباطل، سُنّة الله في الفتنة والابتلاء.....الخ.

وهناك الكثير من الرسائل العلمية التي قدمت لنيل درجات علمية في موضوع السّنن الإلهية، ولكنها اقتصرت على سُنّة من السّنن الإلهية، ومنها:

١. "**السّنن الإلهية في التغيير دراسة موضوعية**" مقدمة من قبل الطالب محمود أحمد مرزوق إبراهيم لنيل درجة الماجستير، جامعة الأزهر، مصر.

٢. "**السّنن الإلهية في هلاك الأمم السابقة في القرآن الكريم**" مقدمة من قبل الطالب سليمان حيدر محمد، لنَيل درجة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية السودان.

٣. "**سنن التغيير التاريخي في القرآن الكريم**" مقدمة من قبل الطالب أحمد الشاكر دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.

٤. "**السّنن الحضارية لبناء الأمم وانهيارها من خلال القرآن والسُنّة النبوية**" مقدمة من الطالب إبراهيم رضا لنيل درجة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس، الرباط المغرب.

٥. "**سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها**" مقدمة من الطالب محمد هيشور لنيل درجة الماجستير، جامعة عين شمس القاهرة، مصر؛ (طبعت ضمن منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي).

٦. "**سنن الله الثابتة في الكون والإنسان**" مقدمة من الطالب فايز حسان سليمان أبو عمرة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

٧. "**سُنّة الإملاء والإمهال في القرآن الكريم**" مقدمة من الطالبة مشاعل بنت سعد الحقباني لنيل درجة الماجستير، جامعة الملك سعود، السعودية.

٨. "**سُنّة التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم**" مقدمة من الطالب محمد الصرايرة، لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

٩. " **سُنّة التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم**" مقدمة من الطالب كامل محمود شرباتي، لنيل درجة ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

ولا بد أن اشير إلى أنني لم أتمكن من الحصول على أيّ من هذه الرسائل ، لا مطبوعة ولا على الشبكة العنكبوتية .

تبين لي من خلال استعراض الدراسات السابقة، أن الباحثين قاموا بدراسة السّنن الإلهية بشكل عام، أو أنهم قاموا بدراسة إحدى السّنن الالهية؛ كسنن التدافع بين الحق والباطل، أو سنن الإمهال، أو سُنّة الله في الأمم السابقة وغيرها؛ أما بالنسبة لدراسة السّنن الإلهية في سور القرآن الكريم، فلم أجد أي رسالة تتحدث عن ذلك، وعليه فالجديد الذي أصبو إليه من هذه الدراسة، هو إبراز السّنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر، ومعرفة إن كان هناك سنن مشتركة بين السورتين، أو أن كلّ سورة اشتملت على سنن خاصة بها، وهذا هو وجه الجدة في بحثي.

منهج البحث:

لتحقيق أهداف البحث سلكت في بسط فصوله ومسائله منهجا علميا قائما على الاستقراء للنصوص القرآنية الواردة في سورتي الإسراء وفاطر –موضوع البحث–، وقد استعنت بالمنهج التحليلي والاستنباطي، كما هو الحال في معظم الدراسات القرآنية.

خطوات البحث:

١- قراءة سورتي الإسراء وفاطر قراءة متدبرة، وتتبع واستقراء السّنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر، من خلال جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر السّنن والمتعلقة بموضوع البحث، ووضع كل آية تحت العنوان المناسب لها، مع تفسير هذه الآيات من كتب التفسير كلما دعت الحاجة لذلك.

٢- عزو الآيات القرآنية التي وردت في هذا البحث إلى سورها، ذاكرة اسم السورة مع رقم الآية في متن الرسالة، مستخدِمة علامة تنصيص خاصة بذلك؛ وهي القوسان المزهران.

٣- الاستعانة بكتب التفاسير والكتب الخاصة ببحث السّنن الإلهية، للحصول على المعلومات المطلوبة من أمهات الكتب، مع التزام الأمانة العلمية في النقل.

٤- تخريج الأحاديث النبوية، فما كان من في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما أو أحدهما، وإن كان الحديث في غيرهما من كتب السّنن فأخرجه، مع نقل الحكم عليه بالرجوع إلى كتب علماء الحديث المحققين، مستخدمة الأقواس "....."؛ لتكون علامة لقول الرسولﷺ.

٥- ما يتعلق بكتابة بيانات المصادر والمراجع:

- ❖ عندما أورد المصدر أو المرجع لأول مرة، أذكر معلومات الكتاب كاملة، وذلك بذكر اسم المؤلف أولا، ثم عنوان الكتاب، ثم أذكر الجزء بالرمز(ج) إذا كان للكتاب أجزاء، والصفحة (ص)، يليه مكان النشر ثم رقم الطبعة إن وجد، ثم تاريخ النشر الهجري والميلادي
- ❖ الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة عدا الخلفاء الراشدين

❖ بيان معاني المفردات والمصطلحات الغريبة والصعبة من مظانها.

❖ وضع فهرس مفصل للموضوعات في بداية الرسالة.

❖ إعداد المسارد اللازمة للرسالة، وذلك لتسهيل الوصول إلى المطلوب وتشمل:

مسرد الآيات الكريمة حسب ترتيب السّور في المصحف.

مسرد الأحاديث النبوية الواردة في الرسالة مرتبة ترتيباً هجائياً.

مسرد الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة مرتبة ترتيباً هجائياً.

مسرد الكلمات الغريبة التي وردت في الرسالة مرتبة ترتيباً هجائياً.

قائمة المصادر والمراجع مرتبة ترتيباً هجائياً، حسب اسم الشهرة للمؤلف.

محتوى البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

- **مقدمة** وفيها: موضوع البحث، سبب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، وأهميته، وحدوده، تناولت بعدها ما جاء من دراسات سابقة لموضوع البحث، ثم انتقلت للحديث عن منهجي في البحث، وأخيراً خطوات البحث.

أما الفصول فقد جاءت على النحو الآتي:

- **الفصل الأول: مقدمات في السنن الإلهية "**

وفيه ثلاثة مباحث:

✓ المبحث الأول: تعريف السّنن الإلهية.

✓ المبحث الثاني: أهمية السّنن الإلهية وخصائصها وعواقب الإعراض عنها

✓ المبحث الثالث: موارد السّنن الإلهية وأساليب القرآن الكريم في بيانها

- **الفصل الثاني: السّنن الإلهية في سورة الإسراء**

وفيه مبحثان:

- ✓ المبحث الأول: بين يدي سورة الإسراء
- ✓ المبحث الثاني: السّنن الإلهية في سورة الإسراء

- **الفصل الثالث السّنن الإلهية في سورة فاطر**

وفيه مبحثان:.

- ✓ المبحث الأول: بين يدي سورة فاطر
- ✓ المبحث الثاني: السّنن الإلهية في سورة فاطر

- **الخاتمة:** تضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي توصلْت إليها في بحثي هذا، إضافة إلى مسرد خاص بالآيات، والأحاديث، والكلمات الغريبة، والأعلام والمراجع.

وأخيرا فقد كانت هذه نهاية رحلتي في جنبات سورة "الإسراء وفاطر" سعيت فيها للارتقاء بالأفكار في موضوع البحث، راجية الله ﷻ أن أجد في سعةِ صدركم مغفرة لأخطائي، وأن ينال البحث القبول ويلقى الاستحسان، فما هذا إلا جهد مقل ولا أدعي فيه الكمال، فما كان من صواب فبتوفيق من الله تعالى وما كان من خطأ فمني، مع سروري بشرف المحاولة والتعلم.

ولا يسعني إلا أن استذكر قول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني:" وإنِّي رأيتُ أنَّه لا يكتُبُ إنسانٌ كتابًا في يومِه؛ إلاَّ قالَ في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسنَ، ولو زِيدَ كذا لكان يُستَحسَنُ،

ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجملَ، وهذا مِنْ أعظَمِ العِبَرِ، وهو دليلٌ علَى استيلاءِ النَّقصِ علَى جُملةِ البَشَرِ."[1]

والحمد لله الذي هداني ووفقني لهذا، وصلّ اللّهم على شفيعنا وقرة عيننا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

---

١) القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي،(المتوفى: ١٣٠٧هـ)، **(أبجد العلوم)** ص٥٢، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م

الفصل الأول

مقدمات في السُّنن الإلـهية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف السّنن الإلـهية.

المبحث الثاني: أهمية السّنن الإلـهية وخصائصها وعواقب الإعراض عنـها.

المبحث الثالث: موارد السّنن الإلـهية وأساليب القرآن الكريم في بيانـها.

المبحث الأول

تعريف السّنن الإلهية

من سنن التأليف وأعرافه أنه لا بدّ من التعريف بالمعنى اللّغوي والاصطلاحي لعنوان البحث، لذا رأيتُ أن استهِلَّ فصول هذه الرسالة ومباحثها بالتعريف بمعنى السُّنَّة لغة واصطلاحاً ثم توضيح معنى الإلهية، وأخيراً تعريف السّنن الإلهية كمصطلح، وبعد ذلك انتقِل للحديث عن معنى السّنن الإلهية عند كل من السّادة المفسرين، وعلماء الفكر الإسلامي، وذلك ضمن المطالب الأربعة الآتية:

المطلب الأول: تعريف السّنّة الإلهية لغة واصطلاحاً:

يرتبط كل مصطلح بمعناه اللغوي ارتباطاً وثيقاً، لذلك يَحسُن البدء بالمعنى اللغوي للسُّنَّة وذلك لمعرفة معناها، وربطه بمفهومها الاصطلاحي.

أ- تعريف السّنّة لغة:

كلمة (سنّة) مشتقة من الفعل (سَنّ) بفتح السين وتشديد النون، أو من (سنن) بفك تشديد النون وقد عرّفها علماء اللغة بأنها: الطّريقة، وفلان على السُّنَّة أي على الطّريقة[1]، وذهب صاحب معجم مقاييس اللغة إلى أن: "السين والنون أصلٌ واحد مطرد، وهو جريَان الشيء وإطرادُهُ في سهولة، والأصل قولهم سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أَسُنُّهُ سَنَّاً، إذا أرسلتَه إرسالاً. ثمَّ اشتُقَّ منه رجل مسنون الوجه، كأنَّ اللحم قد سُنَّ على وجهه. والحَمَأُ المسنون من ذلك، كأنه قد صُبَّ صَبّاً

---

١) ينظر: الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، (المتوفى: ٣١١هـ)، **(معاني القرآن وإعرابه)**، ج١، ص٤٧٠، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

ومما اشتق منه السُّنة، وهي السيرة."[١] وسننت التراب أي: صببته على وجه الأرض صبّاً سهلاً، ومنه ما وصى به عمرو بن العاص[٢] أولاده حين أتته الوفاة فقال: "فسنّوا علي التراب سنّا"[٣] أما صاحب تهذيب اللغة فيقول: "سنّ فلان طريقاً من الخير يسُنّه؛ إذا ابتدأ أمراً من البِر لم يعرفه قومه، فاستنّوا به وسلكوه"[٤].

وذهب صاحب لسان العرب إلى القول إن:"السّنّة: "السِّيرة حسنة كانت أَو قَبيحَة"[٥]، ويقول آخرون: السُّنة: الطّريقة، وَلَو غير مرضية[٦].

---

١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، (**معجم مقاييس اللغة**)، ج٣، ص٦٠ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد، يكنى أبا عبد الله، أسلم بأرض الحبشة، ثم قدم المدينة مهاجراً سنة ثمان من الهجرة، واستعملهﷺ على غزوة ذات السلاسل، وبعثه يوم فتح مكة لهدم صنم هذيل فتح مصر في ولاية عمرﷺ، توفي فيها سنة ثلاث وأربعين. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، (المتوفى: ٢٣٠هـ)، (**الطبقات الكبرى**)، ج٧، ص٤٩٣، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

٣) المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، (المتوفى: ٦٥٦هـ)، (**مختصر صحيح مسلم**)، كتاب الإيمان، باب الإسلام يهدم ما قبله، ج١، ص٢٢، رقم الحديث ٦٢، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٤) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، (**تهذيب اللغة**)، ج١٢، ص٢١٠ تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٥) ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي، (المتوفى: ٧١١هـ)، (**لسان العرب**)، ج١٣ ص٢٢٥، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٦) السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (المتوفى: ٧٥٦هـ)، (**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**)، ج٣، ص٣٩٩، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (المتوفى: ٨١٦هـ)، (**كتاب التعريفات**)، ج١، ص١٢٢ تحقيق وضبط جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

وفي الحديث الذي رواه جرير بن عبد الله[١] ﷺ عن الرسول ﷺ:"**من سنّ في الإسلام سُنّة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**"[٢]

وسَنَّ الله أَحكامه للناس: بَيَّنَها، وسَنَّ الله سُنَّةً: أي بَيَّن طريقا قَويماً[٣].

وتستعمل"السّنن"في كل شيء يراد به القصد[٤]، قال الشاعر:

نبني على سَنَنِ العدو بيوتَنَا... لا نستجيرُ ولا نَحُلُّ حريدا[٥] [٦].

بعد الاطلاع والبحث في تعريفات اللغويين يمكن استخلاص ما يلي:

- ❖ لفظ (سنّ) يُلمَح منه معنى الاطراد وجريان الشيء بيسر وسهولة ودون تكلف.
- ❖ السّنّة هي الطّريقة التي يتبعها الإنسان سواء كانت حسنة أو سيئة، مرضية أو غير مرضية.

---

١) جرير بن عبد الله البَجلِيّ الأحمسي اليمني وفد على رسول الله ﷺ فأسلم في رمضان قبل موت النبيﷺ بأربعين يوما وكان مليح الصورة طويلا، قال عمر: جرير يوسف هذه الأمة، روى عنه أنس بن مالك والشعبي وغيرهم، وروى له أصحاب الكتب الستة، نزل الكوفة وسكنها، ثم انتقل إلى قرقيسيا ومات بها سنة إحدى وخمسين وقيل سنة أربع وخمسين. ينظر: الصفدي، (**الوافي بالوفيات**)، ج١١، ص٥٨.

٢) مسلم، أبو الحسن ابن الحجاج النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ)، (**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ**)، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، ج٢، ص٧٠٤، رقم الحديث، ١٠١٧، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣) الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، (**تاج العروس من جواهر القاموس**)، ج٣٥، ص٢٢٨، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (المتوفى: ٣٢٨هـ)، (**الزاهر في معاني كلمات الناس**)، ج٢ ص٣٣٩، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٥) "حَرَدَ يَحْرِدُ حُروداً: أَي تَنحَّى وَتحَوَّل عن قومه وَنَزل مُنْفَردا لم يخالطهم". ينظر: ابن منظور، (**لسان العرب**)، ج٣، ص١٤٥.

٦) جرير، (**ديوان جرير**)، ص١٣٥، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

❖ السّنّة هي كل ما يفعل ابتداءً وعن قصد حسناً كان أم سيئاً.

ب- **تعريف"الإلهية" لغة:**

حتى يتضح مفهوم السّنن الإلهية كمركب، لا بدّ من بيان المقصود من لفظ (الإلهية) الذي وصفت به السّنن، والناظر في معاجم اللغة يجد أن لفظ الإلهية مشتق من"أله"، وهي منسوبة إلى الله ﷻ بياء النسبة، والهمزة واللام والهاء أصل واحد، وأله يأله إذا تحير، أَلَهَ إِلاهَةً وأُلوهَةً وأُلوهيَّةً: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، فالإله هو الله ﷻ، وسمي بذلك لأنه معبود وكل ما عُبد من دون الله ﷻ هو إله عند متّخِذه، وجّمْعها آلهة وهي الأصنام، وسمّوا بآلهة لاعتقاد مُتّخذيهم أنّهم يستحقّون العبادة[1] .

يتضح من التعريفات السّابقة أن ما عبد بحق فهو الله ﷻ، وما اتخذ معبوداً من دون الله فهو"إله" كما في قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، إذَن الإلهية كل ما نُسِب لله سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: تعريف السّنّة الإلهية اصطلاحاً عند اللغويين.

للعلماء رحمهم الله اصطلاحاتهم الخاصة في تعريف السّنّة بحسب الأغراض التي عُنِيَتْ بها كل طائفة منهم، فتعريف السّنّة في اصطلاح الأصوليين يختلف عن تعريفها عند أهل الفقه

---

١) ينظر: الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد،(المتوفى: ٣٠٣هـ)، **(تاج اللغة وصحاح العربية)**، ج٦، ص٢٢٢٣، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م. ابن فارس، **(معجم مقاييس اللغة)**، ج١، ص١٢٧. ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١٣، ص٤٦٧. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (المتوفى: ٨١٧هـ)، **(القاموس المحيط)**، ج١ ص١٢٤٢، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

وعنه في اصطلاح أهل الحديث، والذي يهمّنا من ذلك هو التّعريف الاصطلاحي عند اللغويين إذ هو أقرب إلى المقصود بالسّنن الإلهية في القرآن الكريم، ورغم استفاضة اللغويين في تعريف السّنّة، إلا أنه قلّما يجد الباحث تعريفاً للسنّة مّسندة لله سبحانه، ولذلك يمكن موافقَة القائلين إنّ التناول المعجمي للسنن الإلهية شديد الإيجاز[١]، أي أن معاجم اللغة تكاد تخلو من تعريف السّنّة الإلهية كمركب.

ومع الإيجاز في تعريف السّنن الإلهية، إلا أن كتب اللغة لا تخلو من بعض التعريفات قال صاحب تهذيب اللغة:"سنّة الله:حكمه وأمره ونهيه"[٢].

أما معجم ألفاظ القرآن فعرفها: "سُن الشيء– بالبناء للمجهول– صُبَّ في قالب، وسنّة الله: ما جرى به نظامه في خلقه".[٣]

المطلب الثالث: تعريف السّنن الإلهية عند المفسرين.

إذا كان اللغويون قد عرّفوا السّنّة بأنها الطّريقة والسيرة والمنهج، وعُرّفت اصطلاحاً بأنها حكمة الله ﷻ وقانونه وطريقة طاعته، فإن أقوال المفسرين لا تبتعد كثيراً عن هذا التعريف والباحث في تراثنا التفسيري يجد الكثير من آراء المفسرين في تفسير الآيات القرآنية التي ورد فيها

---

١) مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، **(الموسوعة القرآنية المتخصصة)**، ص٨١٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٢) الأزهري، **(تهذيب اللغة)**، ج١٢، ص٢١٣.

٣) مجمع اللغة العربية، **(معجم ألفاظ القرآن الكريم)**، ج١، ص٦٠١، القاهرة – مصر، الطبعة: الثانية ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٨م.

لفظ (السّنّة)، ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(آل عمران: ١٣٧)، فقد جاء في تفسير الإمام الطبري[١] بأنها:

مَثُلات[٢] سير بها في الأمم السابقة التي كذّبت من أُرسِل إليهم من الأنبياء والرسل بإمهال الله ﷻ أهل التكذيب واستدراجهم، حتى إذا بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجَّله لإدالة[٣] أنبيائهم وأهل الإيمان عليهم حلّت بهم عقوبة الله تعالى ونقمته فتركهم مثلاً وعبرةً لمن بعدهم من الأمم[٤]. وعرفها الراغب الأصفهاني[٥] فقال:

---

١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، المؤرّخ المفسِّر، ولد سنة (٢٢٤هـ)، واستوطن بغداد، وتوفي بها. جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله ﷻ عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، عارفاً بأقوال الصّحابة والتّابعين، له كتاب تاريخ الأمم والملوك وكتاب جامع البيان في تأويل آي القرآن في التفسير وغيرها، توفي سنة (٣١٠هـ). ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد، (المتوفى: ٤٦٣هـ)، **(تاريخ بغداد)**، ج٢ ص٥٤٨، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٢) المثلة، بفتح الميم وضم الثاء، العقوبة، والجمع المثلات.ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١١ ص٦١٥.

٣) الإدالة: الغلبة ؛ يقال: اللهم أدلني على فلان وانصرني عليه. ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)** ج١١ ص٢٥٢.

٤) ينظر: الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، (المتوفى: ٣١٠هـ)، **(جامع البيان في تأويل آي القرآن)**، ج٧، ص٢٢٨، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٥) أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، كان من أذكياء المتكلمين ومن أئمة السنّة، أديباً حكيماً، توفي سنة (٥٠٢هـ) من أئمة السّنة، من كتبه: محاضرات الأدباء، الذريعة إلى مكارم الشريعة الأخلاق، وجامع التفاسير، المفردات في غريب القرآن. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، **(سير أعلام النبلاء)**، ج١٨، ص١٢١، تحقيق: مجموعة من=

"وسُنَّةُ الله تعالى: قد تقال لطريقة حِكْمته ﷻ، وطريقة طاعته نحو:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلَا ﴾(الفتح:٢٣)، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾(فاطر: ٤٣)، فتنبيه أنّ فروع الشّرائع- وإن اختلفت صورها- فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدّل، وهو تطهير النّفس، وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره"[١]، وذهب الزّمخشري[٢] إلى القول إنها:"ما سَنَّه الله ﷻ في الأمم المكذبين من وقائعه"[٣]. أما صاحب المحرر الوجيز فقال في تعريفها إنها:"الطرائق من السِيَر والشرائع والملك والفتن ونحو ذلك"[٤].

=المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م. الفيروزآبادي، مجد= الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (المتوفى: ٨١٧هـ)، (**البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**)، ص١٢٢، دار سعد الدين للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (المتوفى: ٥٠٢هـ)، (**المفردات في غريب القرآن**)، ج١، ص٤٢٩، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ.

٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ، إمام في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم)، سنة (٤٦٧هـ)، سافر إلى مكة، وجاور بها فصار يقال له "جار الله"، معتزلي المذهب، من مصنفاته: الكشاف في تفسير القرآن العزيز، والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة في اللغة، توفي سنة (٥٣٨ هـ). ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر، (المتوفى: ٦٨١هـ)، (**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**)، ج٥، ص١٦٨-١٧١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، (**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**)، ج١، ص٤١٧، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٧ هـ.

٤) ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، (المتوفى: ٥٤٢)، (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**)، ج١، ص٥١١، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

واقتصر صاحب مفاتيح الغيب على تعريفها بالقول هي:"الطّريقة المستقيمة والمثال المتبع"[1]، أما الحافظ ابن كثير[2]، فقد نزع إلى القول إنها :الطّريقة والشريعة الإلهية التي يحبها الله ﷻ ويرضاها[3].

ومن الملاحظ أنّ التعريفات السابقة تعريفات جزئية؛ بعضها يصف السّنن، وبعضها اعتمد على وجود مثال يقاس عليه، وذلك لكون التعريف جاء في سياق تفسير آية محددة فيكون التعريف متعلّقا بسياقها، ومن هنا يمكن الحكم على عدم وجود تعريف شامل للسنن الإلهية عند المفسرين القدامى.

وإذا كان تعريف السّنن الإلهية عند المفسّرين القدامى يعتمد على الآية المُفسَّرة وحسب فإن الباحث في التفاسير المعاصرة يجد أن المعاصرين قاموا بدراسة السّنن الإلهية دراسة شاملة وبيّنوا مفهومها، وخرجوا بتعريفات لها، معتمدين على ما في جعبتهم من علوم ومعارف سابقة

---

١) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (**التفسير الكبير = مفاتيح الغيب**)، ج٩، ص٣٦٩، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٢) ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الإمام الحافظ المفسّر المؤرّخ، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، سنة (٧٠١هـ)، انتقل إلى دمشق وطلب العلم على عدد من العلماء من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ المزّي، والبرهان الفزاري، من مصنفاته: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم وغيرها، توفي بدمشق سنة (٧٧٤ هـ)، ودفن فيها عند شيخه ابن تيمية. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، (**تذكرة الحفاظ**)، ج٤، ص٢٠١، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري ،(المتوفى: ١٠٨٩هـ) (**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**)، ج١، ص٦٧، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٣) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (**تفسير القرآن العظيم**)، ج٢ ص٢٦٧، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

وليس اعتماداً على ما ورد في سياق الآية كما هو عند المفسرين القدامى، وعليه سأقوم بإدراج تعريف السّنن الإلهية عند المفسرين المعاصرين، من خلال دراسة هذه السّنن في الفكر الإسلامي وذلك في المطلب الآتي.

المطلب الرابع: تعريف السّنن الإلهية في الفكر الإسلامي.

حَظِي اصطلاح السّنن الإلهية بإسهامات غنية في فكر القدامى؛ إلا أنها لم تُفْرد لها مؤلفات كما هو الحال بالنسبة للعصور التي تلتها؛ والتي أُلِّف فيها الكثير من الكتب التي تتناول موضوع السّنن الإلهية، وقد تعددت أقوال مفكري الأمة من قدامى ومحدثين في تعريف هذه السّنن، وعليه سأعرِض لأقوال القدامى، أبدؤها بقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1] الذي عرّف السّنّة بأنها:"العادة التي تتضمن أن يُفعَل في الثاني مثل ما فُعِل بنظيره الأول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١). [2]

---

١) ابن تَيْمِيَّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحنبلي، شيخ الإسلام. ولد في حران سنة (٦٦١هـ)، وتيمية لقب جده الأعلى، تحول به أبوه إلى دمشق فنبغ. وسمع من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وابن أبي الخير، وابن الصيرفي وغيرهم، قصد مصر وسجن بها، ثم أطلق سراحه فسافر إلى دمشق واعتقل بها، ومات معتقلا فيها سنة(٧٢٨هـ)، كان داعية إصلاح في الدين، وبرع في العلم والتفسير تصانيفه كثيرة منها: الفتاوى، ومنهاج السنة، والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان وغيرها. ينظر: الصفدي، **(الوافي بالوفيات)**، ج٧، ص١١.

٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **(مجموع الفتاوى)** ج١٣، ص٢٠، تحقيق، أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

ومن أهم التفاسير المعاصرة التي اهتمت بعلم السّنن، (تفسير المنار)، وقد عرّف الشيخ محمد رشيد رضا[١] السّنّة فقال: "هي الطّريقة المعبدة والسيرة المتبعة أو المثال المتبع،.... وأنّ أمْر البشر في اجتماعهم وما يعرض فيه من مصارعة الحق للباطل، وما يتبع ذلك من الحرب والنزال والملك والسيادة وغير ذلك، قد جرى على طرق قويمة، وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام"[٢] .

أما سيد قطب[٣] فعرفها بأنها: "القوانين الكونية التي أودعها الله هذا الكون ليسير على وفقها، ويتحرك بموجبها ، ويعمل بمقتضاها"[٤]

---

١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين، بغدادي الأصل، حسيني النسب، ولد سنة(١٨٦٥م) في القلمون (سوريا)، نشأ وتعلم بها، ثم رحل إلى مصر، فلازم الشيخ محمد عبده أصدر مجلة (المنار) ؛ لبثّ آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، زار العديد من البلدان، ثم عاد واستقر بمصر إلى أن توفي فجأة سنة(١٩٣٥م) في حادث، دفن بالقاهرة، أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدا، وتفسير القرآن الكريم صدر منه اثنا عشر مجلداً منه، ولم يكمله، وتاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وشبهات النصارى وحجج الإسلام وغيرها. ينظر:الزركلي، (**الأعلام**)، ج٦، ص١٢٦.

٢) رضا، محمد رشيد بن علي، (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، (**تفسير المنار**)، ج٤، ص١١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣) سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، ولد سنة (١٩٠٦م) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة)، أوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا، ولما عاد انتقد البرامج المصرية، وطالب ببرامج = تتمشى والفكرة الإسلامية. وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣)، في العام الثاني للثورة، انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو =في سجنه، إلى ان أعدم سنة (١٩٦٧م)، كتبه كثيرة ، منها: العدالة الاجتماعية في الإسلام، التصوير الفني في القرآن، مشاهد القيامة في القرآن، في ظلال القرآن، معالم في الطّريق. ينظر: الزركلي، (**الأعلام**)، ج٣ ص١٤٨.

٤) قطب، سيد، (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، (**في ظلال القرآن**)، ج١، ص٢٧٨، دار الشروق – بيروت القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.

أما صاحب التحرير والتنوير فعرفها بأنها:"عادة الله في الخلق"[١].

كل التعريفات السابقة وجدت بين سطور تفاسير العلماء الأفذاذ، إلا أنها لم تظهر في مؤلفات موسومة بعنوان خاص بالسّنن الإلهية إلا في وقتنا الحاضر، وإذا انتقلنا من تفاسير المحدثين وطوّفنا في كتب مفكري الإسلام نجد تعريفات كثيرة للسنن الإلهية، فقد عرفها الشيخ محمد الغزالي[٢] فقال هي:القانون المطّرد الذى لا يتخلّف إلا في قضايا السّنن الخارقة، وسنن الله في المجتمعات هي صور أخرى مكملة أو امتداد طبيعي لسننه في ميادين العلوم التطبيقية.[٣]

وعرفها صاحب كتاب (السنن الإلهية في الأمم والجماعات) بأنها:الطّريقة المتبعة في معاملة الله ﷻ للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة ".[٤]، وهذا يعني أن قانوناً إلهياً عاماً يحكم أفعال البشر وما يصدر عنهم من سلوك في هذه الحياة

---

١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (**التحرير والتنوير**)، ج٤، ص٩٧ الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ

٢) محمد بن أحمد السقا، ولد سنة (١٩١٧م) في مصر، لقب بالغزالي لإعجاب أبيه بالغزالي مؤلف الإحياء، تعلم بالأزهر وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، درّس في الأزهر ومكة المكرمة، وشارك في تطوير كلية الشريعة في قطر، نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، له مصنفات عدّة منها: فقه السيرة، وخلق المسلم، وكيف نتعامل مع القرآن وغيرها الكثير، توفي سنة (١٩٩٦م) في الرياض، ودفن بالبقيع. ينظر: العلاونة، أحمد، (**ذيل الأعلام**)، ص١٩٣، دار المنارة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٣) ينظر: الغزالي، محمد، (**كيف نتعامل مع القرآن**)، ص ٤٦ و٤٩، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.

٤) زيدان، عبد الكريم، (**السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**)، ص١٣ مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٤م.

وقال أحد أساتذة المغرب العربي إنها:"أقدار الله تعالى وعهوده الثابتة الحقة، وكلماته التامة التي لا تبديل لها، ولا تحويل يعتريها ولا تغيير يشملها، ولا تحابي أحداً مؤمناً كان أو كافرا"[١]، وأضاف: "هي إرادة الله الكونية، وأمره الشرعي، وفعله المطلق، وكلماته التّامات وحكمته في آفاق الكون وتسلسل التاريخ، الجارية بالعباد عبر رحلة الأعمال إلى المعاد".[٢]

ويرى صاحب كتاب (على مشارف القرن الخامس عشر) أنها:"القواعد والضوابط التي تضمنتها السّنن التشريعية، والتي جاء بها الرسل منسجمة مع سنن الفطرة وناموس الكون، مكمّلة لهما في الجانب الاختياري الحر، مضيئة للعقل سبل الحقائق"[٣]، وقال صاحب كتاب(مفهوم السنن الربانية) : "هي القانون الضابط المهيمن، والفعل النافذ الحاكم الذي يجري باطراد وثبات وعموم وشمول مرتباً على سلوك البشر"، وقال آخر: إن هذه السنن سنّها الله، وأخضع لها مخلوقاته جميعاً، على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها.[٤]

والذي أراه بعد التعرف على معنى السّنّة عند اللغويين، وأهل التفسير، ومفكري الإسلام أنهم توافقوا على أن السّنّة هي الطّريقة التي تُؤخذ منها العبرة ، فإذا ما أضيف إليها لفظ الجلالة

---

١) كهوس، محمد رشيد، **(سنة الله في جهاد سيدنا رسول الله ﷺ)**، ص٨، دار الحكمة، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢ م.

٢) كهوس، **(علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي)**، ص٢٢، مركز جمعة الماجد للثقافة ولتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٣) الوزير، إبراهيم بن علي، **(على مشارف القرن الخامس عشر الهجري)**، ص١٠، دار الشروق القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤) ينظر: زكي، رمضان خميس، **(مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم)**، ص ١٣ مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م. كنعان، أحمد، **(أزمتنا الحضارية في ضوء سنّة الله في الخلق)**، ص٥٢، دار النفائس بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(سنة الله)، صار معناها طريقة الله تعالى في تسيير أمور هذا الكون وفق قانون ونظام عام يقوم على تماثل النتائج إذا تماثلت المقدمات، فلله سنن وقوانين في الأفراد والأمم والمجتمعات، وهذه السّنن يخضع لها البشر جميعاً في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة.

وهذه السّنن والقوانين الحاكمة على العباد لها أهمية كبيرة، وخصائص عديدة، والإعراض عنها له نتائج وخيمة، وهذا مدار المبحث التالي.

المبحث الثاني

أهمية السّنن الإلهية وخصائصها وآثارها وعواقب الإعراض عنها

تشغل السّنن الإلهية حيزًا واضحًا من آيات القرآن الكريم، وفهم هذه السّنن يشكل دعامة أساسية من دعائم الفهم الشّامل للإسلام؛ ولهذا لا بدّ للمسلمين– في ظل الواقع المرير الذي نعيشه– من دراسة السّنن الإلهية وفهمها، ومعرفة كيفية التعامل معها؛ حتى يكون لديهم القدرة على التغيير والإصلاح.

المطلب الاول: أهمية العلم بالسّنن الإلهية.

لكي يكون المسلم ذا فاعلية وتأثير وقدرة على التغيير؛ لا بدّ أن يتعرف على هذه السّنن، ويحسن الاستفادة منها، فيتمكن من مدافعة القدر بقدرٍ أحب إلى الله، كما قال الفاروقﷺ:"**نَفرُّ من قَدر الله إلى قدر الله**".[1]

وتتبين أهمية العلم بالسّنن الإلهية من خلال عناية العلماء– قديماً وحديثاً– بها وحثهم الأمة على فقهها، وقد عدّ حجة الإسلام الغزالي[2] العلم بالسّنن الإلهية من القسم المحمود من

---

١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ج٥، ص٢١٦٣، رقم الحديث ٥٣٩٧ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م

٢) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، الملقب حجة الإسلام، الفقيه الشافعي، ولد سنة (٤٥٠هـ)، بطوس وتوفي فيها سنة (٥٠٥ هـ)، قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين الجويني، وجدّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، ثم فوض إليه التدريس بمدينة بغداد، وتنقل بين البلاد ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه، وصنف كتبا أشهرها: الوسيط، والبسيط ، والمستصفى، وإحياء علوم الدين وغيرها. ينظر: ابن خلكان، **(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)**، ج٤، ص٢١٦.

العلوم، وبين أن العلم بالسّنن الإلهية يأتي في المرتبة الثانية بعد العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، لأن سنن الله تعالى في خلقه صنف من أفعاله سبحانه فقال:"وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة"[١]، من هنا يُستنتج أن العلم بالسّنن الإلهية واجب لفهم الدين، والقدرة على تحقيق الخلافة في الأرض والعيش بسعادة وراحة تمكننا من الفوز في الدنيا والآخرة.

ومن الذين أشاروا إلى أهمية دراسة السّنن في عصرنا الحاضر، الشيخ محمد عبده[٢] فذكر أنه ما دام الله قد أعلمنا أن له في خلقه سُنناً، فيجب علينا أن نجعل هذه السّنن علماً من العلوم لنستنبط ما فيها من الهداية والموعظة، ويجب على الأمة أن يكون فيها من العلماء من يُبيّن سنن الله في خلقه، كما فعلوا في شتّى العلوم والفنون، لأن العلم بسُنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها[٣].

---

١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (المتوفى: ٥٠٥هـ)، **(إحياء علوم الدين)**، ج١، ص٦١، تحقيق: الشحات الطحان، عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد في مصر سنة (١٨٤٩م). وتعلم بالأزهر، وتصوف وتفلسف، وعمل في التعليم، ولما احتل الإنكليز مصر ناوأهم. وشارك في مناصرة الثورة العرابية، ونفي إلى بلاد الشام، ثم سافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى)، ثم عاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، توفي سنة (١٩٠٥م)، ودفن في القاهرة. من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم لم يتمه، ورسالة التوحيد وغيرها. ينظر: الزركلي، **(الأعلام)**، ج٦، ص٢٥٢.

٣) ينظر: رضا، **(تفسير المنار)**، ج٤، ص١١٤

وقال سيد قطب: إن لله في هذا الكون سنناً ثابتة؛ يعرف الإنسان منها قدراً يعينه للقيام بالخلافة في هذه الأرض، وقد أودعه الله القدرة لمعرفة بعض السّنن الكونية؛ وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السّنن للنهوض بالخلافة، وعمارة الأرض، والانتفاع بما فيها من رزق وقوت.[١]

وقد أضاف العلماء نقاطاً عدة تبين أهمية دراسة السّنن الإلهية، أوضحها في النقاط الآتية:

١- معرفة السّنن الإلهية فريضة شرعية لفهم الدين:

إن المتدبر للقرآن الكريم يجده زاخراً بذكر أحوال الخلق، وتعاملهم ومواقفهم المختلفة من الأحداث، ولولا أن العلم بالسّنن الإلهية ضروري، لَما كان نصف القرآن الكريم– تقريبا – يتّحدث عن التّاريخ البشري بمختلف أحداثه ، ولَما أمرنا الله بالسّير والنّظر والتّفكر في أحوال من سبقنا، وأخذ العبرة والعِظة من كل ذلك، من هنا يمكن القول إنّ معرفة سنن الله تعالى وقوانينه جزء مهم من الدين، كما أن توظيفها وإحسان التعامل معها ضرورة لا بدّ منها؛ ليُحْسِن المسلمون التعامل مع الواقع الذي يعيشونه، وللتعرف على الطّريق الصحيح للفوز بسعادة الداريْن؛ وحتى لا نبقى غارقين في مستنقع العثرات والأخطاء.[٢]

---

١) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٢، ص١١١٩.

٢) ينظر: زيدان، **(السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد)**، ص١٦. زكي، **(مفهوم السنن الربانية)** ص٣٤.

٢- فقه السّنن الإلهية يساعدنا في فهم التاريخ وتحليل الأحداث:

يقول المؤرخ ابن الأثير[١]:إنه لا يحدث أمر إلا وقد حدث مثله أو نظيره في الماضي فينضج عقل الإنسان بذلك ويصبح هذا الأمر مما يقتدى به[٢].

إن دراسة فقه السّنن الإلهية يساعدنا على فهم التاريخ على حقيقته، وتفسير أحداثه تفسيراً ينفعنا في حاضرنا ومستقبلنا، ويعيننا في فهم العوامل التي تؤدي إلى رقّي الأمة ونهضتها، والعوامل التي تؤدي إلى انهيارها أو انحطاطها؛ قال صاحب كتاب (على مشارف القرن الخامس عشر الهجري): لكل أمة منعطفٌ تاريخي يتاح فيه لهذه الأمة أن تغير مجرى حياتها نحو الأفضل، ولا يكون ذلك إلا بدّراسة السّنن وفهمها والاستفادة منها؛ للتحول من حال الوهن والسّقوط إلى العزّة والغلبة، فإن لم تستفد من هذا المنعطف ومن سنن الله تعالى؛ أصابها الهلاك حتى تنقرض وتزول[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦)، فمقياس إنزال البركات حسب الآية الكريمة هو الإيمان والتقوى ولو أن هؤلاء فقِهوا ذلك لانهمرت عليهم بركات السماء.

---

١) ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، ولد بالجزيرة (سنة ٥٥٥هـ) ونشأ بها ثم سار إلى الموصل وسمع من كثيرين، زار بغداد والشام والقدس، ثم عاد إلى الموصل ولزم بيته منقطعاً إلى العلم، كان إماماً في حفظ الحديث، وحافظاً للتواريخ، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم، صنف في التاريخ كتاب" الكامل"، توفي بالموصل. ابن خلكان، **(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)**، ج٣، ص ٣٤٨.

٢) ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري، (المتوفى: ٦٣٠هـ)، **(الكامل في التاريخ)**، ج١ ص١٠، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣) ينظر: الوزير، **(على مشارف القرن الخامس عشر الهجري)**، ص١١.

من هنا يتضح أن القرآن الكريم حين لفت أنظارنا إلى سُنن الله في الأمم السابقة، وكيف كانت عاقبتهم، إنما أراد أن نستخلص العبر، وندرك سننه ونواميسه في الخلق؛ لبناء مجتمعات مؤمنة ، قوية وعادلة، قادرة على تخطي العثار والنهوض بالأمة.

٣- السّنن الإلهية لها وظيفة اجتماعية:

أهمية ثالثة للسّنن الإلهية، ألا وهي إعانة الأمة على كشف الخلل الذي قد يصيبها وتُسلِّط الضوء على أسباب الهلاك الذي يصيب الأمم الجاحدة ، وتنمّي فطرة الخير والصّلاح لدى البشر، وتدعوهم إلى الاستقامة ومراجعة مواقفهم، والعمل على ضبط حركاتهم، وتعمل هذه السنن على الكشف عن تجربة تاريخية كاملة، بحيث تجد فيها الشعوب ما يُنير طريقها، ويفتح بصيرتها للوقوف على نتائج اختيارها[1]، فمن خلال قراءة قصص الأمم السابقة، يتضح لكل صاحب عقلٍ راجح سُنن الله في تلك الأمم، فيحذو حذو الصّالحين منهم في أعمال الخير لكي ينجو من عقاب الله تعالى.

٤- معرفة السّنن والسير على هداها يحقق معنى الاستخلاف في الأرض:

منذ أن خلق الله الإنسان، وميّزه بالخلافة في الأرض؛ سُجِّلت أول سُنّة في التاريخ وهي: أن الإنسان لن يحقق الاستخلاف ولن يعمّر هذه الأرض، إلا عن طريق فَهمه للسُنن الإلهية وتسخيرها بما يرضي الله ﷻ، وبدون ذلك لن يستطيع الإنسان تحويل الأفكار إلى أعمال مفيدة في عالم الاستخلاف، من هنا يتضح أن مفهوم"السّنن الإلهية"، يشكل بعدًا محوريًا في فهم حقيقة

---

١) ينظر: كهوس، محمد رشيد، **(سقوط الأندلس من منظور السنن الإلهية)**، ص١٣٥، بحث منشور في مجلة الإبصار المغربية المحكمة السنة الثانية، العدد الثاني، ربيع الأول ١٤٣٦هـ- كانون أول ٢٠١٤ م.

الإنسان، ووظيفته الاستخلافية في هذا الكون، وفهم طبيعة الحياة، وإدراك التغيرات والتحولات التي تأخذ حيزها في الأنفس والتاريخ [1].

٥- معرفة السّنن الإلهية يدلنا على وجود الله ﷻ:

من الفوائد العظيمة التي نَجْنيها من دراسة السّنن الإلهية، التدبر في سنن الله تعالى، وتجنّبنا هذه الدّراسة الاعتقاد الخاطئ بأن الكون والحياة تحكمهما المصادفة[2]، وتبيّن أن ما أودعه الله تعالى في الحياة من سُنن، ليس للمعرفة فحسب، بل لبيان أن من يسير وِفق سّنن الله تعالى، فإنه يلقى في حياته جزاء سَيْره: هدى في دينه ورخاء في معيشته، أما من خرج عن مقتضى السّنن الإلهية فإنه يلقى جزاء ذلك ضلالاً في دينه، وضنكاً وشقاءً في حياته الدنيا، ويترتّب عليها أيضا الجزاء في الآخرة [3]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

---

١) ينظر: برغوت، عبد العزيز، **(ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية)** ص١٧، بحث منشور في مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشرة، العدد ٤٩، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

٢) المصادفة هي "خلو النظام الكوني من الإله"، وهو قول بعض الملاحدة أن هذا العالم بكل ما فيه من إتقان وإبداع باهر وجد بطريق الصدفة، وليس له موجد أوجده، ولا يمكن تفسيره بأنه له علة فاعلة، ولا علة غائية. العمرو، آمال بنت عبد العزيز، **(الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية جمع ودراسة)**، ص٣٨٨ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.

٣) الخطيب، شريف الشيخ صالح أحمد، **(السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك)**، ج١، ص٧، دار الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. وينظر: شهوان، راشد سعيد **(تأصيل علم السنن الربانية)**، ص٣٨، مجلة القسم العربي، العدد: الخامس عشر، ٢٠٠٨ م.

من خلال ما سبق نستنتج أن العلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، وهي مبثوثة في جنبات القرآن الكريم، وهذا العلم ليس بدعاً من العلوم؛ ويمكن القول إن التّخلّف الحضاري والتدهور الاجتماعي، وتسلّط الأمم علينا، وما نعيشه من ذلٍ وهوانٍ إنما هو بسبب جهل المسلمين بالسّنن الإلهية وتنكّبهم عن طريقها، ولا سبيل إلى التّقدم الحضاري والاجتماعي والتّحول من حياة الذل والانكسار الذي نعيشه، إلى حياة العزّة والكرامة وقيادة البشرية، إلا من خلال فهم هذه السّنن وحسن التعامل معها والاعتبار بما فيها من عِبر.

المطلب الثاني: خصائص السّنن الالهية.

بالتأمل في تعريف السّنن الإلهية، وباستقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها سّنة من السُّنن الإلهية يمكن الوقوف على كثير من خصائص هذه السّنن، هذه الخصائص لازمة لا تنفكّ عنها؛ وذلك تحقيقاً لعدل الله ﷻ، وبقدر فهم الأمة لهذه الخصائص والتعامل معها بصورة صحيحة، تنال العزّة والكرامة والقوة والرّخاء، ومن أهم خصائص هذه السّنن:

الربانية، والعموم والشمول، والثبات، والاطّراد ، والواقعية، وبسط ذلك في النقاط الآتية:

الخاصية الأولى: الربانية: المقصود بكلمة الرّبانية؛ أي المنسوبة إلى الربّ سبحانه وتعالى وربّانية السّنن يلْحظ فيها مَلْمح التربية، فالله تعالى يربي عباده بهذه السّنن والنّواميس الثابتة[1] فالسنن مرتبطة بالله سبحانه وتعالى خلقاً وإيجاداً وتقديراً، وليس ذلك لأحد من الناس، ولذلك ورد

---

١) ينظر: زكي، **(مفهوم السنن الربانية)**، ص٥.

لفظ السُّنة بإضافتها إلى الله تعالى في مواضع من القرآن الكريم[1] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(الأحزاب:٦٢)

والرّبّانية خاصيّة تُميّز السّنن الإلهية عن باقي التّصورات الفلسفية والمعتقدات الوثنية التي ينشئها الفكر البشري، والتأكيد على أن مصدر السّنن والقوانين هو الله تعالى؛ فهي تمثّل حكمة الله ، وحسن تدبيره، وفيها تحقيق لقدرة الله تعالى؛ وهي كلمات الله وسننه وحكمته في هذا الكون، كل هذا يعطيها قيمة وميزة كبرى؛ لأن منهج الله وحده المبرأ من الجهل والانحراف الذي يصاحب أي عمل بشريّ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢)، إضافة إلى أن ربانية السّنن، يُفرِغ عليها قدسيّة لا نظير لها؛ لأن هذه السّنن صادرة من صاحب الخَلق والأمر في هذا الكون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(الأعراف: ٥٤)، ولم تصدر عن البشر الذين يحكمهم العجز، والتأثر بمؤثرات الخارجية مكانية كانت أو زمانية [2].

الخاصية الثانية: العموم والشمول: عند استقراء لفظ (سنّة وسنن) ومتابعة السّنن الواردة في القرآن الكريم، يُلاحظ أن السّنن الإلهية حاكمة على جميع الأفراد؛ فهي تنطبق على الناس جميعا، دون تمييز أو استثناء، أو محاباة؛ فالجزاء مثلاً – بحسب سنة الله تعالى–، أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه، والنتائج بمقدماتها بغض النظر عن الجنس واللون، والإيمان والكفر فالكل

---

١) ينظر:الغلبزوري، توفيق بن أحمد، **(السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم)**،ص١، بحث مقدم للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، والمركز الغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية بتطوان، إبريل ٢٠٠٧م

٢) ينظر: الصدر، محمد باقر، **(مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن)**، ص٦٥، دار التوجيه الإسلامي، بيروت. الغلبزوري، **(السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم)**، ص١

في ميزانها سواء، يقول ابن تيمية[١]:"وقديما قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"[٢]، وقد حفل القرآن الكريم، والسّنّة النبوية بكثير من الآيات والأحاديث التي تؤكد على عموم وشمول السّنن الإلهية ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (النساء:١٢٣)، وما رواه عروة بن الزبير[٣] عن الرسولﷺ:"**فإنما أهلك الناس قبلكم: أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحَدّ، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لَقطعت يدها**"[٤]، فهذه النصوص ومثيلاتها تبين أنه لا استثناء لأحد، فكل من انحرف عن الصواب لقي جزاءه؛ لأن ميزان الثواب والعقاب يرجع إلى أصل ثابت، وسنة لا تتخلف ولا تتبدل ولا تقوم بمحاباة أحد سواء أكان فرداً أو جماعة.

---

١) ينسب هذا القول لابن تيمية، مع أنني لاحظت عند مراجعة كتب ابن تيمية استخدامه لفظ (قيل) قبل مقولة " إن الله يقيم...". ووجدت قول للشيخ الألباني يقول فيه بعد أن سئل عن نسبة هذه المقولة لابن تيمية قال" أنا لا أستحضر قول ابن تيمية هذا": موقع اسلام ويب، www.islamweb.net، محاضرة الشيخ الألباني بعنوان "الاجتهاد والإفتاء".

٢) ابن تيمية، **(مجموع الفتاوى)**، ج٢٨، ص١٤٦.

٣) أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كانت ولادته سنة اثنتين وعشرين، وقيل ست وعشرين للهجرة، أبوه الزبير بن العوام، وأمه أسماء ذات النطاقين، وروي عنه ابن شهاب الزهري وغيره. وكان عالماً صالحاً، وتوفي في قرية له بقرب المدينة سنة ثلاث وتسعين، وقيل أربع وتسعين، ودفن هناك. ينظر: ابن خلكان، **(وفيات الأعيان)** ج٣، ص٢٥٨.

٤) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، ج٥ ص١٥١، رقم الحديث ٤٣٠٤. مسلم، **(صحيح مسلم)**، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنّهي عن الشّفاعة في الحدود، ج٣، ص١٣١٥، رقم الحديث ١٦٨٨.

ويوضح ابن تيمية عموم وشمول السّنن الإلهية بالقول: إن سنة الله هي عادته التي يسوي فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي، وهذا يقتضي أنه سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾ (الصافات: ٢٢)،"أي أشباههم ونظراءهم[١].

وعليه فمن يفهم السّنن الإلهية ويفهم خاصيّة العموم والشمول، لا بدّ له من التعامل مع هذه السّنن بإيجابية، وينظر إليها بصورة عامة حتى لا يصيبه ما أصاب الأمم السابقة من عقاب وهلاك.

الخاصية الثالثة: الثبات والاستمرار: إن القارئ المتفحص لتاريخ الأمم السابقة وأحوالهم يجد أن هناك الكثير من النواميس والقوانين التي تحكم البشر منذ بدء الخليقة، وهذه القوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ولا تتأثر بعوامل الزمان والمكان، وأن ما أجرى الله تعالى به العادة لم يتهيأ لأحد أن يقلب تلك العادة لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سَنَن واحد فسنن الله قائمة على حكمته تعالى، وهي سُنَّة دائمة، لا تتغيَّر ولا تتبدل[٢].

وقد قرر الله ﷻ هذه الخاصية في آيات كثيرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٧) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾(الأحزاب: ٦٢).

---

١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد، (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **(جامع الرسائل)**، ج١٣، ص٢٣ تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢) ينظر: حبنكة، عبد الرحمن بن حسن، (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، **(البلاغة العربية)**، ج٢، ص٢٧٧، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

يُلاحظ عند قراءة الآيتين السابقتين أن الأولى تحدثت عن عدم تبدل السّنن، بينما الثانية تحدثت عن عدم تحول السّنن، فهل هناك فرق بين التبديل والتحويل ؟

لقد بين شيخ الإسلام الفرق بين اللفظين، وضرب الأمثلة ليتضح المراد، فقال: التّبديل أن تبدل الشيء بخلافه، والتحويل أن تحولّه من محلّ إلى محلّ؛ مثل استفزاز الكفار لرسول الله ﷺ من الأرض ليخرجوه؛ فإنهم لا يلبثون خلفه إلا قليلاً ، ولا تتحول هذه السّنّة بأن يكون هو المُخرَج وهم اللابثون، بل متى أخرجوه خرجوا خلفه، أما أهل المكر السيئ والكفار فالسّنّة فيهم سنّة تبديل، ولا بدّ لهم من العقوبة، لا يبدلون بها غيرها، ولا تتحول عنهم إلى المؤمنين، وهو وعيد لهم بأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله ولن يتبدلوا به خيراً ، فلهذا نفى عنه التّبديل والتّحويل[1]، وقد قرنت بعض الآيات بين عدم التبديل وعدم التحويل، وعند القول بعدم التبديل حصل العلم بأن هذه السّنّة لا تبديل لها بغيرها، وبعدم التحويل حصل العلم بأن هذه السّنّة تخص صاحبها ولا تتحول عنه إلى غير من يستحقها[2]، يقول صاحب كتاب (سُنّة الله): هذه سُنّة الله في التاريخ ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، مهما كانت الوسائل المتاحة في العصر، فإن حركية التاريخ لا تتغير لثبات الفطرة الإنسانية في النفوس، وثبات الحاجات الاقتصادية للإنسان

---

١) ينظر: ابن تيمية، **(جامع الرسائل)**، ج١، ص٥٥.

٢) ينظر: الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج٢٦، ص٢٤٧. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (المتوفى: ٦٧١هـ)، **(الجامع لأحكام القرآن)**، ج١٤، ص٣٦٠، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

وثبات الدوافع الاجتماعية والسّياسية والاستكبارية التي تجمع الفئات العرقية والقبلية والحزبية المصلحية أو المبدئية في تكتلات".[١]

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم قد أكد في كثير من الآيات على ثبات سنن الله تعالى في الأقوام السابقة، ودعا الناس إلى السّير في الأرض، والاعتبار بمصارع الأمم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۖ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (غافر: ٢١ - ٢٢)، هذه الآية ومثيلاتها تبين أن سُنن الله ماضية تجاه الأمم التي تحيد عن طّريق الحق، بغض النّظر عن حجم هذه الأمّة وقوّتها وتطورها،لأن المقياس الحقيقي الذي نستطيع من خلاله الحكم على أي أمة ومصيرها هو نظرتها الشاملة للحياة، وطبيعة علاقاتهاالإنسانية، وأخلاقياتها، والمواقف التي تتخذها بمواجهة الله تعالى والعالم[٢].

من هنا يتبيّن أنّ خاصيّة الثّبات والدّوام توجِب جريان السّنن على المعاصرين كما جرت على الأقدمين، والقارئ لتاريخ الأمم والحضارات يستدلّ على ذلك، فكلّ من أخذ بالأسباب تحقّقت فيه سُنن الله تعالى تماشياً مع قانون النتائج بمُقدماتها، وهذا الثّبات للسنن الإلهية يعطي الناس الاطمئنان، ويكون فيها عبرة وعظة للجميع مع تحذير المخطئ.

---

١) ينظر: ياسين، عبد السلام، **(سنة الله)**، ص٧، مطبعة الخليج العربي – تطوان، الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٢) ينظر: خليل، عماد الدين، **(التفسير الإسلامي للتاريخ)**، ص ١١٤، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠١هـ –١٩٨١م.

الخاصية الرابعة: الاطّراد: الاطراد لغة: من طرد الشيء: أي تبع بعضه بعضاً[١].

يلاحظ من خلال التّعريف اللغوي لكلمة الاطّراد معنى التكرار والتتابع، ويتأكد ذلك عند قراءة كتب الفكر الإسلامي، فقد عرّف العلماء الاطّراد بأنه: التكرار والّتتابع على نهج واحد وطريقة واحدة لا تختلف ولا تتخلف؛ كلما وُجِدت الأسباب، وتوفّرت الشّروط، وانتفت الموانع ولولا الاطّراد لم يصح الاعتبار والاتعاظ بها [٢]، والقول باطّراد السّنن لم يقتصر على العلماء المعاصرين، بل سبقهم إليه علماؤنا القدامى؛ فهذا ابن تيمية ينبه إلى اطّراد السّنن وضرورة الاعتبار بها فقال: فالله لا ينقض عادته التي هي سنّتته، القاضية بالتّسوية بين المتماثليْن والتفريق بين المختلفيْن [٣]، وأضاف في موضع آخر: "ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطّراد فعله وسُنته؛ لم يصحّ الاعتبار بها؛ لأن الاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن".[٤]

---

١) ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٤، ص٢٦٥٢

٢) ينظر: زيدان، **(السنن الإلهية)**، ص١٤. كنعان، **(أزمتنا الحضارية)**، ص٧٦

٣) ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **(النبوات)** ص٢٣٤، المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٨٦هـ.

٤) ابن تيمية، **(جامع الرسائل)**، ص ٥٥.

وقال الشاطبي[1]: "لولا إطراد العادات لما عرف الدين من أصله".[2] وعليه يمكن القول إن هناك علاقة لزوم بين معرفة الدين واطراد السّنن، وأنه لو لم تكن السّنن الإلهية مطّردة، لم يعرف الدين من أصله.

ومن الآيات التي تثبت هذا المعنى وتقوّيه قوله تعالى:﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾(الأحقاف: ٩)، تبين الآية أنّ ما انطبق على الرسل السّابقين وأممهم، ينطبق على محمد ﷺ وأمته، فسُنن الله تعالى في خلقه إنما تنفذ على سُنن حكيمة وطرائق قويمة، ومن سار على سُننه ظفر بمشيئة الله وإن كان ملحدًا وثنياً، ومن تنكّبها خسر وإن كان صدّيقًا نبياً، وكم من أمة كانت متمكّنة في الأرض، صاحبة جبروت وقوة ومنعة، أهلكها الله وأصبحت أثراً بعد عين[3].

وعليه فكل من أتى بمقدمة عمل فلا بدّ من أن تصيبه نتيجة ذلك العمل، وهكذا هي السّنن الإلهية.

---

١) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي، كان أصولياً مفسراً فقيهاً، محدثاً لغويا، ثبتاً ورعاً صالحاً زاهداً، سنيًا إماما، من أهل غرناطة، من أئمة المالكية. من كتبه الموافقات في أصول الفقه، والاتفاق في علم الاشتقاق، وأصول النحو والاعتصام، وغيرها توفي سنة (٧٩٠ هـ). ينظر: التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه ، (المتوفى: ١٠٣٦ هـ)، **(نيل الابتهاج بتطريز الديباج)**، ص٤٨، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م.

٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، (المتوفى:٧٩٠هـ)،**(الموافقات)**، ج٥ ص٢٨٧، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣) ينظر: رضا، **(تفسير المنار)**، ج٤، ص١١٦. خليل، **(التفسير الإسلامي للتاريخ)**، ص١١٤. زكي، **(مفهوم السنن الربانية)**، ص٥٠.

الخاصية الخامسة: الواقعية: السّنن الإلهية سنن واقعية تتماشى مع الواقع الذي نعيشه، وليست مجرد خيالات لا يمكن تحقّقها، فالله تعالى ربٌّ حكيم يُشرِّع ما يناسب كل زمان ومكان، ويعلم ما تحتاج له البشرية لتصل إلى أرفع مستوى من الخير، وما نزول القرآن منجّما على مدى ثلاث وعشرين سنة إلا دليلاً على واقعيته وواقعية كل ما جاء فيه، والتي من ضمنها هذه السّنن الإلهية

ومع القول بواقعية السّنن الإلهية إلا أن هناك من يعتقد أن هناك تعارضاً وتناقضاً بين حرية الانسان واختياره، وبين سنن التاريخ والتي هي من ضمن السّنن الإلهية، فمن قال بالتّعارض يقول إما أن نقرّ بأن للتاريخ سُننه وقوانينه وبهذا نتنازل عن إرادة الإنسان واختياره وحريته، وإمّا ان نسلِّم بأن الأنسان حرّ ومخير وبهذا نلغي سُنن التاريخ وقوانينه، هذا الوهم – وهم التعارض والتناقض بين الفكرتين– عمِل القرآن الكريم على نسفه فبيّن أنّ المحور في تسلسل الأحداث والقضايا الحياتية إنما هو إرادة الإنسان، وأن سُنن الله تَحدث وِفق معتقدات البشر وأفعالهم؛ فأفعال الناس الصّادرة عن معتقدات معينة هي التي يجعلها الله سبباً في ترتّب بعض السّنن عليها.[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾(الرعد: ١١).

هذه هي أهم الخصائص التي تتّصف بها السّنن الإلهية، والحكمة من كل هذه الخصائص، أن تنضبط الموازين، وتستقرّ معالم الحُكم على الأشياء والأحداث والوقائع والأفراد والأمم والتاريخ والحضارات، وإلا كان الأمر فوضى ولعباً، وهو ليس كذلك قطعا[2].

---

١) ينظر: الصدر، **(مقدمات في التفسير الموضوعي)**، ص٦٨. الخطيب، **(السنن الإلهية في الحياة الإنسانية)**، ج١، ص٥٦.

٢) ينظر: الغلبزوري، **(السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم)**، ص٢٣.

من هنا يمكن القول إن سُنن الله لا تتعارض مع دور الإنسان وخلافته، ولا تعطّل إرادته واختياراته؛ بل هي تؤكّد على المسؤوليات الملقاه عليه تجاه الأرض وعمارتها.

يُستخلص مِما سبق أن السّنن الإلهية:

* ذات طابع رباني؛ لأنّها تمثّل حكمة الله، وحسن تدبيره.

* العموم والشمول فهي ذات طابع شمولي وعام،لا تميز ولا تحابي أحداً، ولا تستثني أي جانب من جوانب الحياة.

* ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان والمكان، لأنها قائمة على حكمة الله سبحانه وتعالى.

* مطّردة متكررة تجري على نسق واحد كلما توفرت الشروط وانتفت الموانع.

* واقعية لا تفصل الإنسان عن دوره الايجابي، ولا تعطّل فيه إرادته واختياره، وإنّما تؤكِّد أكثر فأكثر على مسؤوليته وهي بعيدة عن الخيال.

المطلب الثالث: آثار مراعاة السّنن الإلهية وعاقبة الإعراض عنها.

قبل البدء بالتعرف على آثار مراعاة السّنن الإلهية، لا بدّ من بيان المقصود بمراعاة السّنن الإلهية.

المراعاة لغة: المناظرة والمراقبة، يقال راعيت فلاناً مراعاة إذا راقبته وتأملت فعله وراعيت الأمر نظرت إلام يصير، وراعيته لاحظته وراعيته[1]، ويمكن القول إن المقصود بمراعاة السّنن أي: السير وفق هذه السّنن، وعدم الاصطدام بها، لأنَّ الاصطدام بالسّنن الإلهية والخروج عليها لن يغيِّر السّنّة، ولكن سيؤدِّي لفشل من لم يحسن فهم السّنن والتعامل معها، وعليه فلا بدّ

---

١) ينظر: الزبيدي، **(تاج العروس)**، ج٣٨، ص١٦٤

من استخدام هذه السّنن وتذليلها للوصول إلى ما نريد الوصول إليه من العزة والغلبة والتمكين وهذا يستلزم فهم واقع المجتمعات التي نعيش فيها، والقيام بنشر الفهم الصّحيح الدّقيق لسُنن الله تعالى، وقد أبدع من قال:"لا تصادموا نواميس الكون فأنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها علي بعض"[1] .

ومن أهم الآثار المترتبة على مراعاة السّنن الإلهية: الظفر بتوفيق الله والنجاة من عقابه في الداريْن، ففي السّير على سُنن الله الفوز بالهداية، والنّجاة من العقاب؛ فالله شديد العقاب لمن لم يتّقه باتباع شرعه ومراعاة سننه في خلقه؛ إذ لا محاباة، وهذا العقاب يشمل عقاب الدنيا والآخرة [2]، قال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾(هود: ١٠٢).

كما أن في دراسة هذه السّنن التي تتسم بالثّبات والاطِّراد والعموم فائدة كبرى في فهم تاريخ الأفراد والأمم، ويُعين على بناء الحاضر، واستشراف المستقبل، فهي تزودنا بمعرفة نظرية عملية تساعدنا في الابتعاد عن الأخطاء التي وقع بها من سبقنا، ومن ناحية أخرى تعطينا القدرة على معرفة شروط وأحكام وموانع حدوث هذه السّنن، ومن خلال كل ذلك نصبح أقدر على تفسير هذه السّنن لصالحنا، والتكيف معها بما يعود بالنفع على هذه الأمة[3].

---

١) البنا، حسن، **(مجموعة الرسائل)**، ص١٧٦، دار الدعوة للطبع والنشر، الاسكندرية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

٢) ينظر: الهرري، محمد الأمين بن عبد الله العلوي الشافعي، **(تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن)**، ج٧، ص١٠٠، إشراف هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣) ينظر: أمحزون، محمد، **(منهج دراسة التاريخ الاسلامي)**، ص١١٩، دار السلام للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م. الغلبزوري، **(السنن الكونية والاجتماعية)**، ص١١.

من هنا يُستخلص أنه لا بدّ لمن يسعى لإرجاع مجد الإسلام، والوصول إلى العزة والتمكين من إدراك هذه السّنن وفقهها؛ لأن هذا سيعينهم على تفسير الأحداث والمواقف، وفي إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض، وهداية الناس إلى الاعتبار والاتعاظ بقصص الأمم السابقة فلا يستغربون منها ولا يفاجأون بها لكونها تحدث بأمر الله وحكمته التي جعلت – كما ذكرت سابقا – كل ما يحدث في الكون سنناً لا تتبدل ولا تتحول.

أما الإعراض عن السّنن الإلهية، وعدم الالتفات لها فهو السّبب الرئيس في الفشل والّتنازع والذّلّ الذي يعيشه المسلمون في هذه الأوقات، يقول الغزالي مؤكداً هذا الأثر، إن الأمة الإسلامية لم تفهم سُنن الله، ولم تحسن الإفادة منها مما أدى إلى وقوعها في براثن استعمار بغيض ظالم، وعندما حاولت الأمم التّخلص من هذا الاستعمار، لجأت إلى المواجهة العسكرية والسّياسية، ولو أنها عمدت إلى دراسة سنن الله وقوانينه المبثوثة في قرآننا العظيم، والتبصّر والاعتبار بما حصل للأمم السابقة عندما تنكّبت الصّراط القويم، لكان ذلك خير مُعين على التّحرر والنّهوض[1].

وعليه فلا بدّ من مراعاة السّنن الإلهية لأن الإعراض عن فهمها والاعتبار بها، إنما هو تفريط في الأخذ بأسباب النّجاة، وإعراض عن هَدْي الأنبياء الذين ساروا في ضوء السّنن الربانية ونحن أولى الناس بالإفادة من هذه السّنن لتعيننا على النّهوض الحضاري الذي نحتاجه في وقتنا الحاضر لاسترجاع المجد التليد الذي ضاع نتيجة إهمال هذه السّنن الإلهية.

---

١) ينظر: الغزالي، **(كيف نتعامل مع القرآن)**، ص٥٤.

المبحث الثالث

موارد السّنن الإلهية وأساليب القرآن الكريم في بيانها

المطلب الأول: موارد السّنن الإلهية في القرآن الكريم:

من المعلوم أن الوحي جاء بمنهج إلهي متكامل في جميع المجالات، وبيّن للبشر كل ما يلزمهم في هذه الحياة، للفوز في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل: ٤٤).

والسّنن الإلهية جزء من الدين الذي جاء به الوحي، وقد قدّم لنا القرآن الكريم كثيراً من السّنن التي تحكم الحياة والبشر، وهي تشبه بشكل أو بآخر القوانين والنواميس الكونية التي تحكم حركة عالمنا مثل طلوع الشمس من الشرق وغروبها من الغرب.

استخدم القرآن الكريم أساليب عدّة لإيصال أحكامه وتشريعاته، فجاءت موارد السّنن الإلهية في القرآن الكريم متعدّدة ومتنوعة، والمتتبع لموارد السّنن الإلهية في القرآن الكريم يجدها أكثر ما تكون في القصص القرآني (التاريخ) الذي يتحدث عن نهوض الأمم والحضارات وسقوطها، والأمثال القرآنية المتعلقة بكيفية معاملة الله للبشر بناءً على سلوكهم وتصرفاتهم وكذلك الآيات الوارد فيها ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج[1].

هذه السّنن الإلهية ومواردها لا تخفى على من تأمّل وتدبّر كتاب الله العزيز، وفيما يأتي أهم هذه الموارد:

---

١) ينظر: زكي، **(مفهوم السنن الربانية)**، ص٧٥. عاشور، مجدي محمد، **(السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم)**، ص٥٨، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

أولا – القصص القرآني: من المعلوم أن القصص القرآني شغل مساحة كبيرة من القرآن الكريم، قال أحد المعاصرين:إن هذا القصص نبع لا ينضب؛ لاستخلاص سنن الله تعالى لمن رزقه الله الفهم والفقه، وإلا فما فائدة هذا القصص إذا لم ينشئ عقلاً مستنبطاً للقوانين والسّنناالإلهية ؛ التي تحكم التجمعات البشرية ، وتتحكم بقيام وسقوط الحضارات[١].

ومن مقاصد القرآن في ذكر هذا القصص أن يعتبر بها البشر في الخير والشرّ، فما ذكرت قصة إلّا كان معها عبرة أو عِبَر، قال ابن تيمية:"إن في قصص المتقدمين عبرة لنا ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها"[٢]، وقال أبو زهرة [٣]:"إن القصص القرآني فيه العبرة، وما ذكرت قصة إلّا كان معها عبرة أو عِبَر، وفيها المثلات لمن عصوا وتركوا أمر ربهم، وفيها بيان ما نزل بالأقوياء الذين غرهم الغرور، والجبابرة الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد"[٤]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١).

والغالب في القصص القرآني أن يختم بإعطاء سنة من سنن الله تعالى في خلقه وقانون من قوانينه في عباده، فمثلاً عندما نقرأ قول الله تعالى:﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ

---

١) ينظر: كنعان، **(أزمتنا الحضارية في ضوء سنن الله في الخلق)**، ص١٣.

٢) ابن تيمية، **(جامع الرسائل)**، ص٥٥.

٣) أبو زهرة، محمد بن أحمد: ولد سنة (١٨٩٨م) بمدينة المحلة الكبرى وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي، عمل في سلك التدريس، وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين، عين أستاذاً محاضراً للدراسات العليا ووكيلاً لكلية الحقوق بجامعة القاهرة مصنفاته كثيرة منها: تاريخ الجدل في الإسلام، وأصول الفقه، والملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، ومذكرات في الوقف، كانت وفاته بالقاهرة سنة(١٩٧٤م). ينظر: الزركلي **(الأعلام)**، ج٦، ص٢٦.

٤) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، **(المعجزة الكبرى القرآن)** ص١٤٠، دار الفكر العربي.

عُلُوًّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)، في نهاية قصة قارون[١] وبيان ما دار بينه وبين قومه، نستخلص سنة الله فيمن لا يشكر النّعم.

وقد بين الشيخ رضا أن في القصص رصداً لسنن وقوانين، قد تتكرر مع اللّاحقين كما وقعت مع السّابقين فيقول: "أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب وبين فيه ما لم يبيّن في غيره من الكتب، بيّن فيه كثيراً من أحوال الخلق وطبائعهم والسّنن الإلهية في البشر، وقص علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسنته فيها"[٢].

وأضاف الغزالي إلى ما قاله رضا: "إن روح القصص القرآني هو احتواؤه على جملة من سنن الله الكونية في قيام الأمم وفنائها"[٣].

والناظر للقصة في القرآن الكريم يجد أنها غالباً تأتي عامة، لا تتحدث عن أفراد معينين ولا تكون خاصة بزمان معين أو مكان محدد، بل كثيراً ما يرافق القصص القرآني المبهمات في الشخوص والأماكن وغيرها؛ لأنه لا فائدة ترجى من بيان هذه المبهمات بل العكس هو الصحيح حيث إنه يمكن إسقاط هذه القصة على كل من فَعل مثل صاحب القصة الأصيلة فالله تعالى لم يقص علينا قصة أحد إلا لِأَخْذ العبرة، فلو أنّ الأمم المتأخرة – كمدين مثلاً– لم يكن لهم إمكانية الاعتبار بمن سبقهم من الأمم الهالكة، لما كان هناك فائدة من دعوتهم للنّظر فيما أصاب الأمم

---

١) قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث ابن عم موسى، وقيل عم موسى، وكان يسمى المنور؛ لحسن صوته بالتوراة ولكنه نافق، فأهلكه البغي والبطر.والترفع على قومه. وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه ، وإنها كانت تحمل على ستين بغلاً. ينظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، (٧٧٤ هـ)، **(البداية والنهاية)**، ج٢، ص٢٠٥، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، هجر للطباعة والنشر – الجيزة، الطبعة: الاولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م

٢) ينظر: رضا، **(تفسير المنار)**، ج١، ص٢٠.

٣) الغزالي، محمد، **(نظرات في القرآن الكريم)**، ص٩٨، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى

من قبلهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾(هود: ٨٩)، ففي هذه الآية يحذر شعيب عليه السلام قومه من أن يحِلّ بهم ما حلّ بمن قبلهم من الأمم التي كذّبت رسلها، ولولا أن سنن الله ثابتة ومستمرة لما كان هناك داع لاحْتِجاج شعيب عليه السلام بسُنّة الله في مكذِّبي الرّسل.

ويرى صاحب كتاب (أزمتنا الحضارية) أن المطلوب اليوم، أكثر من أي وقت مضى ضرورة التوجّه لدراسة القصص القرآني بنفس القدر الذي نتوجه به نحو آيات الأحكام، وذلك لاستنباط الكنوز الثمينة التي يحويها، ولنكتشف فقهاً حضارياً في إطار السّنن الإلهية، والقوانين الاجتماعية التي تحكم مسيرة الحياة والأحياء، والتي تخلفنا فيها إلى درجة لا نحسد عليها[1].

وكباحثة أؤيد بشدة ما ذهب إليه العلماء من ضرورة الاهتمام بالقصص القرآني؛ لأن القصص القرآني ليس لمجرد التسلية وحسب، بل هو من أغزر الموارد التي عُنِيت برصد السّنن الإلهية في الأمم الماضية، والذي يمكّن من استنباط الكثير من هذه السّنن التي تعين الإنسان على الاتجاه نحو تحقيق الأهداف التي رسمها القرآن الكريم، وفي ذات الوقت تبعده عن الكثير من الحفر والمزالق التي أودت بحضارة الكثير من الأمم السابقة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾(غافر: ٨٢).

ثانيا – المثل القرآني: الموطن الثاني الذي يكثر فيه وجود السّنن الإلهية في القرآن الكريم، "الأمثال القرآنية"، والباحث في تعريف المثل يجد أنه لا يمكن تعريف المثل تعريفاً

---

١) ينظر: كنعان، **(أزمتنا الحضارية في ضوء سنن الله في الخلق)** ، ص١٤.

اصطلاحياً موحداً، فالتعريف عند اللغويين يختلف عن تعريفه عند الأدباء، ويختلف عنه عند البلاغيين، فهو عند اللغويين: الشبه، ومناظرة الشيء للشيء، والمثل: الشيء الذي يُضرَب لِشيء مِثْلا فيُجعل مِثْلَه[١]؛ وهو عند الأدباء:"قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه".[٢]

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن الأمثال القرآنية لا تندرج تحت هذه المعانى أبداً ولا ترتبط بها، لأنه لا يمكن أن يُنقل لنا في القرآن الكريم الأقوال السائرة بين البشر.

وقد عرف العلماء الأمثال القرآنية بتعريفات متعددة، قال ابن قيم الجوزية[٣] بأنها:" تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسَيْن من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر".[٤]

وعرفها آخرون فقالوا إنها: تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، وإبراز المعنى في صورة موجزة، لها وقعها في النفس، سواء أكانت الصورة تشبيهًا أو قولًا مرسلًا، أم بطريق الكناية، وأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، ولكنها صور مختلفة لمعاني

---

١) ينظر: ابن فارس، **(معجم مقاييس اللغة)**، ج٥، ص ٢٩٦. ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١١ ص٦١٠.

٢) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، (المتوفى: ٥١٨هـ)، **(مجمع الأمثال)** ج١، ص١، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان.

٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ولد في دمشق (٦٩١هـ)، أحد كبار العلماء، تتلمذ على يد الكثير من العلماء، ولكنّ أكثر من أثّر به شيخ الإسلام ابن تيمية، سجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت ابن تيمية، ألّف تصانيف منها: إعلام الموقعين، الوابل الصيّب من الكلم الطيب، الروح وغيرها، توفي سنة (٧٥١ هـ). ينظر: الصفدي، **(الوافي بالوفيات)**، ج٢، ص١٩٥.

٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله، **(الأمثال في القرآن الكريم)**، ص٩، تحقيق: إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة – طنطا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م.

تَرِدُ للعبرة والاتّعاظ، وتقريب ما يَستعصي على العقول فهمه من الأمور الغيبية، كصفة الجنّة والنار والصراط وغيرها[1].

والقارئ لآيات الذكر الحكيم يجد أن تلك الأمثال قد وردت في سياق قصة، أو جاءت منفردة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(الزمر: ٢٧)

والمتدبر للقرآن الكريم يجد أن القرآن الكريم يعمل على تصوير المعاني وعرض القضايا المختلفة بأبسط وأوضح صورة، من هنا جاءت الأمثال القرآنية متناثرة في صفحات القرآن الكريم متضمنة عدداً من السّنن الثابتة، يقول أحد المعاصرين:لا يكاد يخلو مثل من أمثال القرآن الكريم من الإشارة إلى سُنّة من السّنن أو التعقيب على قانون،هذا لأن الأصل في ضرب المثل تشبيه فعل حاضر بفعل ماضٍ وإعطاء الفعل المتأخر حكم المتقدم لتشابه الأطراف واتّحاد الأحوال [2].

ومع كثرة ورود الأمثال في القرآن الكريم، كثُر ربطها بالعبرة والعظة، قال تعالى:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢)، ذكر الإمام الطبري أن المثل ضُرب هنا لأهل قرية وهي (مكة المكرمة) [3]، ومع ذلك فالعبرة من هذه الآية شاملة عامة

---

١) ينظر: القطان، مناع بن خليل، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، **(مباحث في علوم القرآن)**، ص٢٩٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م. اسماعيل، محمد بكر، (المتوفى: ١٤٢٦هـ) **(دراسات في علوم القرآن)**، ص٣٠٠، دار المنار، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. البغا، مصطفى ديب مستو محيى الدين، **(الواضح في علوم القرآن)**، ص ١٩٧، دار الكلم الطيب - دار العلوم الانسانية - دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

٢) ينظر: زكي، **(مفهوم السنن الربانية)**، ص٨٥.

٣) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٣٠٩.

لكل الأمم والدول والأفراد، فكل أمة تحيد عن المنهج الذي رسمه الله ﷻ لخلقه؛ سيصيبها من عذابي الجوع والخوف الذي أصاب أهل مكة.

وعلم الأمثال القرآنية من العلوم التي يجب معرفتها لأنها تفتح المجال لاستنباط كثير من السّنن الإلهية، وهذا ما ذهب إليه الإمام الشافعي[١]، فأوضح أن العلم بالأمثال القرآنية مما يجب معرفته فقال: "ثم معرفة ما ضُرب فيه من الأمثال الدوالِّ على طاعته المبيِّنة لاجتناب معصيته ".[٢]

ولأهمية العلم بهذه الأمثال نجد أن الله ﷻ أطلق مسمى العالِم على من عقل الأمثال قال تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣)، فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة[٣].

أما الحكمة من ضرب الأمثال القرآنية فهي كما قال المفسرون: التَّذكُّر والاتِّعاظ بها وتحصيل التَّقوى، وزيادة الفهم، وتوضيح ما التبس على الناس، وتصوير المعاني، ولكن لا يعقل

---

١) الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله، ولد في غزة من بلاد الشام سنة (١٥٠هـ) وقيل باليمن. وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، نشأ وكتب العلم بمكة ، وبمدينة الرسول ﷺ، قدم بغداد مرتين، وحدّث بها، وخرج إلى مصر فسكنها حتى وفاته سنة (٢٠٤ هـ)، وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة، له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب الأم، والمسند، وأحكام القرآن، (الرسالة) وغيرها. ينظر: الخطيب البغدادي، **(تاريخ بغداد)**، ج٢، ص٣٩٢.

٢) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، (المتوفى: ٢٠٤هـ)، **(الرسالة)**، ص ٣٤ تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ- ١٩٤٠م.

٣) ينظر: الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، **(الأمثال من الكتاب والسنة)**، ص١٤، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون / دار أسامة – بيروت – دمشق.

هذه الأمثال ويتدبّر معناها إلا أهل العلم والمعرفة، الذين يتجرّدون من العصبية والتقليد، ويتأمّلون في مدلولات الأشياء[١].

ويقول ابن عاشور[٢]:"للأمثال واستحضار النظائر شانٌ عظيمٌ في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة".[٣]

من هنا يتبين أن ضرب المثل في القرآن الكريم مورد مهم من موارد السّنن الربانية لا يمكن إغفاله، بل لا بدّ من دراسة كلّ مثل قرآني واستنباط السّنّة الإلهية منه للاتّعاظ وأخذ العبرة والإفادة منه.

ثالثا – دراسة التاريخ من خلال الآيات التي ورد فيها الأمر بالسير في الأرض: هناك حقيقة تتجلّى لقارئ القرآن الكريم، وهي أن جلّ السّور القرآنية المكية وبعض السور المدنية كسورة البقرة، تعرض لقصة، أو فيها بيان لحدث ما، أو تأكيد على سُنة من السّنن الإلهية التي ترسم لنا طريقاً واضحاً يعيننا على معرفة التاريخ، واكتشاف ما حلّ بالأمم السابقة، وكثيراً ما نصل إلى هذه السّنن من خلال قراءة الآيات التي تشتمل على الأمر بالسّير في الأرض للنظر والاعتبار.

---

١) ينظر: الزمخشري، **(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)**، ج٢، ص٥٥٣. أبو السعود ، محمد ابن محمد بن مصطفى العمادي، (المتوفى: ٩٨٢هـ)، **(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، ج٧ ص٢٥٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **(التفسير الوسيط)**، ج٣، ص١٩٣٧ دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٢) محمد الطاهر بن عاشور: ولد عام (١٨٧٩م) في تونس، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، عُين (عام ١٩٣٢م) شيخا للإسلام، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، توفي بتونس عام (١٩٧٣م)، أشهر مؤلفاته: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن، والوقف وآثاره في الإسلام. ينظر: الزركلي، **(الأعلام)**، ج٦، ص١٧٤.

٣) ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج٩، ص١٧٩.

ورد الأمر بالسّير في الأرض أربع عشرة مرة بصور متعدّدة؛ فذكر على صيغة الأمر ست مرات[1]، مثل قوله تعالى:﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام:١١)، وورد بصيغة الاستفهام سبع مرات[2] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الحج: ٤٦)، ووردت مرة واحدة خارج نطاق هذه الدراسة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾(سبأ: ١٨).

والمتأمل لهذه الآيات يجد أنها تطلب منا أن نسير في الأرض لكي ننظر، لا أن ننظر فحسب، بل نتعلم ونعتبر بما نرى أيضا، فعند السياحة في الأرض ورؤية آثار الأمم السابقة والمباني والنّقوش وغيرها من المظاهر الحضارية التي تركوها قائمة شاهدة على حضارتهم، فنأخذ العبرة من ذلك، ونعمل على بناء عالم لا يدمّره الانحراف والبُعد عن دين الله الحقّ، عالم خالٍ من الأمراض الاجتماعية والنّفسية المختلفة من غرور وكِبر وإعراض عن دين الله ﷻ، وغيرها من الأمراض التي دمرت أمماً وشعوباً خَلَتْ، وما زالت تدمر شعوباً قائمة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾(آل عمران: ١٣٧).

---

١) (١٣٧) آل عمران ، (١١) الأنعام ، (٣٦) النحل ، (٦٩) النمل ، (٢٠) العنكبوت ، (٤٢) الروم. عبد الباقي، محمد فؤاد، **(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)**، ص٤٧٥، دار الفكر للطباعة، الطبعة: الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢) (١٠٩) يوسف، (٤٦) الحج ، (٩) الروم، (٤٤) فاطر ، (٢١) غافر، (٨٢) غافر، (١٠). عبد الباقي، **(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)**، ص٤٧٥.

يقول المفسّرون: هذه الآية وغيرها تمكّننا من استخلاص الكثير من السّنن الإلهية التي تحكم حركة الجماعات عبر الزمان والمكان، وفيها حثّ على الاعتبار بأحوال الماضين ومصارعهم عندما حادوا عن الطّريق القويم ، وانغمسوا في الشّهوات، فالسّير في الأرض والنّظر في آثار الماضين ومعرفة ما حلّ بهم هو الذي يوصل إلى معرفة السّنن والاعتبار بها كما ينبغي، فمن يدرس درساً ويطبقه تطبيقاً عملياً، ليس كمن يقرأه فحسب، وعليه نجد أن قارئ كتب التاريخ يتوصل إلى كم هائل من المعلومات التي تبين ما حلّ بالأمم السابقة، ويهتدي إلى سُنن الله تعالى، وقد يتّعظ ويعتبر بما قرأ ، ولكن هذه المعرفة قاصرة، فهي ليست كمعرفة من سار في الأرض بنفسه ورأى الآثار بعينه، فهذه المعاينة تقيم الحجَّة على السّائر وتُبَين له أن هذه الأمم البائدة وصلت إلى ما وصلت إليه من الدمار والهلاك جراء تَنكُّبها عن أوامر الله ﷻ[1].

ومن الفوائد الأخرى التي يحصل عليها السّائرون في الأرض توفير الوقت والجهد والنّجاة بالنّفس نتيجة الاعتبار بمن مضى، وبما حصل لهم، يقول صاحب كتاب (التفسير الإسلامي للتاريخ): إن بدء التجربة من نقطة الصفر، دونما التفات إلى مردوداتها التّاريخية يضيع على الجماعة جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً، ما كان لها أن تضيّعهما لو التفتت إلى الماضي واستمدت منه المواقف والعبر، فالقرآن الكريم يقدم لنا أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري، ولا بدّ لنا عند التعامل الانتقال من مجرد القراءة إلى محاولة استخلاص السّنن والنواميس التي تحكم الظواهر البشرية والّتي لا تستقيم أية برمجة للحاضر والمستقبل إلا على

---

١) ينظر :الـرازي، **(مفـاتيح الغيـب)**، ج١٢، ص٤٨٨. المراغـي، أحمـد بـن مصـطفى، (المتـوفى: ١٣٧١هـ)، **(تفسير المراغي)**، ج٤، ص٧٧، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده – مصر، الطبعة: الأولى ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م

هداها، فالتاريخ لا يكتسب أهميته الإيجابية إلا بعد أن يُتخذ ميدانا للدراسة والاختبار واستخلاص السّنن.[١]

إن دراسة التاريخ ليست نافلة يتطوع بأدائها من يشاء، بل هي– كما وضحت سابقاً – ضرورة دينية واجتماعية تقوم بها الأمم الحيّة، ولا بدّ من تعميق الدراسة للوقائع التاريخية التي بينها القرآن الكريم، ولا بد للمسلمين من الارتباط والفهم السنن الإلهية، وتعميق الرؤية لما قصّه الله علينا من سِيَر من سبَقنا، والاهتمام بفهم التجربة النموذجية التي قدمها الرسول ﷺ لأمته والإيمان من خلال ذلك أنهم لن يستطيعوا تخطي السّنن الإلهية، ولن يقودوا الحضارة إلا بمؤهلات القيادة، وفي ظل مناخ يجب أن يَسْعوا لتهيئته وتوفير شروطه[٢].

من هنا يتضح أن القرآن الكريم حثّ على السير في الأرض؛ ودراسة التاريخ القديم المسطور في الكتب، والمنظور والذي يمثل الواقع المُعاش؛ دراسة كل ذلك ببصر ثاقب وبصيرة نافذة محللة للأحداث، فالتاريخ في المنهج القرآني لا يسير بالصّدفة، وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والحياة سواء بسواء ، والوقائع التّاريخية لا تجري عشوائياً، إنما تقوم على ارتباط الأسباب بالمسّببات ، والنتائج بالمقدمات؛ وفهم ذلك يؤدي إلى استنباط السّنن، التي تعين على النهوض والبناء الحضاري، وتَجنّب الأخطاء التي قادت الجماعات البشرية والأمم والحضارات السّابقة إلى السّقوط الحضاري، والدّمار الاجتماعي.

---

١) ينظر: خليل، **(التفسير الإسلامي للتاريخ)**، ص٦ –٩.

٢) ينظر: الغزالي، محمد، **(المحاور الخمسة للقرآن الكريم)**، ص١١٢، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى. عويس، عبد الحليم، **(فقه التاريخ في ضوء أزمتنا الحضارية)**، ص١٦، دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

رابعا: الآيات المشتملة على ربط الأسباب بالمسببات: من خلال قراءتنا لآيات القرآن الكريم، نطالع الآيات التي تقوم على ربط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج ، وهناك كثير من السّنن الإلهية قائمة على قانون يقول: إن الأخذ بالسبب[1] يؤدي إلى الوصول للنتيجة إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع بإذن الله تعالى، أما مجرد وجود الأسباب فلا يوجب حصول المسبب ، وربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها، قانون عام شامل لكل ما في الكون، ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة، قال ابن تيمية: فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسّببات، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات بل لا بد من ريح مربية بإذن الله ولا بد من صرف الانتفاء عنه؛ فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع وكل ذلك بقضاء الله وقدره [2].

ومن الآيات التي تؤكد قانون السببية قوله تعالى في سنة الرزق:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾(الطلاق: ٢ – ٣)، وقوله تعالى في سُنّة الهداية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ (الأنفال: ٢٩)، هذه الآيات تبين أن سبب التيسير والرزق وسبب تكفير السيئات هو التقوى.

ومن المسلّمات والحقائق لدى كل مسلم أن لكل سُنّة من سُنن الله سواءً كانت نصراً أو هزيمةً هدايةً أو ضلالاً، أسباباً خاصة بها، مع أنها لا تلتزم سبباً واحداً بل لا بدّ من أسباب

---

١) السبب لغة: كل شيء يتوصل به إلى غيره ؛ كل شيء يتوسل به إلى شيء غيره، وقد تسبب إليه، والجمع أسباب؛ وكل شيء يتوصل به إلى الشيء، فهو سبب. ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١ ص٤٥٨

٢) ينظر: ابن تيمية، **(مجموع الفتاوى)**، ج٨، ص ٧٠ .

متداخلة كل يؤدي إلى ما بعده حتى تتحقق سنة الله[1]، ومن الأمثلة الواضحة على تطبيقات هذا المورد، والتي تدل على ارتباط المسببات بأسبابها نتائج معركة بدر وانتصار المسلمين فيها فبالرّغم من قلّة العدّة والعتاد في بدر إلا أن الله نصرهم نصراً مؤزراً، حيث هيأ الله تعالى أسباب النصر في هذا اليوم، ولم يجعل نصرهم من قبيل المعجزات التي لا ترتبط بالأسباب، وفي هذا بيان للمسلمين أولا ثم للناس عموما أن السّنن الإلهية والقوانين الربّانية لا تتخلف ولا تتبدل إذا وجدت الأسباب وتهيأت قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١) هذه الآية فيها بيان للأسباب التي هيأها الله تعالى للنّصر، وأول هذه الأسباب– وإن لم ترد في الآية – استغاثة النبي ﷺ وإلحاحه بالدعاء، فقد روى عمر ﷺ أن الرسول ﷺ قال:"**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**"[2]، أما الأسباب الأخرى فهي ما هيأه الله تعالى في أرض المعركة، والتي منها إصابة المسلمين بالنّعاس، ولما استيقظوا وجدوا نشاطًا، أكسبهم شجاعة وأزال شعور الخوف عندهم، ثم ما كان من إنزال المطر فأطفأ به الغبار، وتلبدت به الأرض، وثبتت به أقدامهم[3]، فكل العوامل السابقة التي هيأها الله ﷻ أدت إلى النصر المبين.

---

١) ينظر: الخطيب، (**السنن الإلهية في الحياة الإنسانية**)، ج١، ص٦٦.

٢) مسلم، (**صحيح مسلم**)، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم ج٣، ص ١٣٨٣، رقم الحديث ١٧٦٣.

٣) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق، (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (**محاسن التأويل**)، ج٥ ص٢٦٤، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ. رضا (**تفسير المنار**)، ج٤، ص ١٥٢. ابن عاشور، (**التحرير والتنوير**)، ج٩، ص٢٧٨.

وبعد: فتلك هي أهم موارد السّنن الإلهية وانتقل الآن للحديث، عن صيغ ورود السّنن الإلهية في المطلب الآتي:

المطلب الثاني: صيغ ورود السّنن الإلهية في القرآن الكريم.

صرح القرآن الكريم بلفظ سنّة وسنن في مواضع عدّة، ولم يكتف بالإشارة والتلميح فحسب بل ذكر أمثلة كثيرة لها، وفي هذا دلالة على رحمة الله تعالى وعنايته وهدايته لعباده وحجة عليهم؛ فلا نجد متبجحاً يقول إنه لم يفهم أن مقصود الآية كان بياناً لسنّة من سنن الله تعالى.

وقد تكرر لفظ سُنن وسُنة في القرآن الكريم ستة عشر مرة، في إحدى عشر آية من عشر سور؛ وقد يتكرر ورودها في السّورة أكثر من مرة كما هو الحال في سور الإسراء وفاطر والاحزاب والفتح، والباقي نجده في باقي السور.

ومن خلال بحثي في لفظ السّنن، ومراجعة ما أورده العلماء، وجدت أن مؤلف كتاب (مفهوم السّنن الربانية) أورد أرقاماً إحصائية خاطئة بخصوص مادة (سنّة) في القرآن، فقال: إن مادة سُنة وردت ثماني عشرة مرة في القرآن[1]، لكن عند الرجوع للقرآن الكريم وجدت أنه أخطأ في إحصاء الكلمات، فقد ذكر في كتابه أن لفظ "سنة" جاء مفرداً أربعة عشر مرة ولفظ "سنن" بالجمع مرتين. وعليه فالمجموع ستة عشر لا ثمانية عشر.

وهذا ترتيب الآيات التي ورد فيها لفظ (السّنّة) حسب ترتيب سورها في المصحف:

---

١) ينظر: خميس، (**مفهوم السنن الربانية**)، ص٦٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(آل عمران: ١٣٧)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾(النساء: ٢٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(الأنفال: ٣٨)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(الحجر: ١٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾(الإسراء: ٧٧)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾(الكهف: ٥٥)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾(الأحزاب: ٣٨)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(الأحزاب: ٦٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾(فاطر: ٤٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(غافر: ٨٥)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(الفتح: ٢٣)

يجد الناظر في الآيات السابقة ورود لفظ السّنّة في بعض الآيات مرسوما بالتاء المربوطة، وفي مواضع أخرى بالتاء المبسوطة، قال صاحب كتاب(المقنع):"وكل ما في كتاب الله ﷻ من

ذكر "السّنّة"فهو بالهاء إلا خمسة أحرف، في الأنفال ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وفي فاطر ثلاثة أحرف ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ، وفي المؤمن(غافر)﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾"[1].

ومن المعلوم أن اختلاف الرسم القرآني يؤدي لاختلاف في المعنى؛ فقد أوضح العلماء أن هناك فرقاً بين (سنّت، وسنّة)؛ فأينما وجدت لفظ (سُنّة) كانت بمعنى الشريعة والطّريقة المتّبعة، أما (سنّت) تكون بمعنى الإهلاك والانتقام الذي ظهر في الوجود[2].

من خلال النظر في الآيات الكريمة يُستنتج ما يلي:

- ورد لفظ (سنّة) بخمس صور: (سنة الله) ثماني مرات، (سنتنا) مرة،(سنة من قد أرسلنا) مرة،(سنة الأولين) أربع مرات،(سنن) مرتان.
- وردت في تسعة مواضع مضافة إلى الله تعالى، وجاءت سنة منها مضافة إلى الناس وبقي موضع واحد وحسب بدون إضافة.
- ورد لفظ السّنّة بصيغة الجمع (سنن) مرتين؛ في سورتي: آل عمران، والنّساء وباقي المواضع جاء بصيغة المفرد (سنة، سنت).

---

١) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (المتوفى: ٤٤٤هـ)، (**المقنع في رسم مصاحف الأمصار**)، ص٨٣، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة

٢) ينظر: ابن البناء المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، (المتوفى: ٧٢١هـ) (**عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**)، ص١١١، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (المتوفى: ٧٩٤هـ) (**البرهان في علوم القرآن**)، ج١، ص٤١٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

❖ أن لفظ السّنّة ورد في السور المكية والمدنية على حد سواء.

❖ اختلاف المعنى باختلاف الرسم القرآني لكلمة (سنّة).

بعد استقراء مواضع ورود كلمة (السّنة) في القرآن الكريم، يجدر بي أن أبين الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في بيان السّنن الإلهية، وهذا مدار البحث في المطلب الآتي.

المطلب الثالث: الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في بيان السّنن الإلهية.

لا بدّ لمن التعرف على السّنن الإلهية والبحث فيها، من الوقوف وقفة تدبّر للنّص القرآني، ومعرفة الأساليب التي استخدمها رب العزة في بيان هذه السّنن، وذلك للأهمية العظيمة لهذا العلم كما بينت في مطلب سابق[1]، وقد تنوعت الأساليب القرآنية في بيان هذه السّنن، ومن خلال استقراء الآيات القرآنية يتراءى أمام عَيْني أساليب رئيسة يخبر الله تعالى عباده عن سُنته وقوانينه؛ منها:

- ✓ الأسلوب المباشر
- ✓ والأسلوب الضمني
- ✓ والألفاظ الكونية [2]

وفيما يأتي بيان هذه الأساليب:

أولا: الأسلوب المباشر(الصيغة الصريحة): وهو أهم الأساليب وأوضحها وأكثرها استنباطاً، فهو يبين السّنن الإلهية ويبرزها لتكون واضحة في أذهان العباد، ويثبت معنى السّنن

---

١) ص: ١٥

٢) سأقوم بتعريفها حال الحديث عنها

الإلهية في العقول، وهذا الأسلوب يستخدم لفظ (السّنّة) أو ما اشتق منها صريحاً واضحاً لا لُبس فيه، وقد ورد في ستة عشر موضعاً في القرآن الكريم سواء بالإفراد أو الجمع، مضافاً أو غير مضاف، وهذا الأسلوب هو الذي بينته في المطلب السابق فلا داعي للإعادة[1].

ثانيًا: الصيغ الضمنية: أسلوب آخر يسلكه القرآن الكريم في تقرير السّنّة الإلهية هو الصيغ الضمنية، حيثلا يذكر لفظ السّنّة نصًا؛ وإنما يفهم من الآية دلالة وفحوى

وتأتي الصيغ الضمنية على عدة أشكال:

أ- **الصيغة الشرطية:** في هذه الصيغة يتم التعبير عن السّنّة الإلهية؛ بتقرير نتيجة معينة بناءً على وصف أو حالة معينة، أو بناء على سبب أو شرط معينين، وفي هذا الشكل تتمثّل السّنّة التاريخية في قضية شرطية تربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخية، وتؤكّد العلاقة الموضوعية بين الشرط والجزاء وأنّه متى ما تحقّق الشرط، تحقّق الجزاء، وهذه صياغة نجدها في كثير من القوانين والسّنن الطّبيعية والكونية[2].

والصيغة الشرطية تأتي على نوعين: إما صريحة، وإما ضمنية، والأمثلة على النوعين كثيرة في الذكر الحكيم، منها:

❖ الصيغة الشرطية الصريحة: مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ (الأنفال: ٢٩)، فقد

---

١) ص: ٤٧

٢) ينظر: زيدان، **(السنن الإلهية في الأمم)**، ص١٦. الصدر، محمد باقر، **(مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن)**، ص ٨٤ -٨٥.

جعل سبحانه التّقوى شرطاً في الجعل المذكور، فمن يتق الله ﷻ في كل ما يجب أن يتقى- بمقتضى دينه وشرعه، وبمقتضى سننه في نظام خلقه-، يجعل له بمقتضى هذه التقوى ملكة من العلم والحكمة يستطيع من خلالها أن يُفرق بها بين الحق والباطل، ويميز بين الخير والشر، ويمحو بسبب هذا الفرقان وتأثيره ما كان من السيئات، ويغفرها فلا يعاقب عليها[1].

- ❖ الصيغة الشرطية الضمنية: تأتي على شكل وعد أو وعيد، والوعد والوعيد كلاهما فعل شرط يترتب عليه الجزاء[2]، ومما جاء على شكل وعد، قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾(النور: ٥٥)، في هذه الآية بين الله تعالى أن شرط الاستخلاف في الأرض وما يعقبه من التمكين والأمان والعزّ والغَلبة، هو الإيمان بالله تعالى واستسلام لله في كل الأمور مع انتزاع الهوى انتزاع الهوى انتزاع الهوى انتزاع الهوى انتزاع الهوى والشهوات من النفس، فهو إيمان يستغرق الإنسان كله ويتضمن كل ما أمر الله به[3].

---

١) ينظر: القاسمي، **(محاسن التأويل)**، ج٥، ص٢٨٠. رضا، **(تفسير المنار)**، ج٩، ص٥٣٨.

٢) ينظر: الخطيب، **(السنن الإلهية في الحياة الإنسانية)**، ج١، ص ٤٠.

٣) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٤، ص٢٥٢٨.

أما ما جاء على شكل وعيد فمثاله قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣)، أي: فليخش من يخالف شريعة الرسولﷺ باطناً أو ظاهراً، أن تصيبهم فتنة في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا بقتل، أو حد، أو حبس،أو غير ذلك من العذاب الدنيوي.[١]

ب-ورود فعل الله في سياق الجملة الشرطية

وهو الاسلوب الثاني من الصيغة الضمنية وهو على ضربين[٢]:

١- تعليل[٣] عدم الجزاء بوجود المانع: فإذا وُجد الفعل امتنع الجزاء؛ نحو قوله تبارك وتعالى:﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(الأنفال: ٦٨)، أي لولا حكم سابق ثابت من الله ألا يعذب أحداً على العمل بالاجتهاد أو قبل البيان والإعذار لأصابكم أيها المسلمون عذاب عظيم فيما أخذتم فداءً للأسرى ولكن رحمة الله واسعة[٤].

٢- تعليل ترتب الجزاء على وقوع الفعل: أي ترتيب فعل الله على الوصف بصيغة الشرط والجزاء، أي يقع الجزاء إذا وقع الفعل نحو قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة: ٣٨)، فالآية (فإما يأتينكم مني هدى) هي القاعدة

---

١) ينظر: ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج٦، ص٩٠

٢) ينظر: كهوس، محمد رشيد، **(طرائق استنباط السنن القرآنية)**، ص٦، بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثامنة عشرة، العدد: ٦٩، ربيع الثاني ١٤٣١هـ- آذار ٢٠١٠ م.

٣) التعليل، هو إظهار علية الشيء، سواء كانت تامة أو ناقصة، والتعليل هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر. ينظر: الجرجاني، **(التعريفات)**، ص٦١

٤) ينظر: حوّى، سعيد، (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، **(الأساس في التفسير)**، ج٤، ص٢١٩٧، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ.

الكلية التي سيكون عليها مدار فعل الله جل جلاله بهم، أي من اتبع هداية الله وسلك صراطه المستقيم الذي حدده الله تعالى فلا خوف عليه، والاتباع يكون بالقبول له والإيمان به والعمل وجزاء ذلك كله ألا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من أمر الدنيا[١].

ثالثا: الألفاظ الكونية:

بعد بيان الصّيغة الصّريحة والضّمنية؛ سوف استعرض الأسلوب الثالث والذي يتضمّن الألفاظ الكونية، والتي هي قسم من الألفاظ الشرعية، فالألفاظ الشرعية تقسم إلى كونية ودينية "فما كان كونياً فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان دينياً فهو متعلق بألوهيته وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه ودينه، فهو الذي خلَق وشرَع وأمر، وأحكامه جارية على خلْقه قدراً وشرعاً، ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق"[٢].

وقد تأتي بعض الألفاظ الكونية لتدلّ على سُنّة من سُنن الله؛ ومن هذه الألفاظ: الإيتاء الحكم، الإرادة، الكتابة، الأمر،الإذن، الجعل، البعث، الإرسال،التحريم[٣]، وفي ما يلي أمثلة من آيات القرآن الكريم على كل لفظ، وبيان كيف يقرر كل لفظ منها سُنة من سُنن الله تعالى:

---

١) ينظر: رضا، **(تفسير المنار)**، ج١، ص ٢٣٧. حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج ١، ص١١٩.

٢) ابن قيم الجوزية ، أبوعبد الله محمد بن أبي بكر، (المتوفى: ٧٥١هـ)، **(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)**، ص٢٨٠، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس، دار الفكر، بيروت ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.

٣) ينظر: ابن قيم الجوزية،**(شفاء العليل)**، ص٢٨٠

الأمر: مثل قوله تعالى:﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ (الإسراء: ١٦)، في هذه الآية سنه إلهية وهي هلاك المترفين، فالله يأمر المترفين بالطاعة، ولكن فسقهم ومعصيتهم لله يؤدي لدمارهم، قال الطبري: إذا أراد الله بقوم صلاحاً، بعث عليهم مصلحاً يصلح أحوالهم، وإذا أراد بهم فساداً بعث عليهم مفسداً، وإذا أراد أن يهلكهم أكثر المترفين فيهم [1]، وسُنّة الله في المترفين من السُّنن مناط البحث في الفصل القادم بإذن الله تعالى.

الإذن:_مثل قوله تعالى:﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾(فاطر: ٣٢) أي: إن العاملين أقسام ثلاثة: مقصّر في العمل بالكتاب مسرف على نفسه. ومتردد بين العمل به ومخالفته. ومتقدم إلى ثواب الله بعمل الخيرات وصالح الأعمال، وكل ذلك لا يكون إلا بإذن الله أي: بإرادة الله وتوفيقه وفضله[2].

الحكم: مثل قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(الأنبياء: ١١٢)، في هذه الآية سُنّة الله في نصر عباده، والمقصود أي افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرني عليهم[3].

_الإرادة: مثل قوله تعالى:﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ (هود: ٣٤)، وفي هذه الآية حديث عن إرادة الله وقدره، وحديث عن سُنّة الضّلال

---

١) ينظر: الطبري، **(تفسير الطبري)**، ج١٧، ص ٤٠٥.

٢) ينظر: المراغي،**(تفسير المراغي)**، ج٢٢، ص١٣٠. الطنطاوي،**(التفسير الوسيط)**،ج١١، ص٣٥٠

٣) ينظر :الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج٢٢، ص١٩٦.

والآية تعني أن نُصح النبي لقومه لا ينفع بمجرد إرادة هذا النبي لنفع قومه، وإنما يتوقف نفعه على إرادة الله تعالى، ومعنى إرادة الله إغواءهم أي: اقتضاء سُنّة الله تعالى فيهم أن يكونوا من الغاوين المضلين[١]، وسُنة الضّلال هي من السُنّن التي سأبحثها في الفصل القادم بإذن الله تعالى.

التحريم: كقوله تعالى:﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٥) والسّنّة التي تثبتها هذه الآية أن الأمة التي يهلكها الله- بالطّبع على قلوبهم، والختم على سمعهم وأبصارهم بسبب صدّهم عن سبيل الله – أنه يمتنع على هذه الأمة أن ترجع إلى التوبة والإيمان ، وعمل الطاعات،أو الرجوع إلى الحياة قبل يوم القيامة [٢] .

وهناك من أضاف أساليب أخرى سلكها القرآن الكريم في بيان السّنن الإلهية أهمها[٣]:

١ – الاستفسارات الاستنكارية:

نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ (القصص: ٥٧)، فالله سبحانه يستنكر على مشركي قريش رفضهم الإيمان خوفا من الأسر أو الخطف، فجاء ردّ الله تعالى أن فكيف يكون هذا

---

١) ينظر: رضا، **(تفسير المنار)**، ج ١٢، ص٦٠.

٢) ينظر: الطبري، **(تفسير الطبري)**، ج ١٨، ص ٥٢٦. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **(التفسير المنير)**، ج ١٧، ص١٢٩، دار الفكر المعاصر، بيروت ، دمشق، ١٤١٨هـ.

٣) ينظر:عاشور، **(السنن الإلهية في الأمم والأفراد)**، ص ٧٩- ٩٠. كهوس، **(السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي)**، ص ١٦٩ –١٨٨

الحرم آمنا لكم حال كفركم وشرككم ولا يكون أمنا لكم وقد أسلمتم واتبعتم الحق؟ وإن قولكم لا نؤمن خوفا من زوال النعم ليس بحق، بل الإصرار على عدم قبول الإيمان هو الذي يزيل هذه النعم[1].

وهذا من السّنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات .

٢ – أن يذكر الله فعله معللاً إياه بحرف من حروف التعليل[2]:

هناك الكثير من حروف التعليل التي وردت في آيات القرآن الكريم التي تعلِّل أفعال الله ﷻ ومن أمثلة ذلك:

حرف (الباء): نحو قوله تبارك وتعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(النحل: ١١٢)، التعليل بحرف الباء في قوله تعالى"بما كانوا يصنعون"؛ أي: أنهم أُذيقوا لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وصُنعهم الكفر بنعم الله تعالى، ويفهم أيضاً من قوله"ما كانوا يصنعون" أنه عامّ لكل عمل لا يرضي الله غير مخصوص بالكفر بنعمةَ الله، وأشنع ما كانوا يصنعون تكذيبهم رسول الله مع أنه منهم[3].

حرف اللام: مثل قوله جل شأنه:﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(آل عمران: ١٧٨) فالآية تبين سُنّة من سُننه ﷻ وهي: إن إملاء

---

١) ينظر:المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج٢٠، ص٧٥

٢) حروف التعليل: كي، واللام، وإذن، ومَن، ومِنْ، والباء، والفاء، وإنَّ، وإذْ. ينظر: الآمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، (المتوفى: ٦٣١هـ)، **(الإحكام في أصول الأحكام)**، ج٣، ص٢٥٢ تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان

٣) ينظر: ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج١٤، ص٣٠٨

الله للكافرين ليس عناية بهم، وإنما هو جري على سُنّته في الخلق، وهذه السنة قائمة على أن ما يصيب الإنسان من خير وشر هو ثمرة عمله، ومن مقتضى هذه السّنّة العادلة أن يكون الإملاء للكافر عِلّة لغروره وسبباً لاسترساله في فجوره، فيوقعه كلّ ذلك في الإثم الذي يترتب عليه العذاب [1].

حرف (إنَّ): نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(يونس: ٩٦)، قال صاحب المنار: إن الذين لا يتوجّهون إلى التمييز بين الحقّ والباطل، والتّفرقة بين الهدى والضّلال؛ لرسوخهم في الكفر واطمئنانهم به، اقتضت سُنّة الله تعالى فيهم أنهم لا يؤمنون بما يدعوهم إليه الرسل من التوحيد مهما تكن آيات الرسل بينة، وحججهم قوية ظاهرة [2].

حرف (الفاء): نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (هود: ١١٣) الركون معناه: الميل والسكن والاطمئنان إلى الشيء[3]، والمقصود لا يكون منكم الودّ والطاعة للظالمين، وفي معنى قريب لا تميلوا ولا ترضوا بأعمال الظالمين، وعليه فالآية فيها نهي عام عن موالاة الظالمين؛ لأن في موالاتهم مخالفة لأمر الله تعالى، مما يجعل الإنسان عُرضة لأن تمسّه النّار عقاباً له في الآخرة، مع ما يسبق ذلك في الدنيا من تخلي الله ﷻ عن نصرته بسبب موالاته للظالمين؛ لأنه لا وليَّ ولا ناصر إلا الله تعالى[4].

---

١) ينظر: رضا، **(تفسير المنار)**، ج٤، ص٢٠٥

٢) ينظر: رضا، **(تفسير المنار)**، ج١١، ص٢٩٤.

٣) ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١٣، ص١٨٥

٤) ينظر: القرطبي، **(الجامع لأحكام القرآن)**، ج٩، ص١٠٨. الشعراوي، محمد متولي، (المتوفى: ١٤١٨هـ)، **(تفسير الشعراوي)**، ج١١، ص٦٧١٦، مطابع أخبار اليوم.

حرف(إذْ): نحو قوله تعالى في تحقيق أحد وعدي الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(الأنفال: ٧).

مما سبق يتبين أن هناك الكثير من الطرق التفصيلية التي تعيننا على استنباط السّنن الإلهية، وهذه الطرق مما يجب على الباحثين استخدامها في دراسة السور القرآنية للإفادة من السّنن الإلهية في حاضرنا ومستقبلنا، وهذا ما سأتطرق إليه في الفصل الثّاني من خلال استنباط السّنن الإلهية التي تزخر بها سورة الإسراء.

الفصل الثاني

السّنن الإلهية في سورة الإسراء.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: بين يدي سورة الإسراء.

المبحث الثاني: السّنن الإلهية التي تضمنتها سورة الإسراء

المبحث الأول

بين يدي سورة الإسراء

قبل البدء باستنباط السّنن الإلهية التي تضمنتها سورة الاسراء، لا بدّ من الارتحال في جنبات هذه السورة ومعرفة بعض الأمور الهامة عنها من حيث: تسميتها، وعدد آياتها، فضلها وترتيبها، ثم سأعرج للحديث عن سبب نزولها، وبيان المكيّ والمدني فيها، كما سأتطرق للحديث عن مناسبتها للسورة التي قبلها(النحل)،والسورة التي بعدها (الكهف)، وأخيراً الحديث عن أهم موضوعات السورة.

المطلب الأول: اسم السورة، وعدد آياتها.

من المعلوم أن لكل سورة في القرآن الكريم اسماً يميزها، وهذا الاسم إما أن يكون توقيفياً[١] أو اجتهادياً[٢]، قال السيوطي[٣]:"وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث

---

١) التوقيف: نص الشارع المتعلق ببعض الامور، والتوقيفي: المنسوب إلى التوقيف، يقال: أسماء الله توقيفية.ينظر: أبو حبيب، سعدي، **(القاموس الفقهي لغة واصطلاحا)**، ص٣٨٥، دار الفكر. دمشق – سوريا الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨م.

٢) الاجتهاد اصطلاحا: بذل الوسع للتوصل إلى معرفة الحكم الشرعي، ينظر: **(المرجع السابق)** ص٧١، وسميت هذه الاسماء بالاجتهادية لأن الصحابة اجتهدوا في وضع هذه الاسماء كما ورد في تسمية غافر (سورة المؤمن)، ومحمد (سورة القتال).

٣) الجَلال السيوطي(٨٤٩ هـ– ٩١١ هـ)، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ في القاهرة يتيما، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، فألف أكثر كتبه. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه كان يلقب بابن الكتب، له نحو ٦٠٠ مصنف منها: الإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر وتاريخ الخلفاء، والتحبير لعلم التفسير وغيرها. ينظر: الزركلي، **(الأعلام)**، ج٣، ص٣٠١.

والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك"[1]، ومع أنه لم ترِد أحاديث بتسمية كلّ سورة من سور القرآن، إلا أننا نجد أحاديث وردت فيها تسمية بعض السّور، كالفاتحة والبقرة وآل عمران وغيرها ومنه ما رواه أبو أمامة الباهليﷺ[2] قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:"**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران**"[3]، وقد تتعدد أسماء السورة الواحدة، أو تقتصر على اسم واحد، وسورة الإسراء من السور التي تعددت أسماؤها، فلها اسم توقيفي، وأسماء اجتهادية، وفيما يلي بيان هذه الأسماء مع بيان سبب التسمية.

الاسم التوقيفي: الإسراء: عرفت السورة بهذا الاسم واشتهرت به، وسميت به في المصاحف وكثير من كتب التفسير، إلا أنه لم يصرح باسم الإسراء في أي من الأحاديث النبوية وسبب التسمية بهذا الاسم أن أول آية في السورة ورد فيها ذكر حادثة إسراء النبي ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ (الإسراء:١)، إنّ حادثة الإسراء من أعظم معجزات الرسول الحسّية، والتي كان لها شأن عظيم في تاريخ الإسلام والمسلمين، كما ترتبت عليها أثار عظيمة انعكست على الدعوة

---

١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: ٩١١هـ)، (**الإتقان في علوم القرآن**)، ج١ ص١٨٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢) أبو أمامة الباهليّ واسمه: الصدي بن عجلان صاحب رسول الله -ﷺ ، ونزيل حمص، روى علماً كثيراً، وحدث عن عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة. روى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وآخرون، توفي بالشام سنة ست وثمانين، في خلافة عبد الملك بن مروان، وهو ابن إحدى وستين سنة. ينظر: ابن سعد، (**الطبقات الكبرى**)، ج٧، ص٤١٢. ينظر: الذهبي، (**سير أعلام النبلاء**)، ج٥، ص٣٥٤.

٣) مسلم، (**صحيح مسلم**)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج١ ص٥٥٣، رقم الحديث ٨٠٤.

إيجاباً وسلباً فكان من آثارها زيادة في إيمان البعض، ورِدّة وتكذيب البعض الآخر، فحُقّ لهذه السورة أن تسمى سورة الإسراء تيمّنا بهذه المعجزة العظيمة.

الاسماء الاجتهادية:

الاسم الأول:"بنو اسرائيل"[١]:

وردت تسمية السورة بسورة "بني إسرائيل" في حديثين موقوفين من كلام الصحابة ﷺ؛ فقد عُرفت واشتهرت بهذا الاسم في عهد الصّحابة، ومن الآثار التي ورد فيها اسم(بني إسرائيل) ما رواه ابن مسعود[٢] ﷺ قال ﷺ: "**بنو إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تِلادي**"[٣]. والعتاق: "جمع عتيق وهو القديم، أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة...، وقوله (هن من تِلادي)...، أي مما حفظ قديماً والتلاد: قديم الملك... ومراد ابن مسعود ﷺ أنّهن من أول ما تعلم من القرآن، وأن لهنّ فضلاً لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم" [٤].

---

١) في بعض التفاسير ورد اسم الإسراء ولكن من خلال بحثي في أمّات كتب التفسير القديمة، لاحظت أن معظم المفسرين القدامى استخدم في تفسيره اسم(بني اسرائيل)، مثل: السخاوي، والألوسي. السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، (المتوفى: ٦٤٣هـ)، **(جمال القراء وكمال الإقراء)**، ج١، ص١٩٩، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، **(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)**، ج٨، ص٣، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، خادم الرسولﷺ، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، أول من أفشى القرآن بمكة، هاجر إلى أرض الحبشة، شهد المشاهد كلها، له ثمانمائة وثمان وأربعون حديثاً، مات بالمدينة سنة (٣٢هـ). ينظر: ابن سعد، **(الطبقات الكبرى)**، ج٣، ص١٥٠.

٣) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب التفسير، باب سورة بني اسرائيل، ج٤، ص١٧٤١، رقم الحديث٤٤٣١.

٤) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، **(فتح الباري شرح صحيح البخاري)**، ج٨، ص٣٨٨ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

أما الحديث الثاني فما روته عائشة[١] رضي الله عنها قالت:"**كان رسول الله ﷺ يقرأ كلّ ليلةٍ بني إسرائيل والزّمر**"[٢]، والملاحظ أن هذه السورة سميت في كلا الأثرين بسورة بني إسرائيل وسبب التسمية أنه ذُكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها من استيلاء قوم أولي بأس عليهم ثم استيلاء قوم آخرين عليهم[٣]، وما ورد من أخبار عن إفسادهم في الأرض.

الاسم الثاني:"سبحان":

سميت بهذا الاسم؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة، ويلاحظ قارئ السورة أن التسبيح يتكرر في آيات عديدة في السورة[٤]، وبالرجوع إلى كتب التفسير التي بين يدي، وجدت أن أول كتب التفسير التي ذكرت هذا الاسم (سبحان) هو تفسير يحيى بن سلام[٥] حيث أورد في بداية

---

١) عائشة بنت أبي بكر، حبيبة الرسول ﷺ، أمها أم رومان، مات عنها النبي ﷺ وهي ابنة ثماني عشرة كانت عالمة في الفرائض، توفيت سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة. ينظر: ابن سعد، (**الطبقات الكبرى**)، ج ٨، ص٥٨.

٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: ٢٤١هـ)، (**مسند الإمام أحمد بن حنبل**)، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ﷺ، ج٤٠، ص٤٥٢، رقم الحديث ٢٤٣٨٨ تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. وأخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، (**الجامع الكبير – سنن الترمذي**)، كتاب فضائل القرآن، باب ٢١، ج٥، ص٣١، رقم الحديث ٢٩٢٠، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨موقال حديث حسن صحيح . صححه الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، (**صحيح الجامع الصغير وزياداته**)، ج٢ ص٨٧٩، المكتب الإسلامي.

٣) ينظر: ابن عاشور، (**التحرير والتنوير**)، ج١٥، ص٥.

٤) الآية:١ "سبحان الذي أسرى بعبده.."، والآية ٤٣"سبحانه عما يقولون.."، والآية ٤٤" تسبح له السماوات السبع.." ٩٣، والآية" قل سبحان ربي.." ، والآية ١٠٨"ويقولون سبحان ربنا...".

٥) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة أبو زكريا البصري، ولد (سنة ١٢٤هـ)، حدّث عن كثيرين منهم: المسعودي، والثوري، ومالك، وأخذ القراءات عن أصحاب الحسن البصري، روى عنه: ابن وهب، وولده محمد =

تفسيره:"تفسير سورة سبحان"[1]، ولم يقل تفسير سورة الإسراء، ولم يقتصر ذكر هذا الاسم على"يحيى بن سلام"بل ورد عند غيره من العلماء[2]، ولم أقف خلال بحثي على أي حديث سواء كان مرفوعاً أو موقوفاً فيه ذكر لهذا الاسم، بل أعتقد أنه من اجتهادات العلماء.

الاسم الثالث:"الأقصى"[3]: هذا اسم فريد لم يرد إلا في كتاب (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، وتسميتها بالأقصى، يشير إلى قصة الإسراء ، ولم أجد فيما وصل إليه بحثي هذا الاسم في كتاب غيره. والله أعلم.

من هنا يتبين أن للسورة أكثر من اسم أشهرها(الإسراء، وبنو اسرائيل)، وأن هذه الأسماء وغيرها وردت في تأويل المفسرين لهذه السورة، ومن تدبر في هذه السورة فسَيَلمِس- بوضوح- العلاقة الوثيقة بين هذه الأسماء، وأحداث معينة وردت فيها، ويجد أن هناك ارتباطاً واضحاً بين أسماء السورة والأحداث التي وردت فيها، وسوف يتضح ذلك عند دراسة موضوعات السورة في الصفحات القادمة.

أما بالنسبة لعدد آياتها فقد اختلف العلماء في عدد الآيات على قولين:

= بن يحيى ، وأحمد بن موسى، وآخرون، إماماً عالماً، ثقةً، ثبتاً، عالماً بالكتاب والسنة، من كتبه تفسير القرآن والجامع، توفي بمصر (سنة ٢٠٠هـ). الذهبي، **(سير أعلام النبلاء)**، ج٩، ص٣٩٦.

١) ابن سلام، يحيى بن سلام (المتوفى: ٢٠٠هـ)، **(تفسير يحيى بن سلام)**، ج١، ص١٠١، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢) من العلماء الذين ورد في تفاسيرهم اسم (سبحان)، تفاسير: ابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) الواحدي، (المتوفى: ٤٦٨هـ). ابن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ).الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ). القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). ابو حيان الاندلسي، (المتوفى: ٧٤٥هـ). السمين الحلبي، (المتوفى: ٧٥٦هـ). ابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، وغيرهم من العلماء الأقدمين.

٣) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، (المتوفى: ٨٨٥هـ)، **(مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)**، ج٢، ص٢٢٨، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

قال فريق من العلماء إن عدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية، وهذا ما عليه العد الكوفي[1]، أما عند الجمهور فهي مائة وعشر، حيث اختلف العلماء في آية ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾(الإسراء: ١٠٧) عدها الكوفيون ولم يعدها الباقون[2]، وسبب هذا الخلاف كما قال صاحب مناهل العرفان: " إن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي؛ تعليماً لأصحابه أنها رؤوس آيات، حتى إذا علموا ذلك، وصل ﷺ الآية بما بعدها طلباً لتمام المعنى، فيظن بعض الناس أن ما وقف عليه النبي ﷺ ليس فاصلة فيصلها بما بعدها معتبراً أن الجميع آية واحدة، والبعض يعدّها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها"[3]، ويلاحظ أن جميع المصاحف التي بين أيدينا توثق عدد آياتها بمائة وإحدى عشرة آية

المطلب الثاني: فضل سورة الإسراء.

القرآن الكريم كتاب عظيم؛ يحوي فضائل عدة، ويمكن القول إن لكل سورة فضلاً خاصاً بها، ويمكن اعتبار ما رواه ابن مسعود عائشة رضي الله عنهما من باب فضائل هذه السورة فلأهمية هذه السورة حثّنا النبي ﷺ على قراءتها كلّ ليلة، ولعلّ في اتِّباعنا لسنّة الرسول ﷺ

---

١) العد الكوفي: أحد مذاهب عدّ آي القرآن الكريم، وهو ما رواه حمزة (أحد القراء السبعة) عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب، وما رواه سفيان عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب، وعدد آي القرآن الكريم عندهم ٦٢٣٦. والمصاحف التي بين أيدينا اتبع طريقة الكوفيين لأن حفصاً راوي عاصم كوفي. ومن ثم فعدد آيات هذه المصاحف ٦٢٣٦. ينظر: الجرمي إبراهيم محمد، **(معجم علوم القرآن)**، ص١٩١، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٢) ينظر: الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، **(المتوفى:٤٤٤هـ)**، **(البيان في عدّ آي القرآن)** ص١٧٧، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٣) الزرقاني، محمد عبد العظيم، **(مناهل العرفان في علوم القرآن)**، ج١، ص٣٤٤، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

وقراءتنا لسورة الإسراء، ترسيخاً لعقيدتنا في أنّ صراعنا مع اليهود ماضٍ إلى أن يأذن الله بزوال هذا الكيان المسخ.

وقد ورد غير ذلك من الفضائل، لم أتطرق إليها لضعفها، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب مصاعد النظر[١]

المطلب الثالث: ترتيب سورة الإسراء

أولاً: **ترتيب السورة حسب النزول.**

من المعلوم أن ترتيب السور على نوعين: إما حسب النزول، وإما حسب ترتيب المصحف، ويجد الباحث أن سورة الإسراء نزلت بمكة المكرمة بعد سورة القصص، فهي السورة التاسعة والأربعون في ترتيب النزول[٢]، ومن العلماء من عدّها السورة الخمسين في تعداد نزول سور القرآن الكريم[٣]، واعتقد أن سبب الاختلاف يرجع إلى اختلاف العلماء في كون سورة الفاتحة من أوائل ما نزل من القرآن الكريم[٤]، أم أنها(الفاتحة) ليست كذلك، فمن قال إن الفاتحة كانت من أوائل ما نزل؛ تكون النتيجة أن سورة الإسراء هي السورة الخمسون في ترتيب النزول أما من عدّ الفاتحة متأخرة النزول فتكون الإسراء هي التاسعة والأربعون.

---

١) ينظر: البقاعي، **(مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)**، ج٢، ص٢٣٢

٢) ينظر: الزهري، ابن شهاب،(المتوفى: ١٢٤)، **(تنزيل القرآن)**، ص٢٧، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الحديث – بيروت، الطبعة: الثانية ، ١٩٨٠م. الزركشي، **(البرهان في علوم القرآن)**، ج١ ص١٩٣

٣) ينظر: ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج١٥، صِ٧.

٤) ينظر: السيوطي، **(الاتقان في علوم القرآن)**، ج١، ص ٤٠، ص٩٦.

وهذه المسألة (ترتيب السورة حسب النزول) أمر غير متفق عليه،لأن القرآن كما هو معلوم نزل في معظمه نجوماً، وهذا الترتيب مأخوذ من رواية جابر بن زيد[1] والتي اعتمدها صاحب كتاب الاتقان[2]، فالموضوع بحاجة إلى تحقيق ودراسة وليس هذا مقامه، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليه.

ثانياً: ترتيب السورة في المصحف.

من المعلوم أن ترتيب السور في القرآن الكريم يختلف عن ترتيبها حسب النزول، وعليه فليست الفاتحة أول سورة نزلت، وسورة الناس ليست الأخيرة، وسورة الإسراء هي السابعة عشرة في ترتيب المصحف، يسبقها سورة النحل، ويليها سورة الكهف، وهذا الترتيب ترتيب توقيفي، ولا يخفى على قارئ القرآن الكريم.

المطلب الرابع: مكيّ سورة الإسراء ومدنيها:

سورة الإسراء من السور المكية، وقد ذكرت في مطلب سابق أنها من العتاق الأول؛ أي من أوائل ما نزل في مكة المكرمة، وأجمع جمهور العلماء على ذلك، إلا أن بعض علماء الأمة ذهبوا إلى القول بوجود بعض الآيات المدنية فيها، مع عدم اتفاقهم على المدني منها، قال صاحب الكشاف:"مكية إلا الآيات: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٦)، و﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:٣٢) و﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ

---

١) أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي ، تابعي فقيه، من الأئمة، عالم أهل البصرة في زمانه، ، قال عنه شيخه ابن عباس: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد، لأوسعهم علما عما في كتاب الله.، توفي سنة ثلاث وتسعين. ينظر: الذَهَبي، **(سير أعلام النبلاء)**، ج٨، ص٣٩

٢) ينظر: السيوطي، **(الاتقان في علوم القرآن)**، ج١، ص ٩٦

مَنصُورًا ﴾ (الإسراء:٣٣) و﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴾و (الإسراء:٥٧) ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾فمدنية"[١].

ومنشأ الخلاف أن ظاهر الأحكام التي اشتملت عليها تلك الآيات يقتضي أن تلك الآيات لا تناسب حالة المسلمين قبل الهجرة مما دفع بعض العلماء الى القول بمدنية هذه الآيات.[٢]

والقول بوجود آيات مكية في السور المدنية، ووجود آيات مدنية في السور المكية بحاجة إلى تمحيص وتحقيق، وليس هذا موضعه، ولكن أنقل ما ذهب إليه صاحب كتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن)، والذي قام بتمحيص كثير مما ادُّعِي أنه من باب المدني في السور المكية وأما المكي في السور المدنية فأثبت عدم صحته،حيث يقول: "والذي يظهر لي أنه (أي وجود آيات مكية في سور مدنية) شيء لا وجود له، فلا يعقل أن تنزل الآية في مكة المكرمة، وأن تبقى سنين طويلة لا مكان لها إلى أن تنزل السورة في المدينة المنورة، ثم توضع تلك الآيات، أو

---

١) ينظر: الزمخشري، **(الكشاف عن حقائق التنزيل)**، ج٢، ص٦٤٦.

٢) ينظر: ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)** ج١٥، ص٦.

الآية، أو الآيتان في تلك السورة وننبه هنا على أن ما استثنوه في السور المكية من آيات مدنية يظهر فيه الغلو والتكلف في كثير من الأحيان، وقَلّ أن نجد سورة من السور المكية، إلا وقد استثنوا منها آيات قالوا: إنها مدنية، وفي أغلب الأحوال يكون هذا الاستثناء لأسباب واهية، إما رواية ضعيفة، وإما ذكر كلمة وهم أنها ليست مما ينزل في مكة، وإمّا حمل بعض الكلمات على تفسير معين"[١]

المطلب الخامس: مناسبة سورة الإسراء لما قبلها (سورة النحل)، وما بعدها(سورة الكهف).

تعددت أقوال العلماء في ذكر مناسبة السورة لما قبلها، قال صاحب البحر المحيط: إنه تعالى لما أمر نبيه بالصبر ونهاه عن الحزن على الكفرة، وضيق الصدر من مكرهم وما اتهموا به النبي ﷺ من الكذب والسحر والشعر وغير ذلك – وحاشاه –، عقّب ذلك بذكر شرفه وفضله وعلو منزلته عنده عز شأنه[٢]، أما السيوطي فقال:"وقد ظهر لي في وجه اتصالها بسورة النحل: أنه سبحانه لما قال في آخر النحل:﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾ (النحل: ١٢٤)، فسر في هذه السورة شريعة أهل السبت وشأنهم، فذكر فيها جميع ما شرع لهم في التوراة"[٣].

---

١) عباس، فضل حسن، (**إتقان البرهان في علوم القرآن**)، ج١، ص٣٨٠، دار الفرقان، عمان الأردن، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢) ينظر: ابو حيان، (**البحر المحيط في التفسير**)، ج٧، ص٧.

٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،(المتوفى: ٩١١هـ)، (**أسرار ترتيب القرآن**)، ص١٠٣، دار الفضيلة للنشر والتوزيع

وقال صاحب روح المعاني : "وجه المناسبة بينهما اشتمالهما على ذكر نعم منها خاصة ومنها عامة، وقد ذُكِر في سورة النحل من النِّعم ما سُمِّيت لأجله سورة النّعم، واشتمال كلتيهما على ذكر شأن القرآن العظيم، وذكر سبحانه في النحل: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ﴾ (النحل: ٦٩)، وذكر في الإسراء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الإسراء: ٨٢)"[1].

أما بالنسبة لمناسبة سورة الإسراء لما بعدها (سورة الكهف)، فقد ذكر السيوطي أوجه عدة في بيان المناسبة بين السورتين منها: افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام؛ بحيث يسبق التسبيح التحميد؛ وأضاف: وهناك وجه آخر أحسن في الاتصال؛ وذلك: أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، وقد ذكر جواب السؤال الأول في آخر سورة بني إسرائيل، فناسب اتصالها بالسورة التي اشتملت على جواب السؤالين الآخرين.

ووجه ثالث لمّا نزل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(الإسراء:٨٥)، قال اليهود: قد أوتينا التوراة، فيها علم كل شيء؛ فنزل قوله تعالى:﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ (الكهف: ١٠٩) في هذه السورة، وأيضًا لما قال في الإسراء: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾ (الإسراء: ١٠٤) شرح ذلك هنا

---

١) الألوسي، (**روح المعاني**)، ج٨، ص٣.

وبسطه بقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾(الكهف: ٩٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا﴾ (الكهف: ١٠٠) فهذه وجوه عديدة في الاتصال.[١]

هذه أهم أوجه المناسبة بين سورة الإسراء وما قبلها وما بعدها من السور، انتقل بعدها للحديث عن أهم موضوعات سورة الإسراء، وبسط ذلك في المطلب السادس.

المطلب السادس: موضوعات سورة الإسراء.

بما أن سورة الإسراء سورة مكية، فهي كغيرها من السور المكية تقوم على تقرير التوحيد والعقيدة السليمة، وهي تتحدث في المُجمل عن النبي ﷺ ورسالته، وعن القرآن الذي نزل عليه وموقف المشركين منه.

يرى المتدبر لهذه السورة أن الله ﷻ بين فيها فضل الرسول ﷺ، وانطَوت السورة على ذكر المقام المحمود، الذي خصّ به النبي ﷺ، وهو مقامه في الشفاعة الكبرى، حسبما ثبت في الصحيح وانعقد عليه إجماع أهل السّنّة، ولا يوجد في القرآن الكريم سورة تضمنت من خصائصه التي فضل بها الأنبياء كافة مثل ما تضمنت سورة الإسراء[٢]

---

١) ينظر: السيوطي، **(أسرار ترتيب القرآن)**، ص١٠٥

٢) ينظر: الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (المتوفى: ٧٠٨هـ)، **(البرهان في تناسب سور القرآن)**، ص٢٤٧، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

وفيما يلي أهم ما تناولته سورة الإسراء[1]:

أولاً: تعرّضت سورة الاسراء لمعجزة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التّكريم الإلهي للنبي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ (الإسراء:1)

ثانياً: الحديث عن بني إسرائيل، والحديث عن ماضيهم وفسادهم في الأرض، وعقوبة الله تعالى لهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٤)

ثالثاً: الإشارة إلى بعض الآيات الكونية التي تدل على العظمة والوحدانية، والحديث عن النظام الدقيق الذي يحكم الليل والنهار.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ ﴾(الإسراء: ١٢)

رابعاً: عُنِيَت الآيات بالحديث عن مكارم الأخلاق وضرورة التحلي بها.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ (الإسراء: ٢٣)

خامساً: بيان ضلالات المشركين حيث نسبوا الصاحبة والولد لله سبحانه.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ (الإسراء: ٤٠)

---

١) ينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (المتوفى: ٨١٧هـ)، **(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)**، ج١، ص٢٨٨، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م. ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)** ج١٥، ص٧. الزحيلي، **(التفسير المنير)**، ج١٥، ص٥. شحاته، عبد الله محمود، **(أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم)**، ص١٩١ –٢٠٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

سادساً: الحديث عن القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الخالدة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:٩)

سابعاً: تحدثت عن طبيعة الرسول ﷺ وبشريته، وبينت نظرة الإسلام المعتدلة إلى الرسولﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٣)

ثامناً: ختمت السورة بتنزيه الله سبحانه عن الشريك، وعن صفات النقص التي افتراها الكافرون على الله ﷻ، حيث ختمت بآية العزة التي كان النبي ﷺ يعلمها للفتى من بني هاشم إذا بلغ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ١١١)

وبعد:

فهذا الترحال بين يدي السورة الكريمة، كان لا بدّ منه قبل البدء بعرض أهم السّنن الإلهية التي تضمنتها هذه السورة، والتي ستكون مدار البحث في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني

السّنن الإلهية في سورة الإسراء

إن موضوع السّنن الإلهية في القرآن الكريم يحتاج إلي بحث تحليلي وذلك نظراً للفترة التاريخية الهامة التي تمر بها الأمة، والتي– تتصف في معظمها بالسّواد– ولذلك فالأمة في أشد الحاجة لمعرفة وفهم السّنن الإلهية، حتى تستطيع القيام بدورها في البناء الحضاري بما كلفها الله ﷻ من مهمة الخلافة في هذه الأرض، وعمارتها على الوجه الأمثل.

وقد زخرت سورة الإسراء بسنن إلهية كثيرة، تباينت ما بين السّنن الفردية والجماعية فسّنة الله ﷻ في الصراع مع اليهود، وسنته في عقاب الأمم الجاحدة، وسنّة الله تعالى في الترف والمترفين هي من أشكال السنن الإلهية في الجماعات، أما سنة الله في الهداية والضلال، وسنة الاستفزاز فهي من قبيل السّنن الإلهية الفردية .

ولأن أهم قضية تؤرق مضاجع المسلمين، قضية صراع اليهود الصهاينة مع الأمة الإسلامية وللتعرف على سنة الله تعالى في الصراع مع اليهود، والوقوف عليها بالتفصيل، جاء المطلب الأول

المطلب الأول: سنة الله ﷻ في الصراع مع اليهود.

كثيرةٌ هي الآيات التي تتحدث عن اليهود، وعظيمة هي السّنن الإلهية التي تتعلق بهم، إلا أنني في هذا المطلب سأقتصر في الحديث على سُنن الله في اليهود وصراع المسلمين معهم، والتي برزت في آيات سورة الإسراء، وأبرز أشكال هذا الصراع هو احتلالهم لأراضي الوقف الإسلامي– فلسطين– والاعتداء على المقدسات والحجر والشجر والبشر، وقد تباينت الأراء في كيفية التعامل مع هذا المحتل الغاصب ففي الوقت الذي يرى فيه فريق من الناس أن الاحتلال أمر واقع ولا بدّ من التعايش معه، وعقد معاهدات الصلح واتفاقيات السلام من خلال التفاوض والرضوخ لإملاءاته وشروطه– وقد ثبت فشل هذه المفاوضات– ، نهج فريق آخر نهج الجهاد في سبيل الله في حرب استنزاف لهذا العدو، مؤكدين على أن السبيل الوحيد للتعاطي مع هذا المحتل هو الجهاد الذي أمر الله تعالى به من أجل تحرير الأرض كل الأرض، وتطهير المقدّسات جميعها؛ لأن الصراع مع هذا الصهيوني الغاصب صراع عقيدة، صراع بين الحق والباطل.

وقد نبَّه الله ﷻ إلى أن الصراع مع اليهود صراع مُستمِر، وأن عداوتهم لنا دائمة مستمرة، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ (المائدة: ٨٢) وصراعنا مع اليهود صراع قديم حديث، ماض حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فهذه قضيتنا الفلسطينية تطوف في أرجاء المحافل الدولية منذ ما يقارب السبعين عاماً، منذ أن أعطى الإنجليز وعد بلفور[1] لليهود؛ فأعطوا الأرض التي لا يملكونها (فلسطين) لمن لا يستحقونها (اليهود)، وها هي ذي السنوات تمر والاحتلال لا يزال جاثماً على صدر فلسطين وأهلها، دون أن

---

١) هو الوعد الذي صدر يوم ٢–١١ ١٩١٧م على لسان وزير خارجية انجلترا (آرثر بلفور) والذي التزم فيه الانجليز بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. ينظر: السويدان، طارق، **(فلسطين التاريخ المصور)** ص٢٢٦، دار الإبداع الفكري، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

يلوح في الأفق بارقة أمل، لكن المسلم يستمد يقينه وأمله من آيات سورة الإسراء التي تتضمن أعظم البشائر ألا وهي انتصار المسلمين وهزيمة اليهود وزوال كيان اليهود الهش، ولعل في الحديث عن بني اسرائيل في سورة مكية إشارة واضحة إلى حقيقة صراع المسلمين مع اليهود فسورة الإسراء هي مرجعية كل مسلم في صراعه مع اليهود.

وللحديث عن نهاية هذا الكيان اليهودي الغاصب، لا أجد مقدمات أوثق من القرآن الكريم لتصور نهاية الصراع مع هذا الكيان، فهذه المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية منذ أكثر من نصف قرن هي مرحلة مؤرخة قرآنياً في مطلع سورة الإسراء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾(الإسراء: ٤- ٧).

هذه الآيات هي اللب في صراعنا مع اليهود، من حيث بيان طبيعته ؛ فهو صراع بين رسالتين: رسالة الحق التي يمثلها المسلمون ورسالة الباطل التي يمثلها اليهود، وسيبدأ هذا الصراع على أرض المدينة ، وينتهي على الأرض المباركة وما حولها [1]، ومع أن الآيات لا

---

١) ينظر: الخالدي، صلاح، **(حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية)**، ص١٥٠، منشورات "فلسطين المسلمة"، الطبعة: الثانية، لندن، ١٩٩٥م

تشير إلى يهود المدينة ، ولا تشير إلى أن بدء الصراع سيكون في المدينة،إلا أنه يمكن تبني قول صاحب كتاب (حقائق قرآنية)، والقول إن بدء الصراع سيكون منطلقاً من المدينة .

في هذا المطلب أقوم باستقراء أراء المفسرين في آيات سورة الإسراء، والبحث في قول الله تعالى ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾ (الإسراء:٤)، ومناقشة أقوال المفسرين القدامى والمعاصرين ودراسة هذه السّنّة من عدة محاور، أولها بيان بداية الصراع، ثم بيان (هل مضى الإفسادان أم أن هناك إفساد معاصر)، وأخيرا بيان كيف ستكون نهاية هذا الإفساد من منظور السّنن الإلهية.

أولا: متى بدأ الصراع؟

إن الصراع بين المسلمين واليهود ليس صراعاً جديداً، بل بدأ منذ ظهور الإسلام وانتقال النبوة من نسل اسحاق عليه السلام إلى نسل اسماعيل عليه السلام واصطفاء محمد ﷺ خاتماً للرسل، فمنذ ذلك الوقت امتلأت قلوب اليهود حقداً وحسداً؛ فقد كانت النبوة والرسالة متوارثة في بني إسرائيل ابتداءً من يعقوب (إسرائيل) عليه السلام ومروراً بيوسف عليه السلام، وانتهاء بعيسى عليه السلام الذي كان آخر أنبياء بني إسرائيل ثم انتقلت النبوة إلى بني إسماعيل، وما كان اليهود ليتصوروا ذلك، فقد ظنوا أن النبوة وراثة في بني اسرائيل، لذا فما أن بُعث النبي ﷺ حتى كذبوا نبوته وأنكروها، وناصبوه العداء، وما حدث من يهود المدينة (بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة) مع النبي ﷺ إلا أكبر شاهد وأكبر دليل على عداء اليهود للنبي ﷺ ودعوته.

وقد سئل أحدهم عما يجد في نفسه تجاه محمد قَالَ: "عداوتُهُ والله ما بَقِيتُ".[1]

ومع تعدُّد أشكال الصراع بين المسلمين واليهود وامتداده على مرّ التاريخ، من بعثة محمد ﷺ حتى زمن احتلال فلسطين، إلا أن هذا الصراع الذي نعيشه هو أطول صراع في التاريخ حيث إنه تأجج منذ ما يزيد على خمسة عشر قرنًا من الزمان، هي عمر هذه الدعوة، وسيظل مشتعلًا الى أن يأذن الله بنهايته الحتمية التي لا شك فيها.

وقد تعددت أسباب الصراع، إلا أن أهمها الصراع على أرض فلسطين المباركة وما حولها والذي بينته سورة الاسراء.

ثانياً: ما هما الإفسادان المذكوران في سورة الإسراء؟

بعد بيان بداية الصراع انتقِل للحديث عن الافسادَيْن الواردَيْن في فواتح سورة الإسراء وما معنى كَوْن الإفساد مرتين؟ وهل مضى وعدهما، أم لا ؟

باستقراء كتب التفسير، وجدت تعدداً في أقوال العلماء في الافسادَيْن، هل وقعا أم سيقعان مستقبلاً؟، وكان لكل فريق أدلّة يبني عليها رأيه، وهذا التّعدد في أقوال العلماء يؤكد أن أقوالهم وآراءهم إنما هي اجتهادات – مما يجعل في الأمر فسحة لدراسة تفسيرها في العصر الحديث– وهذه الأقوال هي:

القول الأول: إن الافسادَيْن وقعا قبل الإسلام وانتهيا.

القول الثاني: إن أحد الافسادَيْن وقع قبل الإسلام والآخر سيقع في المستقبل.

---

١) القائل حيي بن أخطب زعيم بني النضير عندما تيقن أن محمداً نبي الله. ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، (المتوفى: ٢١٣هـ)، **(السيرة النبوية لابن هشام)**، ج١، ص٥١٩ تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

القول الثالث: كلا الإفسادَيْن في زمن الإسلام.

ومع اختلاف المفسرين في تفسير هذه الآيات؛ فإن ذلك لا يقدح في حَتْمِيَّةِ زوال هذا الكيان الصهيوني، وانتهاء ظُلْمِ اليهود واغتصابِهم لفلسطين، وإن هذا وعد الله ﷻ الحق، ووعد الله لا مراء فيه ولا شكّ، وإليك دراسة هذه الأقوال دراسة تحليلية

القول الأول: إن الإفسادَيْن وقعا قبل الإسلام وانتهيا.

ذهب أكثر المفسرين القدامى وبعض المحدثين إلى أن الإفسادَيْن المذكورين في آيات (الإسراء) قد وَقعا قبل الإسلام[1]، وبناء على هذا القول، فإنّ كل ما حصل ويحصل لليهود بعد الإسلام هو من قبيل ثبات واطراد السّنن الإلهية التي توقع العقوبة على كل مفسد.

ومع ذهاب هذه الفئة من المفسرين إلى أن الإفسادَيْن قد وقعا، رجّح كثير منهم أن إفساد بني إسرائيل الأول كان بقتلهم أنبياءهم، وقال مفسرون آخرون إن إفسادهم كان بمخالفة أحكام

---

١) ينظر: من القدامى: الطبري، **(جامع البيان)**، ج ١٧، ص ٣٥٦-٣٦٥. الزمخشري، **(الكشاف)** ج٢ ص٦٤٩. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (المتوفى: ٦٨٥هـ) **(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، ج٣، ٢٤٨، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ. ابو حيان، **(البحر المحيط)**، ج٧، ص١٢. ومن المحدثين: المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٥، ص١٤. قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٤ ص٢٢١٣، ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج ١٥ ص٢٩. الجزائري، أبوبكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، **(أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير)**، ج٣ ص١٧٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، **(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**، ص٤٥٤، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. الخولي، البهي،(بنو اسرائيل في الميزان)، ص٢٠٦- ٢١٥، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. الزحيلي، **(التفسير المنير)**، ج١٥، ص١٩. حجازى، محمد محمود، **(التفسير الواضح)**، ج٢، ص٣٥٥، دار النشر: دار الجيل الجديد.

التوراة. وقال فريق آخر: إن إفسادهم في المرتين كان بعمل المعاصي والبطر بنعم الله، والعلّو في الأرض والتكبر فيها، واستحلال المحارم وسفك الدماء، أما الإفساد الثاني فذهب معظم المفسّرين إلى أنه كان بقتلهم يحيي عليه السلام[1]، وقال فريق آخر بل كان بقتل زكريا ويحيى وقَصد قتل عيسى عليهم السلام.[2]

وبعد استقراء آراء المفسرين القائلين بهذا القول، اتضح لديّ أن هؤلاء المفسرين ذهبوا لذكر روايات شيخ المفسرين الطبري واقتصروا عليها، وليس هذا بِمُسْتغرب على المفسرين القدامى، فقد عاشوا في زمن كان اليهود فيه جماعة ذليلة مشرّدة في أصقاع الأرض. ولكن ما لفت نظري، هو ذهاب بعض المفسّرين المحدثين إلى ما ذهب إليه الأقدمون دون الرّبط بين هذه الآيات والواقع المرير الذي وصل إليه المسلمون في أرض الإسراء، بسبب فساد اليهود وإفسادهم.

أدلة القائلين بانقضاء الإفسادين:

استدل العلماء القائلون بهذا القول بمجموعة من الأدلّة منها:

آيات سورة الإسراء تتفق مع آيات أخرى دلت صراحة على انقضاء إفسادَيْ بني إسرائيل قبل الإسلام؛ وهي قول الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾(المائدة: ٧١)، وهذا التفسير يأتي في سياق تفسير القرآن

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٣٦٧-٣٨٥. القرطبي، **(الجامع لأحكام القرآن)**، ج١٠ ص٢١٥. الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج٢٠، ص٢٩٩. السعدي، **(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)** ص٤٥٣

٢) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (المتوفى: ٥٩٧هـ)، **(زاد المسير في علم التفسير)**، ج٣، ص١١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ. **البيضاوي، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، ج٣، ص٢٤٨.

بالقرآن، وقد اعتمدوا في رأيهم هذا على قول القفال[1]، فقد ورد في تفسيره لآية المائدة قوله:"ذكر الله تعالى في سورة (بني إسرائيل) ما يجوزُ أن يكونَ تفسيراً لهذه الآية، فقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾(الإسراء: ٤-٧)، فهذا في معنى قوله تعالى: ﴿ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾(المائدة:٧١)، وقد نقلَ رأيَ القفَّال الكثير من المفسرين القدامى [2]، واعتمدوا في رأيهم على هذا القول .

٢- استدل بعض المفسرين أن في قول الله تعالى:﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾(الإسراء:٨) دليلاً على أن الافسادَيْن قد وقعا قبل الاسلام؛ أي عسى ربكم أن

---

١) أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال، ولد سنة إحدى وتسعين ومائتين. كان فقيهاً محدثاً أصولياً لغوياً شاعراً، لم يكن بما وراء النهر مثله وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، وعنه انتشر مذهب (الشافعيّ) في بلاده. مولده ووفاته في الشاش (وراء نهر سيحون) رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام. من كتبه: أصول الفقه، ومحاسن الشريعة، وشرح رسالة الشافعيّ، توفّي سنة خمس وَسِتِّينَ وَثَلَاث مائَة. ينظر: الصفدي، **(الوافي بالوفيات)**، ج٤، ص٨٤

٢) ينظر: الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج١٢، ص٤٠٧. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، (المتوفى: ٨٥٠هـ)، **(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)**، ج٢، ص٦٢٢، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٦هـ . القاسمي، **(محاسن التأويل)**، ج٤، ص٢١١.

يرحمكم بعد المرّة الثانية إن تبتم، وَإِن عُدتم مرة أخرى عُدْنا مرة ثالثة إلى عقوبتكم، وقد عادوا إلى المعصية، فبعث الله عليهم ملوكاً من ملوك فارس والروم،. ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم محمداﷺ ، ففرضت عليهم الجزية فأدوها صاغرين.[١]

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالى توعد اليهود بالعذاب في حال إفسادهم، وأنهم كلما عادوا إلى الإفساد عاد الله تعالى عليهم بالعذاب والإذلال، وسلّط عليهم عباداً يذيقونهم العذاب في الدنيا مع ما ينتظرهم في الآخرة من العذاب، فسنن الله تعالى ماضية وجزاؤه واقع بهم لا محالة، وقد بيّن العلماء أن المرتين المذكورتين هما سلسلة من سلاسل إفسادهم المتتالي على مرّ الزمن، فإفساد اليهود متعاقب بتعاقب الرسل المرسلين إليهم من لدن موسى عليه السلام حتى محمد ﷺ فكما أفسدوا في زمن نبيهم موسىعليه السلام، أفسدوا مع انبيائهم بعده واستمر حتى بعثة محمد ﷺ فسلّط الله تعالى عليهم المسلمين؛ فأخرجوهم من الجزيرة العربية كلها، ومع انتشارهم في أرجاء الأرض وعودتهم للإفساد، سلّط الله تعالى عليهم عباداً آخرين كما حصل معهم من تسلُّط الأوروبيين عليهم، وهاهم أولاء اليوم يعودون للإفساد في أرضنا فلسطين، ولَيُسلِّطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعد الله القاطع، وفقا لسنته التي لا تتبدل ولا تتغير[٢] من هنا يمكن القول إن من ذهب إلى هذا القول، ذهب إلى وجود سنة إلهية في اليهود وهي أنهم (كلما

---

١) ينظر: الزمخشري، (**الكشاف**)، ج٢، ص٦٥٠. ابن الجوزي، (**زاد المسير في علم التفسير**)، ج٣ ص١٢.البيضاوي، (**انوار التنزيل**)، ج٣، ص٢٤٩. ابو حيان، (**البحر المحيط**)، ج٧، ص١٧. الهرري، (**تفسير حدائق الروح والريحان**)، ج١٦، ص٢٧. طنطاوي، محمد سيد، (**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**)، ج٨ ص٢٩٦، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

٢) ينظر: قطب، (**في ظلال** القرآن)، ج٤، ص٢٢١٤.

عادوا للإفساد عاجلهم الله تعالى بالعقوبة)، مصداقا لقول الله تعالى:﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(الأعراف: ١٦٧).

٣- اعتمد المعاصرون ممن قالوا بانقضاء الإفسادَيْن على أدلة المفسرين القدامى وإجماعهم بانقضاء الإفساديْن، وذهبوا إلى أن انقضاء الإفساديْن لا خلاف فيه بين الصحابة والتابعين والمفسرين الأوائل، ولا بدّ من موافقتهم على ذلك، إضافة إلى أن الوقائع التاريخية-حسب رؤيتهم- تؤكد انقضاء الافسادَيْن.[١]

وقد دافع بعض المعاصرين عن تفسير الأقدمين القائلين بمضي الافسادَيْن وقالوا: إن سبب هذا التفسير انقسام المفسّرين إلى أحد نموذجين:

- ❖ مفسر مجتهد قابض على النص ناظر فيه، وناظر إلى ذلّة اليهود وضعفهم في ذلك الوقت وتفرّقهم في أصقاع الأرض، ولم يتخيل أن يعود اليهود إلى المسجد الأقصى وأن يبسطوا سلطانهم عليه مرة أخرى، سيّما وأن اليهود في ذلك الوقت لم تكن لهم دولة أو وطن يجمعهم، ومن كان منهم في بيت المقدس كان تحت حماية دول إسلامية قوية (الدولة الاموية، والعباسية ، والعثمانية)، وأضاف هؤلاء أن الآيات من قبيل القصص القرآني القصد منها تعليل ما وقع على بني إسرائيل وتقرير السّنن الاجتماعية فيهم ليكون فيها العبرة والمثل للناس جميعهم على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

---

١) ينظر: الخولي، **(بنو اسرائيل في الميزان)**، ص٢٠٩-٢١٧. الحلو، خالد، **(أتى أمر الله فلا تستعجلوه)**، ص٢١٧، دار الأسرة للنشر والتوزيع، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

❖ النموذج الآخر فكان المفسر المقلد، وبرز ذلك في في عصور الغلبة والضعف الذي وصل إليه المسلمون يومها، فلا يجرؤ على تجاوز ما قاله المفسرون السابقون.[١]

وعليه فالذُّل الذي عاشه اليهود في زمن عزّ الإسلام، وما كان عليه المفسرون من الأخذ بأقوال السابقين دون القدرة على مناقشتهم فيما ذهبوا إليه من القول بانقضاء الإفسادين هو الذي جعل بعض المعاصرين يدافعون عن قول القائلين بانقضاء الإفسادين.

أما تأويلهم لقول الله تعالى: ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الإسراء: ٧)، أي : وليدخل العدوّ الذي يبعثه الله تعالى عليكم مسجد بيت المقدس قهراً منهم لكم وغلبة، كما دخلوه أوّل مرَّة حين أفسدتم الفساد الأول في الأرض، فقد سلّط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزوهم [٢]

مما سبق يُستنتج أن الإفسادين (الأول والثاني) قد وقعا من وجهة نظر الجيل الأول من المفسّرين وبعض المفسّرين المحدثين، وأن الآيات تتحدث عن إفسادين حدثا فعلاً في تاريخ بني إسرائيل القديم، ولا علاقة للمستقبل في تفسير الآيات.

---

١) ينظر: الخالدي، **(حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية)**، ص١٥٣. ياسين، **(سنة الله)**، ص٧١.

٢) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٣٨٨

القول الثاني: إن أحد الإفسادين وقع قبل الإسلام والآخر سيقع في زمن الإسلام

ذهب إلى هذا القول بعض العلماء المعاصرين[1]، يقول صاحب كتاب (زوال اسرائيل): "عندما تكون المرّة الأولى قد تحققت قبل الإسلام – وهذا ما حصل في الواقع – والثانية تتحقق في مستقبل المسلمين، فإن الأمر عندها يكون مفهوماً، سيّما وأننا نعيش زمن تحقق الثانية".[2]

أدلةُ هذا الرأي:

١– اختلاف النظم القرآني في الحديث عن الإفسادين، فالإفساد الذي حصل قبل نزول القرآن تحدث الله ﷻ عنه بالفعل الماضي: (بعثنا – جاسوا) وذلك في قوله تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ (الإسراء: ٥) أما ما سيقع مستقبلاً فكان الحديث عنه بالفعل المضارع الذي يدل على المستقبل (ليدخلوا، ليتبروا) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾(الإسراء: ٧) فلو أن الإفسادين انقضيا فلا داعي لتغيير النظم.[3]

٢– لفظ (المسجد) في قول الله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ (الإسراء: ٧)، يدل على أن أحد الإفسادين سيكون في

---

١) ينظر: الخطيب، عبد الكريم، (المتوفى: ١٣٩٠هـ)، (**التفسير القرآني للقرآن**)، ج ٨، ص٤٤٨ دار الفكر العربي – القاهرة. حبنكة، (**معارج التفكر**)، ج٩، ص ٥٥٢. جرار، (**زوال اسرائيل**)، ص٢٣.

٢) جرار، (**زوال اسرائيل**)، ص٢٣.

٣) ينظر: الخطيب، (**التفسير القرآني للقرآن**)، ج٨، ص٤٥١. الخالدي، (**حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية**)، ص١٤٠.

زمن الإسلام، لأن المسجد كما هو معلوم هو بيت عبادة المسلمين، وقد ذكر المسجد في سورة الحج مقترناً ببيوت عبادة الأديان الأخرى، قال الله تعالى: ﴿ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج:٤٠)، فذكر كلمة (المسجد) يُشير إشارة واضحة إلى أنَّ المرة الثانية من فساد بني إسرائيل تكون في العهد الإسلامي، على خلاف ما كان عليه من قبل، حيث لم تُشِرْ الآيةُ الأولى إلى المسجد، من بعيد أو قريب، بل جاءت الآية:﴿ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾(الإسراء:٥).[1].

٣- حرف العطف (ثم): تفيد التراخي ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ ﴾ (الإسراء: ٦)،أي بعد انتهاء العلو الأول تعاد الدّولة لليهود، ويتغلبوا على من أزال دولتهم الأولى، ولم يحصل هذا في تاريخ اليهود إلا عام ١٩٤٨ من القرن العشرين، إذْ رُدّت الكرّة لليهود وتمكنوا من احتلال فلسطين

٤- هناك ستة عناصر لقيام دولة اليهود الثانية والأخيرة بإذن الله تعالى، وهذه العناصر نجدها واضحة في القرآن الكريم أهمها:

أ) إعادة الكرّة والدولة لليهود على من أزال الدولة الأولى، وهذا لم يحصل في التاريخ إلا عام ١٩٤٨ م

ب) يُمدُّ الكيان الصهيوني بالمال الذي يساعد على قيامه

ت) يُمدُّ الكيان الصهيوني بالعناصر الشابة القادرة على بناء الدولة، ويتجلى ذلك

---

١) ينظر: الخطيب، **(التفسير القرآني للقرآن)**، ج٨، ص٤٥٠

بهجرات اليهود من كافة الدول.

ث)عند قيام الدّولة تكون أعداد الجيوش التي تعمل على قيامها أكثر من أعداد الجيوش المقابلة. وقد ظهر ذلك جلياً عام ١٩٤٨م، على الرُّغم من أن أعداد الشعوب العربيّة تتفوق كثيرًا على أعداد اليهود، ومن المفترض على ضوء ذلك أن تكون أعداد الجيوش العربيّة أكثر من ذلك بكثير.

ج) يُجمَع اليهودُ من الشتات لتحقيق وعد الآخرة. وهذا ظاهر للجميع ويستفاد ذلك من قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ ﴾(الإسراء: ١٠٤).

ح) عندما يُجمَعُ اليهود من الشتات يكونون من أصولٍ شتىّ، عكس المرّة الأولى؛ فقد كانوا جميعاً ينتمون إلى أصل واحد، ألا وهو يعقوبعليه السلام أمّا اليوم فإننا نجد أن الإسرائيليين ينتمون إلى ٧٠ قوميّة، بل أكثر، ويستفاد ذلك من قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾(الإسراء: ١٠٤).

هذه العناصر تنطبق تمامًا على الكيان الصهيوني الغاصب وعليه فمن يقول إن الإفساد الثاني كان قبل الإسلام، فعليه أن يُبيّن متى توافرت هذه العناصر قبل هذه المرة.[١]

القول الثالث: كلا الإفساديْن سيكون في زمن الإسلام.

هذا هو الرأي الثالث، القائل بأن كلا الإفساديْن سيكون في زمن الإسلام، أما الإفساد الأول، فهو حسب هذا الرأي قد وقع وانقضى بعد أن نقض اليهود عهودهم مع الرسولﷺ فكانت النتيجة أن أخرَج المسلمون اليهود من المدينة المنورة، ثم من الجزيرة كاملة وبعدها

---

١) من أراد الاستزادة فليراجع: جرار، **(زوال اسرائيل)**، ص٣٠- ٣١.

انقطعت الصلة بين المسلمين واليهود فترة من الزمن، وأما الإفساد الثاني، فهو ما نعيشه ونشهده في أيامنا هذه، حيث سيتجمع اليهود في مكان واحد ليتحقق وعد الله بهلاكهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾(الإسراء: ١٠٤).

وقد ذهب إلى هذا القول كثير من العلماء المعاصرين[١]، وكان لهم أدلتهم على هذا القول أُبرِزُها في النقاط الآتية:

١- إن ألفاظ سورة الإسراء تؤكد على أن الإفساديْن متعلقان بالمسلمين بعد بعثة الرسول ﷺ؛ وأن هذه الألفاظ تدل على عدم إمكانية وقوع أي من الإفساديْن قبل الإسلام، وأهم هذه الألفاظ:

أ- لفظ إذا أداة شرط لما يستقبل من الزمان مع تيقّن وقوعه[٢]، وعليه فإن ما بعدها سيقع مستقبلاً وليس لما كان في الماضي، ومن المعلوم أن سورة الإسراء سورة مكية وعليه فقول الله تعالى (إذا جاء) يدل أن المجيء يأتي بعد نزول آيات الإسراء المكية.

---

١) ينظر: الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج١٤، ص٨٣٥٣ وما بعدها. عباس، فضل، **(الاسراء والمعراج دروس ونفحات)**، ص١١٣وما بعدها، دار الفرقان، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. الخالدي **(حقائق قرآنية)**، ص١٥٧ وما بعدها. نوفل،أحمد، **(تفسير سورة الإسراء دراسة تحليلية موضوعية)**، ص ٢٥، ص١٦٥ وما بعدها، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م. الأشقر، عمر سليمان، **(زبدة التفسير)**، ص٢٨٨، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢) ينظر: الهرري، **(حدائق الروح والريحان)**، ج١٦، ص٤٢. نوفل، **(تفسير سورة الإسراء)** ص١٧٧

ب–اللفظ: (وَعْدُ)، والوعد لا يكون بشيء مضى، وإنما بشيء بالمستقبل أي أنّ هذا الوعد مفعولا متحققا لا يمكن إخلافه.[١]

ت–استخدام حرف العطف (ثُمَّ) الذي يفيد الترتيب مع التراخي، والتراخي قد يمتد لأزمنة طويلة، فلم يَقُل الله سبحانه: فرددنا، بل قال تعالى {ثُمَّ رَدَدْنَا} فالإفساد الثاني لا يأتي مباشرة بعد الأول وإنما هو متراخٍ عنه، والمرة الأولى كانت بعد نقضهم العهد مع الرسول ﷺ، ثم لم يحدث بينهم وبين المسلمين حروب لعدة قرون، وعاش اليهود بين المسلمين كأهل ذمة، إلى أن أُعطِيَ اليهود الحقّ في قيام دولتهم في فلسطين، وكانت الكَرَّة لهم علينا في عام ١٩٦٧، فناسب العطف بحرف " ثم" الذي يفيد التراخي.[٢]

ث–كلمة(الكَرّة) التي جاءت في سياق الآيات بمعنى الدَولة والغَلَبة، والتاريخ يشهد أنه لم تكن لليهود دولة في تاريخ المسلمين، خلا ما كان في أيامنا هذه.[٣]

٢– سياق الآيات يحتم أن تُفسّر الآيات في ضوء العلاقة بين الأمة الإسلامية وبني إسرائيل فما قبل الآيات كان حديثاً عن الإسراء بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وذِكْر الصلة بين المسجدين، وذِكر لمحمد وموسى– عليهما السلام–، وعليه فقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ (الإسراء: ١)، ينبغي أن يُؤول على ما يخُص هذه الأمة، وما قاله المفسرون من أن الإفساد كان قبل الإسلام لا ينسجم مع السياق ومع روح الآيات، وكذلك ذكر الفساد اليهودي في سياق الآيات المكية مع عدم وجود اليهود في

---

١) ينظر :الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج٥، ص٣٠٥٢. نوفل، **(تفسير سورة الإسراء)**، ص١٨٧

٢) ينظر :الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج١٤، ص٨٣٦١. نوفل، **(تفسير سورة الإسراء)**، ص١٨٢

٣) ينظر :الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج١٤، ص٨٣٦١. نوفل، **(تفسير سورة الإسراء)**، ص١٨٢

مكة، فيه تعريف للمسلمين بحقيقة الصراع الذي سيكون بيننا وبينهم في المستقبل، وتحديد الفساد بمرتين مع أن حياتهم مليئة بالفساد يفسِّر الإفسادَيْن بكونهما مع هذه الأمة المسلمة[1] ، فقد تعدَّد فسادهم قبل الإسلام، من طلبهم لآلهة ليعبدوها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾(الأعراف: ١٣٨)، وما قاموا به من نقض المواثيق وقتل الأنبياء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(النساء: ١٥٥)، والمتأمل لسورة الإسراء يجد أن الإفسادَيْن مرتبطان بالمسلمين، ويبيّن أن أحداث الإفسادَيْن حدث في زمن الإسلام.

٣-التفسير القرآني للقرآن يبين أن الإفسادَيْن وقعا في زمن الاسلام، فقول الله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ (الحشر:٢)، يوضح أن أول الحشر أو الإخراج الأول هو جزاء الإفساد الأول، وسورة الحشر تثبت أن الإفساد الأول كان في عهد النبي ﷺ [2]

٤- قوله تعالى:﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤)، فيها دليل على أن المقصود بالأرض ليس عموم الكرة الأرضية، بل الأرض التي سيحصل فيها الإفسادان، وهي مقيدة بكلمة مرتين لأن إفسادهم على مر التاريخ لم يقتصر على مرتين وحسب. [3]

---

١) ينظر: الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**،ج ١٣، ص٨٣٤٨. عباس، **(الإسراء والمعراج دروس ونفحات)**، ص١١٣-١١٥.

٢) ينظر: نوفل، **(تفسير سورة الاسراء)**، ص٢٥.

٣) ينظر: نوفل، **(تفسير سورة الإسراء)**، ص١٣٤، ص ١٦٥.

٥- قول الله تعالى:﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ (الإسراء: ٦)، وقوله تعالى:﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(الإسراء:٧) دليل آخر لأن الكرة لم ترد لبني إسرائيل على أمّة من الأمم إلا على أمّة محمدﷺ[١]، وعليه فالذين يدخلون المسجد الأقصى في المرة الثانية هم من دخلوه سابقا وهم المسلمون.

٦- التعبير بالماضي في (جاء، بعثنا) وغيرها لا يفيد انقضاء الإفساد قبل الإسلام بل لبيان قرب الحدوث الإفساد، وأنه يقيناً، وهذا الأسلوب كثير في القرآن الكريم، كالحديث عن يوم القيامة بلفظ الماضي قَالَ تَعَالَى:﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ (الكهف: ٤٩).

وقد ذهب أحد المعاصرين إلى أن الإفسادَيْن يقعان في زمن الإسلام، إلا أنه خالفَ غيرَه من المعاصرين، فذهبَ إلى أنَّ الإفسادين متعاقبان متواليان، واقعان في زماننا الحاضر، وهو زمان اغتصاب اليهود لفلسطين وإقامة دولة لهم، وأن (وعدَ أولاهما) يتمثَّل في العمليات الفدائية التي يقوم بها المجاهدون المسلمون في فلسطين المحتلة، ويتمثل بجَوْسِهم خلال الديار، وأن (الجدار الفاصل) من (الكَرَّة) التي ذكرتها الآيات الكريمة. وأما (وعدُ الآخرة) فهو ما يُنْتَظَر من فتح الأقصى وفلسطين، وإزالة الكيان الصهيوني الغاصب وتدميره، من خلال الجيوش العظيمة التي لا تخضع لضغوط الدول الكبرى، ولا تخضع لمجلس الأمن، قوة غالبة، تدمر العلو اليهودي وتتبره تتبيراً.[٢]

---

١) ينظر: نوفل، **(تفسير سورة الإسراء)**، ص١٦٦

٢) ينظر:الأشقر، عمر سليمان، **(وليتبروا ما علو تتبيرا)**، ص١٦٣، دار النفائس، عمان، الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م

بعد ذكر الآراء السابقة، يمكن القول إن لكلّ رأي وجاهَته في تفسير الإفسادَيْن، إلا أني كباحثة وبعد التطواف في آراء المفسّرين؛ يترجّح لديّ القول إن الإفسادَيْن في عهد الإسلام أحدهما مضى، والثاني نحن نعيشه بكل ما فيه من قتل وتشريد وهدم واستفزاز وإبعاد للمسلمين من هذه الأراضي المباركة، ومن أهم الأدلة التي اعتَمدتُ عليها في ترجيح هذا الرأي ما يلي:

١- عدم وجود أحاديث صحيحة تبين متى حدث الإفسادان حتى نتمكن من ترجيح رأي على آخر، وطالما لم يثبت شيء من صحيح الأحاديث فيمكن أن نختار التفسير المرتبط بالواقع الذي نعيشه في فلسطين هذه الأيام.

٢- مع كثرة الأقوال التي مُلِئت بها كتب التفسير، فلا يوجد تفسير أولى من آخر بل هو اجتهاد، ويحق لكل عالم في كل عصر أن يجتهد ويدلي بدلوه مستنداً إلى أدلّة مقبولة.

٣- إن القول بحصول الإفسادين قبل الإسلام، يُعطِّل الفائدة من تحديد الإفساد بمرتين؛ لأن حياة اليهود كلها إفساد، ثم إنَّ إفساد بني إسرائيل قبل الإسلام لم يؤثر على المسلمين بعكس ما حصل بعد خيانتهم الرسولﷺ في صدر الإسلام ولم يقتصر هذا الضرر على مسلمي الرعيل الأول بل تعداه إلى زماننا هذا، مما نراه من التّقتيل والتّهجير والأذى الذي يصيب الفلسطينيين في هذه الأيام العصيبة، ولذلك فإن القول بحصول الإفسادين قبل الإسلام يعطل الفائدة من تحديد القرآن للإفساد بمرتين، وهذا مما يتنافى مع بلاغة القرآن الكريم، فلا كلمة بلا معنى ومغزى في هذا القرآن المعجِز.

٤- إن الآيات تتحدث عن إفساد يقترن معه علوّ كبير، ومع أنّهم وصلوا إلى درجات كبيرة من العلوّ في مراحل سابقة من مُلكهم، إلا أنّه لم يرافق ذلك العلوّ فساد، أما في أيامنا

هذه فنحن نتجرع ويلات العلوّ الذي يقترن بالفساد، لهم دولة وسلطان وهيمنة عالمية وهم يستعملون ذلك في إفساد كل شئ.[١]

٥- اللام في (لتفسدن) هي لام القسم والتقدير(والله لتفسدن)[٢]، وإذا كانت اللام للقسم وكان الإفساد قد مضى وانتهى وأصبح من التاريخ والقصص القرآني لبني إسرائيل فلماذا يُقسم الله تعالى بشيء قد مضى وانتهى.

٦- المُتفقِّه في سنة الله ﷻ، والناظر في آيات الله يدرك حقيقة الآيات القرآنية التي تتحدث عن فساد اليهود، ويدرك سُنّة الله التي تسوقهم إلى وعد الآخرة[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ (الإسراء:١٠٤)، وهاهم أولاء منذ احتلالهم لأرضنا المباركة يعودون إليها جماعات وأفراداً مع أنهم يعلمون أنها ستكون قبرهم الكبير الذي سيدفنون فيه، ليتحقق فيهم وعد الله تعالى، ثم تتحقق سنة الله بإخراجهم من الأرض التي اغتصبوها أذلة صاغرين، خاسرين هالكين.

وأخيراً يمكن القول إن جميع هذه الآراء فيها الوجاهة والسَّداد؛ لأن القرآن حمّال ذو وجوه وأياً كانت هذه الأقوال فهذا لا يغني عن سنة الله تعالى في الوعد بالإهلاك عملاً بقول الله ﷻ ﴿ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا ﴾ (الإسراء: ٨)، ولا بدّ من تجدد وتجديد فهم القرآن وتفسيره وربطه بالواقع؛ لأن القرآن كتاب حياة يصلح لكل زمان ومكان، ويمكن إسقاط آياته على الواقع في كل عصر من العصور، وفهمه في ضوء هذا الواقع، لذلك نجد اختلافاً في التفاسير

---

١) ينظر: حوى، (**الاساس في التفسير**)، ج٦، ص٣٠٣٩.

٢) ينظر: السمين الحلبي، (**الدر المصون**)، ج٧، ص٣١٢.

٣) ينظر: كهوس، (**سنة الله في اليهود**)، ص ٩٧.

باختلاف المفسر والواقع الذي يعيشه، يقول صاحب (الفتوحات المكية):" ألا ترى العالِم الفَهِم المراقِب أحواله، يتلو المحفوظ عنده من القرآن، فيجد في كل تلاوة معنى لم يجده في التلاوة الأولى، والحروف المتلوة هي بعينها ما زاد فيها شيءٌ ولا نقص، وإنما الموطن والحال تجدد، ولا بدّ من تجدده، فان زمان التلاوة الأولى ما هو زمان التلاوة الثانية فافهم"[1] فكما تختلف الأفهام في تفسير الآيات عند تكرار تلاوتها فلا ضير من اختلاف التفسير عند المعاصرين عن القدامى، متى وجدت القرائن الدّالة على ذلك.

مما سبق يمكن استنباط سنن إلهية مهمة وهي:

١- سُنّة الله تعالى التي نصّت عليها سورة الإسراء، سُنة ثابتة مطّردة يجدها كل من يقرأ تاريخ اليهود منذ الأزل، واضحة، بينها الله تعالى في كتابه العزيز ألا وهي انتقام الله ﷻ منهم في كل مرة يفسدون فيها، فيسلط عليهم من عباده من يسومونهم سوء العذاب بالقتل والإذلال والتشريد، فكلما عادوا إلى الإفساد فالجزاء حاضر والسّنّة ماضية: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ (الإسراء: ٨)، كلما افسدوا وانحرفوا عن المنهج القويم وعادوا إلى الفساد والاستعلاء على الخلق، عادت إليهم النِّقم متتابعة، وذاقوا الهزيمة والقهر، وكان لأعدائهم الغلبة والنصر، وفي هذا إنذاراً لهم بسوء العاقبة .[2]

---

١) ابن عربي، ابو بكر محمد بن علي، (المتوفى: ٦٣٨)، (**الفتوحات المكية**)،ج٧، ص٣٧٨، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢) ينظر: قطب، (**في ظلال القرآن**)، ج٤، ص٢٢١٣. حبنكة، (**معارج التفكر**)، ج٩، ص٥٤٤. الناصري ، محمد المكي، (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (**التيسير في أحاديث التفسير**)، ج٣، ص٣٧٨، دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٢- مَنْ أحسن فله إحسانه، ومَنْ أساء فعليه إساءته، فها هم اليهود لهم الغَلبة بما حدث منهم من شبه استقامة على المنهج، أو على الأقل بمقدار ما تراجع المسلمون عن منهج الله[١] وقول المفسر(فها هم أولاء اليهود لهم الغَلبة بما حدث منهم من شبه استقامة على المنهج)،لا أؤيده البتّه، فَهُم استقاموا على منهج البناء الحضاري وحسب، أو العدل فيما بينهم، ولا استقامة لهم على المنهج الديني.

ويمكن القول إن ما نراه من غلبتهم؛ راجع إلى أخذهم بأسباب القوة مادياً ومعنوياً (بالإسلحة والعلم)، في حين تقهقر المسلمون إلى الوراء وأصبحوا حالياً أمة متفرقة لبعدنا عن المنهج الحقّ، وإذا بدا في فترة من فترات تاريخ اليهود -كما هو حالهم هذه الأيام - أنهم يطغون في الأرض وأنهم يملكون سلطان المال، وسلطان أجهزة الإعلام وأنهم يستذلون بعض عباد الله ويطردونهم من أوطانهم إلى بلاد أخرى؛ فليس هذا ناقضاً لوعيد الله تعالى لهم، بل هو بسبب تفريط المسلمين في حق خالقهم، وفي حق أنفسهم؛ ولأنهم يتفرقون ويتجمعون تحت رايات قومية ولا يتجمعون تحت راية العقيدة الإسلامية، ولم يأخذوا بالأسباب التي شرعها الله لهم لحرب أعدائهم فكانت النتيجة أن أقام اليهود دولة لهم في قلب البلاد الإسلامية.[٢]

٣- من سُنة الله فيهم والتي تُفيدنا في صراعنا معهم، أنهم أمة قائمة على التفرق والتشرذم وعدم اجتماع كلمتهم، والعداوة بينهم، وشتاتهم في العالم، وهذا ماضٍ فيهم، وهو عائد لطبيعتهم ونفسياتهم الحقودة، وصدق الله القائل:﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ (الحشر:

---

١) ينظر: الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج١٤، ص٨٣٦٣.

٢) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٣، ص١٣٧٦. طنطاوي، **(التفسير الوسيط)**، ج٥، ص٤١٤.

١٤)، ولأن الإفساد من جِبِلَّتهم، فنجدهم قد صرفوا جهودهم لإثارة الحروب بكل ما أوتوا من مكر ودهاء وإمكانيات على أن لا يكونوا أحد الأطراف فيها، بل يكونوا المستغلين المستفيدين منها، ومع ذلك فقد تعهّد الله تعالى بأن يطفيء نار الحروب التي يُسَعِّرونها قال تعالى:﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾(المائدة: ٦٤).

٤- من سنن الله فيهم التتبير[1] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ (الإسراء:٧)، وهذا اللفظ يدلّ على تدمير كل ما له علاقة باليهود من مساكن ومنشآت عسكرية وملاجئ وهذه الكلمة فيها دليل على أن كل ما بناه اليهود سيُدمر، سواء كان بأيدي اليهود أم بأيدي عباد الله الصّالحين الذين يُسَلّطون عليهم؛لأن لفظ التتبير لفظ عام يشمل ويسع كل ما بناه اليهود مادياً ومعنوياً، فبنيانهم مهما عظُم وعلا فهو إلى زوال، أما معنويا فكل عقائدهم وأفكارهم وما زرعوه في نفوس أبنائهم من أنهم شعب الله المختار، وأنهم الجيش الذي لا يُقهر كل ذلك سيصيبه التتبير بإذن الله تعالى، وما الحروب التي خاضوها في غزة العزّة وهزموا بها إلا من سُنن التتبير فيهم والله أعلم.

٥- سُنة الله تعالى في عباده المؤمنين الذين يقاتلون اليهود، إمدادهم بالقوة وعناصر الغلبة حتى يتمكنوا من هزيمة اليهود قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾ (الإسراء: ٥)، ولكن هؤلاء العباد الربانيين لا بدّ من توحُّدِهم تحت راية واحدة، واعتصامهم بحبل الله ﷻ، وعدم موالاتهم للكفار، مع

---

١) التبار: الهلاك وتَبَّرَه تَتْبِيراً أي كَسَّره وأَهلكه. ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٤، ص٨٨

الأخذ بأسباب القوة والعمل على التسلح بالقوة المادية العسكرية، وقبلها المعنوية؛ من إيمان راسخ وعقيدة نقية حتى يَجْنوا النصر والعزّة.

وهذه السّنّة الإلهية التي ذُكرت في حقّ بني إسرائيل – كلما علوا وأفسدوا سيسلط الله تعالى عليهم من يذيقهم الهزيمة والخزي والعار–، يمكن تعميمها على جميع الأمم والشعوب فهي تصلح كَسُنّة لكل الأمم سواء أكانت مسلمة أو كافرة؛ فانتقام الله وإذلاله مرتبط ارتباطاً طردياً بالإفساد والفساد، ورحمته قريب من المصلحين المحسنين.

ولا بدّ لي من الإشارة إلى أن سورة الإسراء قد ربطت ما ينتظر بني إسرائيل من الأخذ والهلاك بسنة أخرى من السّنن الإلهية ؛ ألا وهي سنة الله في إهلاك القرى الظالمة، وهذا ما سيأتي بيانه في المطلب القادم.

المطلب الثاني: سنة الله ﷻ في بعث الأنبياء وعقاب الأمم الجاحدة.

يجد الباحث أن سنّة بعث الرسل وعاقبة الأمم المكذبة الجاحدة، في مقدمة السّنن الإلهية المذكورة في القرآن الكريم، وأكثرها ذكراً وتنوعاً، وقد وقع من هذا في سورة الإسراء،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ (الإسراء: ١٥)

من المعلوم أن الله خلق البشر لهدف أساس ألا وهو عبادته وحده، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾(الذاريات: ٥٦)، ومع أن الإنسان مفطور على عبادة الله ﷻ وحده والابتعاد عن عبادة ما سواه، إلا أن فطرة الإنسان الموصِلَة إلى الحق قد تنحرف عن الهدف بفعل الشيطان ووسوسته، وعليه كان لا بدّ من بعث الأنبياء لبيان الطّريق الحق الذي لا بدّ للإنسان أن يسلكه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ

ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ (النحل:٣٦)، أي: لقد بعثنا في كلّ أمة قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم معاشر المسلمين هذا الرسول يدعوكم إلى عبادة الله وحده، واجتناب عبادة الشيطان، ويحذّركم من إغواء الشيطان وصده الناس عن سبيل الله تعالى، كما يبيّن ما اختلفتم فيه، فمن اعتبر ونظر ببصيرته اهتدى إلى الجنّة ، ومن أعرض وكفر فمصيره إلى النار حتماً.[1]

وسُنة الله ﷻ في بعث الأنبياء، سُنة مطّردة توالت على فترات متفرقة من عمر البشرية، وقد انقسم الناس في جميع العصور إلى مؤمن وكافر، ولكن الأكثرية من الأمم كذّبت وجحدت وعليه فقد اقترنت بسُنّة الله في بعث الرسل سُنة إلهية أخرى ألا وهي سُنّة الله في عقاب الأمم المكذبة، فما من نبي كذّبه قومه، إلا حلّ بهم عذاب أليم، يقول صاحب الظّلال:" من رحمة الله ﷻ ألا يأخذ الإنسان بالآيات الكونية المبثوثة في صفحات الوجود، ولا بعهد الفطرة الذي أخذه على بني آدم في ظهور آبائهم ، إنما يرسل إليهم الرسل منذرين ومذكرين: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾(الإسراء: ١٥)، وهي رحمة من الله تعالى أن يعذر إلى العباد قبل أن يأخذهم بالعذاب"[2]، فالعقاب لا ينزل بأيّ أمّة إلا بعد الإنذار وبيان الحجّة، وبعثة الرّسل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ﴾ (القصص: ٥٩)؛ أي: إن الله لا يهلك قرية إلا بعد أن يرسل إليهم رسلاً يحذرونهم من العذاب إن كفروا ويبشرونهم بالنعيم إن آمنوا، وكل ذلك من باب التذكير والتنبيه لما يجب عليهم عمله، وبذلك

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٢٠١. ابن عطية، **(المحرر الوجيز)**، ج٣، ص٣٩٢.

٢) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٤، ص٢٢١٧

تقوم الحجة عليهم[1]، فالله تعالى لا يعذب أحداً إلا بعد بيان ذنبه الذي اقترفه، وقد بيّن الله تعالى الأحكام والشرائع، وبيّن أسباب الفوز والفلاح جنباً إلى جنب مع أسباب الخسارة، وهذا قانون يتكرر في القرآن الكريم، فمن أذنب وعصى بعد ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾(الإسراء: ١٥)، بيان للعناية الربانية حيث لا يصح ولا يستقيم بل يستحيل في سُنة الله المبنيّة على الحِكم البالغة أن يعذِّب الله أحداً على فعل شيء أو تَرْكه، إلا إذا أرسل رسولاً يهدى إلى الحق، ويحذر من الضّلال ويقيم الحجج، ويبلِّغ الدعوة حسبما جاء في تضاعيف الكتاب المنزل عليه.[2]

مما سبق يُستدل أن بعث الرسل سُنّة من سُنن الله تعالى، وأن من كذّبهم حقّ عليه العقاب الإلهي، وفي الوريقات التالية بيان لبعض صور العقاب التي حلّت بالأمم السابقة ممن ضلّ والتي قد تصيب من يضلّ في الأيام اللاحقة .

صور العقاب: قال الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾ (الإسراء: ٥٨)، هذه الآية بينت هلاك الأمم وعذابها بشكل مُجمل، وهذا الإجمال فصلته الكثير من الآيات، فقد تنوّعت صور العقاب التي

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٩، ص٦٠٣. الزجاج، **(معاني القرآن وإعرابه)**، ج٣، ص٢٣١. الزمخشري، **(الكشاف)**، ج٣، ص٤٢٤. ابن عطية، **(المحرر الوجيز)**، ج٤، ص٢٩٣. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٩، ص١٠٨.

٢) ينظر: أبو السعود، **(إرشاد العقل السليم)**، ج٥، ص١٦٢. القاسمي، **(محاسن التأويل)**، ج٦ ص٤٥٠. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٥، ص٢٥

أصابت الأمم، وتراوح العقاب ما بين الاستئصال[1] أو ما دونه من الابتلاءات، والتي لا بدّ أن تصيب كل أُمّة حادت عن الصّراط المستقيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وقد ذهب العلماء إلى أن عذاب الاستئصال قد رفعه الله عن البشرية برسالة موسىعليه السلام؛ فقد كان هلاك الأمم المكذّبة قبل نزول التوراة عذاباً عاجلاً يستأصلهم فلا يبقي أحدا، كما حصل مع قوم نوح وعاد وثمود وأهل مدين وغيرهم،إلا أن عذاب الاستئصال قد رُفِع ببعثة موسىعليه السلام، ومع أن بني إسرائيل فعلوا من الذنوب والمعاصي ما فعلوا، إلا أن العذاب لم ينزل بهم جميعاً بل كان يُعَذَّب بعضهم دون البعض الآخر؛ وذلك لأنهم لم يتفقوا على الكفر جميعاَ، ولهذا لم يزل في الأرض أمة باقية من بني إسرائيل [2].

ومع رفع عذاب الاستئصال، إلا أنه من الممكن أن تأتي صورة من صور العقاب التي استأصل الله به أقواماً سابقين؛ ويكون دون عذاب الاستئصال، فمن الممكن أن يسلّط الله الريح أو الحاصب على أمّة من الأمم من غير أن يستأصلهم به، ومن رحمة نبينا ﷺ بأمته أنه دعا

---

١) استئصال: استأصلَ يستأصل، استئصالاً، فهو مُستأصِل، والمفعول مُستأصَل استأصل الشَّجرةَ: اقتلعها من أصلها، استأصل الله شأْفتَهم: أهلكهم وأزالهم من أصلهم. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، **(معجم اللغة العربية المعاصرة)**، ج١، ص٩٩ عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٢) ينظر: ابن تيمية، **(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)**، ج٧، ص٨١، تحقيق: علي بن حسن الألمعي وغيره، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

الله ﷻ أن لا يهلكهم بسَنَة عامة، روى ثوبان[1] عن الرسول ﷺ:" **وَإِنِّى سَأَلْتُ رَبِّى لأُمَّتِى أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّة** ".[2]

ومن رحمة الله بعباده عدم التّعجل بالعقاب؛ بل إنّ سُنته تعالى اقتضت الإمهال وإعطاء فرصة للظالمين؛ أملاً في إحداثهم لتوبة تنجيهم، فإن لم يتوبوا يأتيهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾(الأنعام: ٤٤)، فالله يمهل ولا يهمل، ويستدرج ليأخذ أخذ عزيز مقتدر.

والنّاظر في القصص القرآني يجد أن عذاب كل أمّة يتفاوت في الشّدة بحسب ذنوبهم وجرائمهم، فعذب قوم عاد بالرّيح الشديدة العاتية، وأما ثمود فأهلكهم بالصّيحة فماتوا في الحال وجمع لقوم لوط أنواعاً من العذاب،الرّجم بالحجارة من السماء وطمس الأبصار وقلب الديار لِعِظَم جرائمهم .

وبتدبّر القرآن الكريم يمكن استنباط صورٍ كثيرة للعذاب أبينها بشكل مقتضب[3]:

---

١) ثوبان مولى الرسولﷺ وسلم ويكنى أبا عبد الله، وهو من أهل السراة، قال: يذكرون أنه من حمير أصابه سبي، فاشتراه الرسولﷺ فأعتقه، فلم يزل مع الرسول ﷺ حتى توفي، فتحول إلى الشام، فنزل حمص، وله بها دار صدقة، ومات بها سنة أربع وخمسين، في خلافة معاويةﷺ. ينظر: ابن سعد، (**الطبقات الكبرى**)، ج٧ ص٤٠٠.

٢) مسلم، (**صحيح مسلم**)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج٤ ص٢٢١٥ رقم الحديث ٢٨٨٩

٣) من أراد الاستزادة فليراجع: عاشور: (**السنن الإلهية في الأمم والأفراد**)، ص٤٦١ وما بعدها. الخطيب، (**السنن الإلهية في الحياة الإنسانية**)، ج٢، ص٣٣٨ وما بعدها.

١- الرّيح والغرق: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾ (الإسراء: ٦٩)، فالغرق عذاب الاستئصال الأول الذي أصاب البشرية، وقد عُذّب به من كفر من قوم نوح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٤)، ثم عُذب به فرعون وجنوده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٦).

٢- الحاصب[١] والخسف[٢]: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٦٨)، فالحاصب كان عذاب قوم لوط، وهم أوائل من عُذّب به، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴾(القمر: ٣٤)، ولم يقتصر عذاب قوم لوط على الحاصب وحسب، بل تنّوعت صور العذاب التي أصابتهم بين الصّيحة والحاصب والخسف.[٣]

---

١) الحاصب: الحاء والصاد والباء أصلٌ واحد، وهو جنسٌ من أجزاء الأرض، ثم يشتقّ منه، والريح الحاصب هي التي تحمل التراب والحصى. ينظر: ابن فارس، **(مقاييس اللغة)**،ج٢، ص٧٠. ابن منظور **(لسان العرب)**، ج١، ص٣٢٠.

٢) الخسف: غموضُ ظاهرِ الأرض وذهاب الأرض بما عليها. ينظر:ابن فارس،**(مقاييس اللغة)**، ج٢ ص١٨٠. ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٩، ص٦٧.

٣) السبب في تنوع عذاب قوم لوط أن الفاحشة التي مارسوها لم تكن آثارها لتزول إلا بهذه الأنواع من العقاب يقول أحد العلماء أن عقابهم " ابتدأ بالصيحة وهو الصوت الشديد المتأتي من ارتجاجات هوائية ذات=

٣- الصّيحة والرّجفة: نوع ثالث من أنواع العقاب الإلهي، أصاب أقواماً عدة مثل قوم صالح وشعيب ولوط، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ (هود:٦٧)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ (الأعراف: ٧٨)[1].

وهناك أنواع كثيرة من العقاب الذي أصاب الأمم، كالجوع، وضيق الأرزاق، والخوف وغيرها والتي لا يتسع المقام لتفصيلها هنا، وهذه الأنواع تختلف باختلاف سبب وقوع العذاب

أسباب وقوع العذاب على الأمم.

بعد بيان صور العقاب المختلفة التي حلّت بالأمم السابقة، قد يتساءل أحدهم عن أسباب هذه العقوبات، والمتدبر للقرآن الكريم يجد الكثير من هذه الأسباب، وقد تتضافر عدة

=ذبذبة عالية وهي من أشد أسباب التدمير كما تبين للخبراء العسكريين اليوم، ثم أمطروا مطراً جارفاً مهلكاً فأصبح هذا الماء ملوثاً من كثرة الأمراض المتفشية فيهم، ثم أرسل عليهم حاصباً (حجارة) على درجة كبيرة من الحرارة بفعل احتكاكها بطبقات الجو؛ فحرقت وطهرت كل ما في المدينة من أمراض انتشرت بسبب اللواط والحرارة العالية الجافة هي من أقوى وسائل التعقيم والتطهير كما هو معروف في علم التعقيم وأغلب الظن أن قوم لوط كانوا مصابين بمرض السيدا أو الإيدز، ومن هنا نفهم علمياً لماذا كان عقاب قوم لوط بهذه الشدة بالصيحة أولاً، ثم إغراقهم ثانياً، ثم بتطهير آثارهم بالنار الشديدة ثالثاً، على خلاف الأمم السابقة. الشريف، عدنان، **(من علم الطب القرآني)**، ص١٩٩، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١م

١) يُلاحظ في القرآن الكريم أنه حيث ذُكرت الرّجفة يرد لفظ (دارهم) بالمفرد، وحيث ذكرت الصّيحة جمع (ديارهم)، فالصّيحة في تأثيرها أشمل وأعم من الرّجفة. ينظر: النيسابوري، **(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)**، ج٣ ص٢٧٥.

أسباب توجب العقاب الإلهي، ولا تقتصر على سبب واحد وحسب، وفيما يأتي ذكر لأهم الأسباب التي تستوجب العقاب الإلهي[1]:

أولا: الكفر بالله تعالى: الكفر برسالة الله ﷻ، ومن ثم تكذيب الرسل وإيذائهم والاستهزاء بهم، من أول أسباب هلاك الأمم، وقد حفل القرآن الكريم بالآيات التي تؤكد هذا المعنى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ (الإسراء:٩٧-٩٨)، أي أن: منقلب ومصير من كفر بآيات الله تعالى، يعني بأدلته وحججه، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادة الله تعالى، مأواهم جهنم كلما خبت، أي سكنت وانطفأ لهيبها زاد سعيرها ووقودها،[2]، وقد أهلك الله ﷻ الأمم السابقة: كقوم نوح، وعاد، وثمود وقوم لوط، بسبب كفرهم بالله ﷻ وتكذيبهم لرسله؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ ﴾ (المؤمنون:٤٤) وفي هذه الآية بيان اطّراد سُنة الله تعالى في بعث الأنبياء وعقاب المكذبين المعاندين.

ثانيا: الاستكبار والطغيان في الأرض: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ ﴾ (فصلت: ١٥)، وقوله تعالى:﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٩)؛ هذه الآيات

---

١) ينظر: زيدان، (**السنن الإلهية**)، ص١٩٩ وما بعدها. الخطيب، (**السنن الإلهية في الحياة الإنسانية**)، ج٢ ص٣٢٢. عاشور، (**السنن الإلهية في الأمم والأفراد**)، ص٤٣٧.

٢) ينظر: الطبري، (**جامع البيان**)، ج١٧، ص٥٦٢. ابن كثير،(**تفسير القرآن العظيم**)، ج٥ ص١٢٣.

توضح أن من عادة الأمم الاستكبار عن عبادة الله، ومعاندة رسلهم، فأدركهم عذاب الله المهلك مع أنهم توقعوا أن يفتهم هذا العذاب.[1]

ثالثا: التفريط في شعيرة الأمر بالمعروف[2] والنهي عن المنكر[3]:

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠) في هذه الآية مدح لهذه الأمّة وبيان خيريّتها وفضلها على غيرها طالما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، فإذا تركوا ذلك زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سببا لهلاكهم[4]، وفي تركنا لشعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر نفقد خيريَّتَنا ونصبح أمّة كأيّة أمّة، ليس لنا أيّة ميزة، وفي واقعنا المعاصر نجد أن هذه الشّعيرة تكاد تكون مَنسيّة، أومعكوسة بالأمر بالمنكر والنّهي عن المعروف، وعليه وجب الاهتمام بها والعودة لتفعيلها في المجتمع؛ لنكون كما قال الله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

وهناك أسباب أخرى منها: كفر نعم الله وبطرها، وعدم القيام بواجب شكرها، واستعجال العذاب، والصّد عن مساجد الله وغيرها.

---

١) ينظر: الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج٢٥، ص٥٦. ابو حيان، **(البحر المحيط)**، ج٨، ص٣٥٧. أبو السعود، **(إرشاد العقل السليم)**،ج٧، ص٤٠.

٢) المعروف: اسم لكل فعل يعرف بالعقل. أو الشرع حسنه. الأصفهاني، **(المفردات)**، ص٥٦١.

٣) المنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة. الأصفهاني، **(المفردات)**، ص٨٢٣.

٤) ينظر: القرطبي، **(الجامع لأحكام القرآن)**، ج٤، ص١٧٣. رضا، **(تفسير المنار)**، ج٤، ص٤٧.

هذه خطوط عامة في سُنّة الله في بعث الرسل وعقاب الأمم المكذّبة، وفي دراستها واستيعابها بصورة صحيحة من قِبل أفراد الأمة الإسلامية أهمية عظيمة؛ لأن ذلك سيُعيننا في أخذ العِبر، ووضع حد للجرأة على حدود الله وحرماته.

وخلاصة ما سبق أن سُنة الله في عقاب الأمم شاملةٌ لكل الأمم، فلا تحابي أحدًا على أحد، والمعيار هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي التي يبلّغها الرّسول لقومه، والعقاب قد يكون استئصالاً للأمة، وقد يكون دون ذلك من أنواع العذاب، بمرض، أو هدم، أو غرق، إلا أن الله لا يعاجل بالعقوبة لأي قوم إلا بعد تضافر الأسباب لحلول ذلك العذاب.

ومن الأسباب الموجبة لعقاب الله؛ التّرف عند الأمم، وهذا ما سأبحثه في المطلب القادم والذي سيكون بعنوان (سُنة الله في التّرف والمترفين)، وقد أفردته في مطلب خاص لأهميته ولملامسته واقعاً نعيشه.

المطلب الثالث: سنة الله ﷻ في التّرف والمترفين.

التّرف مرض من الأمراض الاجتماعية المنتشرة في عصور التّاريخ المختلفة، وله نتائج وخيمة، مثل انتشار الفساد والاستكبار والظّلم، وهذه كلّها من أسباب عقاب الله ﷻ للأمم، ومن هنا ترتبط سُنة الله تعالى في التّرف ارتباطًا وثيقاً بسُنة عقاب الله ﷻ للأمم المكذّبة، والتي تَحدّثتُ عنها في المطلب السابق.

في هذا المطلب سأتناول هذه السّنّة من خلال معرفة معنى التّرف، وموقف المترفين من الرّسل والرّسالات، وسُنة الله ﷻ في المترفين.

أولاً: معنى التّرف والمترفين.

التّرف: التّنعُّم، والتّرفه: التّوسُّع في النّعمة، والمترف: من أبطرَتْه النّعمة، وسعة العيش، فتوسّع في ملاذ الدنيا وشهواتها، وأترفته النّعمة أي أطغته[1]، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (المؤمنون: ٣٣).

مما سبق يتّضح أن التّرف لا يعني الثّراء أو الرّفاهية وحسب، بل هو الثّراء المصحوب بالطّغيان والجشع والانحدار في مستنقعات الرذيلة، والبعد عن أوامر الله ﷻ، وقد كان المترفون وما زالوا مصدر الفساد والكوارث في الأرض.

ورد ذكر التّرف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع[2]، وجاءت كلها في سياق الذّم للتّرف والمترفين، واقترن ذكر التّرف في كل المواضع مصحوباً بلعنة الله ﷻ وغضبه والتّحذير منه، مع تهديد ووعيد بالعذاب شديد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٤)

ثانيا: موقف المترفين من الرسل والرسالات.

قال تعالى:﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ **(الإسراء:١٦) قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (سبأ: ٣٤)

من خلال الآيات السابقة يظهر أن المترفين هم أول من يكفر بالأنبياء والمرسلين، وهم أول من يكفر بدعوة المصلحين على مرّ التاريخ، وأن موقفهم الدائم من النبوات والدعاة التكذيب

---

١) ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٩، ص١٧. الأصفهاني، **(المفردات)**، ص١٦٦

٢) هود: ١١٦، الإسراء: ١٦، الأنبياء: ١٣، المؤمنون: ٢٣و٣٣، سبأ: ٣٤، الزخرف: ٢٣، الواقعة: ٤٥

والمعارضة؛ وسبب ذلك أن الأنبياء بُعثوا لتغيير الوضع الفاسد الذي يكون منتشراً في الأمة التي بُعِث فيها، إلا أن هذا الفساد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمترفين ومصالحهم، ولكي يتمكن المُترفون من الحفاظ على هذه المصالح وعلى حياتهم المترفة، لا بدّ من الكفر والتكذيب بالرسل والرسالات وهذا ما حصل مِن لَدُن نوحٍ عليه السلام إلى خاتَمِ المرسلين محمد ﷺ، والمتأمل في آيات القرآن يجد التّشابه الكبير في ردّ المترفين على الأنبياء؛ فجميعهم يُدافعون عن مصلحة واحدة ألا وهي حياتهم المُترفة ومصالحهم الدنيوية.

والباحث في تاريخ الأمم يجد أن التّرف يصيب الأمم التي تصل إلى مستوى عالٍ من الازدهار، حيث إن هذا الازدهار يؤدي لتفاوت اجتماعي كبير، ويكون هذا التّرف بداية سقوط الحضارات؛ فعندما ينتشر التّرف فإنه يسيطر على جزء واسع من حياة الإنسان وسلوكياته وخاصّة الاقتصادية والاجتماعية إلى أن يبلغ حداً كبيراً؛ فيؤدي إلى انهيار الحضارة، ولذا لم يكن التّرف منتشراً أيام عزّ الأمّة ونهضتها، ولكن عندما دخل حياتهم الخاصة وتسرب إلى الحياة العامة، ناسين أو متناسين التحذير القرآني في قوله تعالى:﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ (الإسراء:١٦)، حينها دخل المسلمون في حُكْم قَبضة سنن سقوط الحضارات، فالتّرف هو الباعث على الإسراف والفسوق والعصيان والظلم والإجرام، ويظهر ذلك في الكبراء والرؤساء، ويسري بالتقليد في الدهماء[1]، فيكون سبب الهلاك باستئصال، أو فَقد الاستقلال[2]، وعليه فانغماس الأمم في التّرف من أهم أسباب انهيار المجتمعات؛ لأن

---

١) الدهماء: الجَماعة من الناس. الأزهري، **(تهذيب اللغة)**، ج٦، ص١٢٥.

٢) ينظر: رضا، **(تفسير المنار)**، ج١٢، ص١٥٨. هيشور، **(سنن التداول ومآلات الحضارة)**، ص ٣١٨، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة : الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

التّرف غالباً ما يصاحبه الفجور والفساد والغرق في الشهوات، ومن ثم تفسخ المجتمع وانهياره، وقد حذّرنا الرسول ﷺ من هذا المصير، ففي الحديث الذي رواه عمرو بن عوف[1] أن الرسول ﷺ قال:"**فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنّي أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**".[2]

إذا كان الاستئصال والهلاك عقاب الأمم السابقة فاحتلال بلاد المسلمين، وفقد الاستقلال واحتلال الأرض هو العقاب الذي يصيب المترفين في هذه الأيام؛ وهاهي أراضي المسلمين تتساقط الواحدة تلو الأخرى، سواء أكان الاحتلال مباشراً أم غير مباشر، وما مصر والعراق وسوريا عنا ببعيد، وقد يكون كل ما هم فيه من محن، عقاباً لترف بعض طبقات المجتمع فيهم وفسقهم وفجورهم، فسنن الله ماضية لا تحابي ولا تستثني أحداّ.

وبالرجوع إلى الآية: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ (الإسراء:١٦)، في قول الله تعالى(أمرنا مترفيها) قراءات قرآنية متعددة، قرأ يعقوب بمد الهمزة، (ءَامَرْنَا) بأَلِفَيْنَ، مثل:(ءَامَنا)، والباقون بقصرها،. ومَنْ قَرَأَ (أَمَرْنَا) مقصورًا، فله وجهان: أحدهما: أمرناهم بالطاعة ففسقوا فحق عليهم العذاب.

---

١) عمرو بن عوف الأنصاري حليف بني عامر بن لؤي كان مولى سهيل بن عمرو، شهد بدرا وما بعدها ومات في خلافة عمر فصلى عليه. ينظر: ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (المتوفى: ٦٣٠هـ) **(أسد الغابة)**، ج٣، ص٧٥٥، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٢) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ج٥ ص٢٣٦١، رقم الحديث٦٠٦١. مسلم، **(صحيح مسلم)**، كتاب الزهد والرقاق، ج٤، ص٢٢٧٣، رقم الحديث ٢٩٦١.

والوجه الثاني في (أَمَرْنا) أنهُ بمعنى: كثّرنا مترفيها، يقال آمَرهم الله، وأمَرَهم، أي: كثرهم،ومن قَرأ (آمَرْنَا) بالمد، فلا مَعْنَى له إلا أكثرنا، وأما قول العرب أمر بنو فلان فمعناه: كثروا، والله آمرهم أي: كثرهم وبارك فيهم[١]

وقد يأتي معنى آخر وهو: جعلنا الأمراء من المترفين، فيفسدوا ؛ فيكون ذلك سبب هلاك القرى، ومما يؤيد هذا المعنى القرآني القراءة الشاذّة أمّرنا، بتشديد الميم، ومع أن بعض العلماء الأجلاء قرأوها بالتشديد إلا أنها قراءة شاذة لا يعتمد عليها، وقد قال أحد القراء إنه أختارها؛ لأنَّ المعاني الثلاثة: الأمر، والإمارة، والكثرة مجتمعة فيها[٢]

ومع هذه الاختلافات في القراءات إلا أن الراجح من القراءات هي (أَمَرْنا مُتْرَفِيها) بقصر الألف من (أمرنا) وتخفيف الميم منها على التفسير الأول، وقد اختارها الجمهور من القراء.[٣] وهذه القراءة هي التي اعتمدتها في هذه الدراسة .

---

١) ينظر: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي، (المتوفى:٣٧٠هـ)، **(معاني القراءات للأزهري)**،ج٢، ص٩٠، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م. ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، **(الحجة في القراءات السبع)**، ص٢١٥، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ.

٢) ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، (المتوفى: ٣٩٢هـ)،**(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**،ج٢، ص١٦، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م. الأشموني، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني الشافعي، (المتوفى: نحو ١١٠٠هـ)،**(منار الهدى في بيان الوقف والابتدا)**، ج١، ٤٢٢، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث – القاهرة، مصر، عام النشر: ٢٠٠٨م

٣) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٤٠٦. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي،(المتوفى:٣٧٠هـ)، **(معاني القراءات للأزهري)**،ج٢، ص٩٠، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، (المتوفى: ٤٥٠هـ)، **(النكت والعيون)**، ج٣، ص٢٣٥، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

ومع أن المعنى يختلف باختلاف القراءة إلا أن المفهوم من جميع القراءات، حتمية العقاب للمسيء، وهذا الذي ذهب إليه السّادة المفسرون.

وعليه يكون المعنى الذي يشهد له القرآن وعليه جمهور العلماء في قوله: (أَمَرْنَا) هو الأمر الذي هو ضد النهي، أي: أمرنا بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوا به، (فَفَسَقُوا) أي: خرجوا عن طاعة أمر ربهم وعصوه، وكذبوا رسله: (فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) أي: وجب عليها الوعيد (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) أي: أهلكناها إهلاكًا مستأصلاً، وأكد فعل التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم[1]

وقد يقول قائل إن لفظ التّدمير الوارد في الآيات يتناقض مع ما نرى ونشاهد من آثار الأمم السابقة؛ فيجاب: إن المقصود من التّدمير هو هلاك أهل القرية، واستئصالهم، مع بقاء مبانيهم وآثارهم شاهدة على قوتهم وحضارتهم، وقد أمر الله تعالى بالسّير في الأرض والنظر في عاقبة الأمم السابقة، مع بيان أن هذه الأمم كانت ذات قوة وحضارة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ﴾ (الروم:٩)، والذي يسير في البلاد يرى آثار الأمم السابقة وفي بقائها عبرة لمن بعدهم من الأمم لعلهم يتعظون، ويتعظ بمصيرهم من يأتي بعدهم من الأمم.

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٤٠٦. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)**، ج٣، ص٧٥، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

أما الفكرة الثانية التي قد تتبادر للذهن، فهي عموم الهلاك بحيث يصيب المترفين وغيرهم، فما دام الفسق قد حصل من المترفين وحسب، فلماذا يكون عموم العذاب ؟ يمكن الإجابة عن ذلك من زاويتين:

الأولى: أن غير المترفين تبع للمترفين، وإنما خُصّ المترفون بالذّكر لأنهم هم الاشراف والسادة؛ وغيرهم تبع لهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ (الأحزاب: ٦٧) وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (إبراهيم: ٢١) إلى غير ذلك من الآيات التي توضح أن العذاب لا يقتصر على المتبوع، بل إن التابع يصيبه العذاب أيضا.

وقد بين العلماء أن تعليق الأمر بخصوص المترفين مع أَن الرسل يخاطبون جميع الناس؛ لأن عصيان المترفين للأوامر هو سبب فسقِهم، وفسق بقية قومهم؛ إذْ هم قادة العامة وزعماء الكفر، فالخِطاب في الأكثر يتوجَّه إليهم، فإذا فسقوا عن الأمر اتَّبعهم الدَّهماء؛ فعمَّ الفسق أو غلب على القرية، فاستحقَّت الهلاك.[1]، وقد سألت زينب بنت جحش رضي الله عنها[2] الرسول ﷺ:

---

١) ينظر: أبو السعود ، **(إرشاد العقل السليم)**، ج٥، ص١٦٣. ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)** ج١٥ ص٥٥.

٢) زينب بنت جحش رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، أخت عبد الله بن جحش، أمها أميمة بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ، قديمة الإسلام، ومن المهاجرات وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة، وبعد طلاقها تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة بأمر من الله تعالى، وتوفيت سنة عشرين، وصلى عليها عمر ﷺ ، هي أول امرأة صنع لها النعش، ودفنت بالبقيع. ينظر: الأثير، **(أسد الغابة)**، ج٦، ص١٢٧

" **يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال:"نعم إذا كَثُر الخبث".**[1]

الثانية: عصيان البعض وبغيهم وطغيانهم، مع عدم نهي الآخرين لهم؛ سبب لعموم العذاب كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾(الأنفال: ٢٥).[2]

وقد مثل الرسول ﷺ لذلك بقصة القوم الذين استهموا على السفينة، فقد روى النعمان بن بشير[3]رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: **"مثلُ القائِمِ على حدود الله، والواقعِ فيها، كمثلِ قوم استَهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استَقَوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعا"**[4]، فنَهْيُ من هم في أعلى السفينة لمن هم بالأسفل عن خرقها هو سبب نجاة الجميع، وكذلك بالنسبة لمن يعيش بين المترفين، فلو أنهم يقومون بالأخذ على أيديهم، ويأمرونهم بالمعروف لَمَا أصابهم العذاب.

والذي تظهره آية الإسراء أن السقوط الحضاري يبدأ من رأس الدولة (القادة والأشراف) وليس من قاعدتها (الشعب)، وذلك باتباع الشعب لأهل القرار والرأي، والسير على نهجهم، فحقَّ

---

١) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج٤، ص١٣٨، رقم الحديث ٣٣٤٦. مسلم، **(صحيح مسلم)**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، ج٤، ص٢٢٠٨، رقم الحديث٢٨٨٠.

٢) ينظر: الشنقيطي، **(أضواء البيان)**، ج٣، ص٧٩

٣) النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد بن خلاس الأنصاري الخزرجي، وأمه أخت عبد الله بن رواحة ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بثماني سنين وسبعة أشهر، وقيل: بست سنين، وقيل هو أول مولود للأنصار بعد الهجرة ، يكنى أبا عبد الله، استعمله معاوية على حمص، ثم على الكوفة، قُتل بعد وقعة مرج راهط، سنة أربع وستين، كان كريماً جواداً شاعراً شجاعاً. ينظر: ابن الأثير، **(أسد الغابة)**، ج٤، ص٥٥٢

٤) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ج ٢، ص٨٨٢ رقم الحديث ٢٣٦١

السقوط عليهم كلهم، وقد يقول قائل إن التّرف هو دليل ازدهار الأمة، لأن التّرف لا يحصل إلا إذا تحسن الوضع الاقتصادي للدولة، فكيف يكون ذلك التّرف سُنة من سُنن المآل الحضاري نحو السقوط ؟ والجواب: إن حال التّرف في الأمة بقدر ما هي مرحلة سمو وازدهار حضاري، فهي في المقابل مرحلة بداية الانهيار لأن التّرف غالبا ما يكون مصحوباً بالفساد والفسوق عن أمر الله بالتحلل من ضوابط الأخلاق الإنسانية[1] .

مما سبق يمكن القول إن التّرف يفسد الفرد والجماعة؛ فعلى المستوى الفردي فإن التّرف يجعل الفرد عبداً لشهواته وحياته الفارهة متبعاً الهوى لتحقيق هذه الشهوات، وعلى المستوى الجماعي، فهو ينذر بانهيار الجماعات، ولهذا قَرَنه القرآن الكريم بالظلم والإجرام؛ وسِرُّ ذلك أن المترفين إنما يكون ترفهم بتبذير وسرقة موارد الأمة التي لا بدّ من استفادة الجميع منها فقيرهم قبل غنيهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾(هود: ١١٦).

وهكذا فإنّ المتأمل في الآيات التي ذكر فيها التّرف يتبين عاقبة التّرف والمترفين، الذين مضت سُنة الله فيهم أن يُهلكهم ويذيقهم العذاب في الدنيا، قبل أن يكون أشد العذاب لزاماً عليهم في الآخرة، هذه السّنّة قد مضت في الأولين من بعد نوحٍ، قرناً بعد قرن، كلَّما فشا التّرف في أُمة انتهت إلى ذلك المصير من العذاب .

والنّاظر في الواقع الذي نعيشه يرى من مظاهر التّرف الشيء الكثير، مع كثرة الآيات التي نهت عنه فما من متّعظ ولا معتبر، وفي وقت كتابتي لهذه السّنّة الإلهية كان احتفال

---

١) ينظر: هيشور، **(سنن التداول)**، ص٣١٨.

الإسبان بذكرى سقوط الأندلس– استردادها من وجهة نظرهم–، هذا السقوط لم يحصل إلا بعد أن ركن بنو الأحمر للدنيا وعاشوا ترفاً فاحشاً، وما أشبه اليوم بالبارحة، فما فَقْد الأندلس إلا جزءٌ مما فقدناه ونفقده في هذه الأيام من أراضي ومقدرات المسلمين، ولعل ما يحدث في دول الربيع العربي، وما يقاسيه المسلمون في شتّى أنحاء المعمورة من ويلات، ما هو إلا نتيجة للتّرف الذي انتشر بين العباد وما رافقه من فسق وفجور وتبذير وركون إلى الدنيا وشهواتها؛ فكان ذلك سبباً لحصول العقاب جرياً على اطّراد السّنن الإلهية، القائم على أن عذاب الله تعالى لا بدّ أن يصيب الأمم التي انغمست في مستنقعات الرذيلة، وما هذا القتل والنزاع والفرقة، إلا تحقيقاً لسنن الله القائمة على الثبات والاطّراد .

وأخيراً يمكن القول إن التّرف من أقوى أسباب الانحلال الاجتماعي، ويؤدي إلى تشويه خصائص الأمة، ويفقدها دافعيتها، ويُحوّلها إلى أمّة خاملة غير منتجة وغير قادرة على حماية مقدراتها، ومن ثم فإنها سرعان ما تزول وتختفي، وعليه لا بدّ إن أردنا النهوض بأمّتنا أن نربي أبناءنا بعيداً عن التّرف والتّنعم، وأن نعودّهم على تحمّل المسؤوليات والصعاب لنتمكن من وضع الأمة في مصافّ الأمم القوية المرهوبة الجانب .

المطلب الرابع: سنة الجزاء من جنس العمل.

سنّة إلهية عظيمة، وقانون إلهي عادل طالما كان لها الأثر الكبير في حياة الناس وعاقبة أمرهم ومآلهم، وهذه السّنّة هي سنّة (الجزاء من جنس العمل)، وقد دلّت على هذه السّنّة الإلهية أكثر من مائة آية في كتاب الله، قال الله تعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧ – ٨)، فجزاء العامل من جنس عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ.

قبل البدء ببيان هذه السّنّة، لا بدّ من بيان مفردات عنوانها بشكل موجز، بيان معنى الجزاء، والجنس لغة، واصطلاحاً.

الجزاء لغة واصطلاحاً:

الجزاء لغة: الجيم والزاء والياء: قيام الشيء مَقامَ غيره ومكافأتُه إياه على الشيء، جزاه به وعليه جزاء وجازاه مجازاة وجزاء.[١]

أما اصطلاحاً: "ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر"[٢]

وقد ورد لفظ الجزاء في القرآن الكريم على ستة أوجه[٣]، ولكن الوجه الذي يهمنا هو ما كان بمعنى ثواب الخير وعقاب الشر. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾(غافر: ١٧)

إذاً الجزاء ينقسم إلى قسمين: ثواب وعقاب، وأن الثواب هو الجزاء الحسن على فعل الحسنات وترك السيئات. وأما العقاب فهو الجزاء السيء على اقتراف السيئات، والجزاء بنوعية ثواباً وعقاباً يشمل كل جزاء يستحقه الإنسان على كل فعل قام به.

يقول ابن تيمية:إن من عدل الله تعالى الذي تقوم به السماء والأرض أن يكون الثواب والعقاب من جنس العمل في قدر الله وفي شرعه[٤]، أما ابن قيم الجوزية فيبين أنه عندما يعمل

---

١) ينظر: ابن فارس، **(معجم مقاييس اللغة)**، ج ١، ص٤٥٥. ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١٤ ص١٤٣.الزَّبيدي، **(تاج العروس من جواهر القاموس)**، ج٣٧، ص٣٥١.

٢) الأصفهاني، **(المفردات في غريب القرآن)**، ص١٩٥.

٣) ينظر:عاشور، **(السنن الإلهية في الأمم والأفراد)**، ص٢٢٣

٤) ينظر: ابن تيمية، **(مجموع الفتاوي)**، ج٢٨، ص١١٩.

الإنسان على السّير في الطّريق الذي يعينه على النجاة من العقوبة، سهّل الله له الطّريق لحصول ذلك.[١]

الجنس لغة واصطلاحاً .

الجنس لغة: يقال: "هذا يجانس هذا أي يشاكله".[٢]

أما اصطلاحاً فمعناه: المماثلة والمشاكلة، وهو مشابه للمعنى اللغوي، ويجد الباحث الكثير من الآيات التي تذكر جزاء العمل في القرآن بنفس مادة الفعل المذكور[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ (البقرة: ٤٠)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ (الطارق: ١٥ – ١٦) فكيد الله تعالى من باب المشاكلة وحسب.

بعد بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل من الجزاء والجنس، لا بدّ من تأصيل سنة الجزاء وبيان أنها من جنس العمل.

تأصيل"سنة الجزاء من جنس العمل": الجزاء من جنس العمل، أو كما تدين تدان[٤] حكمة بليغة تناقلها النّاس قديماً، وجاءت الشواهد من القرآن الكريم والسّنّة النبوية دالّة على صدقها، فهي سُنة إلهية مطّردة.

---

١) ينظر: ابن قيم الجوزية، **(مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة)**، ج١، ص٧١، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢) الزبيدي، **(تاج العروس)**، ج١٥، ص٥١٦.

٣) ينظر: عاشور، **(السنن الإلهية)**، ص٢٢٤.

٤) ابن همام، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، **(مصنف عبد الرزاق)**،ج١١، ص١٧٨، رقم الحديث٢٠٢٦٢، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ، ١٤٠٣هـ. ضعّفه الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، **(سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في=**

وقد حفلت سورة الإسراء بالحديث عن هذه السنة، والجزاءات التي وعد الله ﷻ عباده بها، قال الله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ (الإسراء: ٧)، هذه القاعدة لا تتغير في الدنيا ولا في الآخرة، وعمل الإنسان كله له، بكل ثماره ونتائجه، فالجزاء ثمرة طبيعية للعمل والإنسان مسؤول عن نفسه، إن شاء أحسن إليها، وإن شاء أساء، وحين يقع عليه الجزاء فلا يلومنّ إلا نفسه.[١]

وأيضا قول الله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾ (الإسراء: ٢٢)، فيه دلالة على أن كل إنسان يجازى بعمله، ففي الآية نهي للإنسان عن اتخاذ شريكاً لله في ألوهيته وعبادته، ودعوة إلة إخلاص العبادة له، فإنه لا ربّ غيره، ولا معبود سواه، ومن يفعل عكس ذلك ، يكون ملوماً على ما ضيع من شكر الله تعالى على نعمه، مخذولاً لا ينصره الله تعالى بل يكله إلى من عبده معه، ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً[٢].

ولم تقتصر هذه السّنّة (الجزاء من جنس العمل) على الأمور القلبية؛ بل تعدتها إلى الحدود التي شرعها الله تعالى حيث إن الجزاء فيها من جنس العمل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (المائدة: ٣٨)، هذه الآية فيها بيان واضح على أن الجزاء من جنس العمل؛ فجزاء

=**الأمة)**،ج٤، ص٧٧، رقم الحديث ١٥٧٦، دار المعارف، الرياض–المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م

١) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٤، ص٢٢١٤.

٢) ينظر: المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٥، ص٣٣

السارق يكون بقطع اليد التي استعان بها على أخذ أموال الناس خفية ، فناسب أن يقطع ما استعان به في سرقة تلك الأموال. [1]

وكما هو واضح فإن كون الجزاء من جنس العمل لا يقتصر على الآخرة وحسب، بل منه ما يكون في الدنيا، ومنه ما يكون في الآخرة، ومنه ما يكون في التشريع بين الناس[2] والتطبيقات القرآنية على ذلك كثيرة سأعرض مثالاً واحدا على كل منها.

التطبيقات القرآنية على سنة الجزاء من جنس العمل:

❖ الجزاء من جنس العمل في الدنيا: ومثاله قول الله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾ (الإسراء:١٨- ١٩)،أي من كان طلبه الدنيا العاجلة، ولها عمل وسعى، غير موقن بمعاد، ولا يرجو ثواباً ولا عقاباً من ربه على عمله يعجل الله له فى الدنيا ما يشاء من بسط الرزق، وسعة العيش، ثم يصليه جهنم في الآخرة مذموماً على قلة شكره لمولاه، مبعداً من رحمته، مطروداً من إنعامه ومن أراد وطلب الآخرة، وعمل العمل الصالح الذي هو طاعة الله تعالى وما يرضيه عنه، فهذا الذي يكون عمله مشكوراً بحسن الجزاء، وقد مضت سنة الله ﷻ أيضا، بأن اتباع الإنسان لهواه بتحريه وتشهيه ما تميل إليه نفسه في كل

---

١) ينظر: ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج٣، ص١١٠.

٢) ينظر: عاشور، **(السنن الإلهية في الأمم والأفراد)**، ص٢٣١

عمل من أعماله، دون ما فيه المصلحة والفائدة له من حيث هو جسد وروح يضله عن سبيل الله الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة، ويتعسف به في سبل الشيطان المردية المهلكة[1].

- ❖ الجزاء من جنس العمل في الآخرة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾(الإسراء: ٧٢)، وقد اختلف المفسرون في بيان معنى (الأعمى) في هذه الآية، فمنهم من قال: إن المقصود عمى القلب، فمن عمِيَ عن شكر الله تعالى على نعمه، فهو في الآخرة أعمى عن رؤية المُنعِم وقال مفسرون آخرون: إن العمى في الدنيا هو عمى البصيرة وليس البصر فعمى البصيرة يكون بالبعد عن الحق واتباع الضّلال، والذي يؤدي إلى عمى البصر في الآخرة فلا يتمكن من سلوك طريق الجنّة كنتيجة حتمية للبعد عن طريق الحق في الدنيا[2].

.من هنا يُستنتج أن من أعرض عن شكر نعم الله تعالى وعن الحق باختياره في الحياة الدنيا، لا بدّ أن يكون جزاؤه الطّمس على بصره في الآخرة؛ فلا يتمكن من سلوك طريق الجنّة فالجزاء في الآخرة يكون موافقاً للعمل في الدنيا ولا يظلم ربك أحداً.

---

١) ينظر: الطبري،**(جامع البيان)**، ج١٧، ص٤١٠. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٥، ص٢٧. رضا، **(تفسير المنار)**، ج٩، ص٣٤١

٢) ينظر: التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع، (٢٨٣هـ)، **(تفسير التستري)** ص٩٦، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ. ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج١٥، ص١٧٠. السعدي **(تيسير الكريم الرحمن)**، ص٤٦٣. الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج١٤، ص٨٦٨٥

❖ الجزاء من جنس العمل في التشريع بين الناس: كثيرة هي الآيات التي نتلوها والتي تقوم على مبدأ الجزاء فيما بين البشر، والعمل بهذه الآيات يؤدي إلى تنظيم الحقوق بين الأفراد في المجتمع، ومن أوضح هذه الآيات آيات المماثلة في القصاص، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ (البقرة: ١٧٨)،أما سورة الإسراء فقد ورد قول الله تعالى وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾ (الإسراء: ٣٣)، فهذه الآيات تقوم على مبدأ المماثلة في القصاص، وأن الجزاء من جنس العمل.

وفي كثير من الأحيان تكون العقوبات الإلهية على شاكلة الجرائم والمنكرات التي تقوم بها الأمم، وذلك تحقيقاً لسنة الله القاضية بأن الجزاء من جنس العمل، يقول ابن القيم: إن الله ﷻ جعل أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بدّ منه، فمَنْعُ الإحسان والزكاة والصدقة سببٌ لمنع الغيث من السماء، والقحط والجدب، وظلم المساكين والبخس في المكاييل والموازين سببٌ لجَوْر الملوك والولاة؛ فأعمال الرّعايا ظهرت في صور ولاتهم، والعاقل من ينظر بعين بصيرته وينظر مواقع عدل الله وحكمته[1].

وفي الوقت الذي وصل إليه المسلمون في هذه الأيام إلى الحضيض، فلا بدّ من استشعار هذه السّنّة، واستحضارها في كل المواقف والأحداث، ولا بدّ من التيّقن بأن الله يُمهل

---

١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، (المتوفى: ٧٥١هـ)، **(زاد المعاد في هدي خير العباد)**، ج٤، ص٣٢٦، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

الظالمين ولكن لا يهملهم، فمن يقتل الأبرياء ويستحلّ الحرمات، ثم يتوقّع الإفلات من عقاب الله تعالى فهو غافل عن سنن الله ﷻ، بل لا بدّ من أن تفاجئه سُنة الله من حيث لا يحتسب ولو بعد حين، وفي المقابل من قدم معروفاً فلا بدّ من شكره والاعتراف بفضله، قال عبد الله بن عمر[1] ﷺ قال ﷺ: "**منْ صنعَ إليكُم معروفاً فكافئوه، فإنْ لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى ترَوا أنّكُم قد كافأتموه**".[2]

والله يثيب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء، دون النظر إلى انتمائه الحزبي أو طائفته أو قوميته فلا عنصرية في الدين.

المطلب الخامس: سنة الله ﷻ في الهداية والضّلال

بعد الحديث عن سنة الله تعالى في الجزاء انتقل للحديث عن سنة الله ﷻ في الهداية والضّلال، والتي ترتبط نوعا ما بسنّة الله تعالى في الجزاء، وبتدبر كتاب الله وآياته تتكشف سنن الله في الهداية والضّلال، وقبل الشروع في بيان هذه السّنّة لا بدّ من توضيح معنى كل من الهداية والضّلال من الناحية اللغوية، وبيان صيغ الهدى والضلال ومعانيها في القرآن الكريم .

معنى الهدى والضّلال لغة: الهدى لغة: التقدّم للإرشاد، هَديته الطّريق هداية، أي تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هاد، وهو الارشاد والدّلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب، وهو

---

١) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أمه زينب بنت مظعون بن حبيب ، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وكان كثير الأتباع لآثار رسول الله ﷺ توفي سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر. ينظر: ابن الأثير، **(أسد الغابة)**، ج٣، ص٢٣٦.

٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السجستانيّ، (المتوفى: ٢٧٥هـ)، **(سنن ابي داوود)**، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، ج٢، ص١٢٨، رقم الحديث ١٦٧٢. صححه الألباني، **(سلسلة الأحاديث الصحيحة)**، ج٧، ص١٣٧٢، رقم الحديث ٣٤٦٦.

خلاف الضّلالة[1]،أما الضّلال فهو: ضياع الشيء وذهابه في غير حقه، ضللت المسجد والدار، إذا لم تهتد لهما والضّلال والضّلالة: ضدّ الهدى والرّشاد وسلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب.[2]

صيغ ومعاني الهدى والضّلال في القرآن الكريم

أولاً: صيغة الهدى ومعانيها في القرآن الكريم:

ورد لفظ (الهدى) ومشتقاته في القرآن الكريم ما يقرب من ثلاثمائة وثماني مرات[3] والهدى معرفة الحق والعمل به[4]، ويدور لفظ (الهدى) في القرآن الكريم بين معان كثيرة منها: الرشد، والنور، والإسلام، والكتاب والدليل الذي يهدي الطّريق ، والدين المستقيم وغيرها، ومما جاء بمعنى الرشد قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(البقرة: ٥) وبمعنى الدليل الذي يهدي الطّريق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٢٣)[5].وهكذا نجد باقي المعاني واضحة في آيات القرآن الكريم

---

١) ينظر: ابن فارس، **(معجم مقاييس اللغة)**، ج٦، ص٤٢. ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١٥ ص٣٥٣. الزبيدي، **(تاج العروس)** ج ٤٠، ص٢٨٢

٢) ينظر: ابن فارس، **(معجم المقاييس)**، ج٣، ٣٥٧. ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١١، ص٣٩٠. الزبيدي **(تاج العروس)**، ج٢٩، ص٣٤٣.

٣) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، **(الإعجاز العددي للقرآن الكريم)**، ص٧٩، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الخامسة: ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٤) ينظر: ابن قيم الجوزية، **(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)**، ص٣٩.

٥) ينظر: ابن الهائم، أبو العباس أحمد بن محمد بن الصدر، (المتوفى: ٨١٥هـ)، **(التبيان في تفسير غريب القرآن)**، ص٤٧، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ. الأصفهاني، **(مفردات ألفاظ القرآن الكريم)** ، ص٨٣٥.

ثانيا: صيغة الضّلال ومعانيها في القرآن الكريم:

ورد لفظ (الضّلال) ومشتقاته في القرآن الكريم ما يقرب من مائة وواحد وتسعين مرة[١] ويلاحظ أن لفظ الضّلال ورد في القرآن على أوجه، منها: الضّلال:" نقيض الهدى، وأصله من الضياع"[٢]، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(الفاتحة: ٧)، والضلال :"كل عدول عن المنهج، عمدًا كان أَو سهوًا، يسيرًا كان أَو كثيرًا، فإنَّ الطريق المستقيم الذى هو المرتضَى صعب جدًّا" [٣]

بعد ذكر معنى الهداية والضّلال لغة، وبيان صيغ ورودها في القرآن الكريم، يمكن تعريف "سُنة الله في الهدى والضّلال" بأنها: منهج الله وطريقته في إرشاد العباد ودلالتهم إلى الطّريق المستقيم، أو إبعادهم عنه.[٤]

ومن الآيات التي تبين هذه السّنّة قول الله تعالى:﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾(الإسراء: ١٥)، تؤكد هذه الآية على أن من سُنن الله؛ التَبِعة الفردية التي تربط كل إنسان بنفسه إن اهتدى فلها، وإن ضلّ فعليها، وما من نفس تحمل وزر أخرى،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ﴾ (الإسراء: ١٥)، فكل إنسان يُسأل كل عن عمله ويجزى به، فثواب العمل إن كان خيراً أم شراً يختص بفاعله، ولا يتعداه إلى غيره ممن لم يهتدِ، ومن ضَلَّ فوبالُ ضلاله على

---

١) ينظر: نوفل، **(الإعجاز العددي للقرآن الكريم)**، ص٢٣٠.

٢) ابن الهائم، **(التبيان في تفسير غريب القرآن)**، ص٤٦.

٣). الفيروزآبادى ،**(بصائر ذوي التمييز)**،ج٣، ص٤٨١

٤) ينظر: مجموعة من العلماء، **(التفسير الوسيط للقرآن الكريم)**، ج١٠، ص١٩٣٨، إشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ م

نفسه أيضا، والآية دالة على أن العبد متمكن من الخير والشر، وأنه غير مجبور على عمل بعينه أصلاً، ومنفعة اهتدائِه تعود إلى نفسه [١].

بعد البحث في تعريف كل من الهدى والضّلال، لا بدّ من بيان أسباب كل منهما، وقد ناقش العلماء هذه الأسباب نقاشاً طويلاً مما لا يسعه المقام هنا، ولكن أذكر بعض أسباب الهداية والضلال، أبدؤها بما ورد في سورة الإسراء

أسباب الهداية.[٢]

هناك أسباب كثيرة رتّب الله ﷻ عليها الهداية لعباده وفق سُنته تعالى في الهداية والإضلال، استعرض أهمها بشكل موجز:

أولاً: العلم واستخدام الحواس التي أنعم الله بها على البشر، واتباع الفطرة السليمة التي تقر بألوهية الله يقول ابن تيمية: "الاعتراف بوجود الصانع ثابت في الفطرة، كما قرره الله في كتابه في مواضع فلا يحتاج هذا إلى دليل".[٣]

وقد حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تدعو إلى استخدام ما امتَنّ به الله ﷻ علينا من سمع وبصر وعقل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الإسراء: ٣٦)، فَحُسْن استخدام الأنسان لما وهبه الله ﷻ من حواس يؤدي إلى زيادة الهداية يقول سيد

---

١) ينظر: الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج٢٠، ص٣١١. الشربيني ، محمد بن أحمد الخطيب، (المتوفى: ٩٧٧هـ)، **(السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)**، ج٢ ص٢٨٩، مطبعة بولاق– القاهرة، ١٢٨٥ هـ. قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٤، ٢٢١٧.

٢) ينظر: الخطيب، **(السنن الإلهية في الحياة الإنسانية)**، ج١، ص٢٠٩–٢٦٨. المغربي، أيمن بن نبيه، **(السنن الإلهية السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعًا ودراسة)**، ص١٢٥–١٤٣، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير إشراف ا. د. محمد بن عمر بازمول، ١٤٢٧هـ.

٣) ينظر: ابن تيمية، **(مجموع الفتاوى)**، ج٢، ص٧٢

قطب: إن الله خلق البشر باستعداد للخير وللشر وللهدى والضّلال، ومنحهم القدرة على اختيار الطّريق الذي يريدون، وقدّر أنه إذا أحسن الإنسان استخدام مواهبه من حواس ومشاعر ومدارك ووجهها إلى إدراك دلائل الهدى في الكون والنفس، وما يجيء به الرسل من آيات وبينات؛ فإنه يؤمن ويهتدي ويصل طريق الحق والخلاص.[1]، وفي المقابل عدم استخدام وسائل الهداية سبب للضلال، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ﴾ (الإسراء: ٩٧).

ثانياً: قراءة القرآن الكريم والعمل بما فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)، يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به. ويرشد من اهتدى به للسبيل التي هى أقوم السبل، وهى ذلك الدين القيم والملة الحنيفية السمحاء [2]

هناك اسباب أخرى للهداية، لم ترد في سورة الإسراء مثل:

أولاً: الدعاء وسؤال الله ﷻ الهداية: المسلم يسأل الله ﷻ الهداية في كل صلاة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(الفاتحة: ٦)، يقول ابن تيمية: "ولما كان سؤال الله الهداية

---

١) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٢، ص١٨٢١

٢) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٣٩٢. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٥، ص١٧

إلى الصراط المستقيم أجلّ المطالب، علّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه".[1]

ثانياً: الإيمان والاعتصام بالله ﷻ: ورد كثير من الآيات التي تبين أن الإيمان سبب الهداية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن:١١) أي: يهده إلى العمل بمقتضى إيمانه ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير[2] وجاءت آيات أخر توضح أن الاعتصام بالله ﷻ يؤدي إلى الهداية والرشاد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(آل عمران:١٠١) أي ومن يستمسك بدين الله وكتابه ورسوله، فقد حصل له الهدى إلى الصراط المستقيم لا محالة فلا يخش عليه الضلال [3]

ثالثاً: امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه: سبب مهم من أسباب الهداية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، أي فاهتدوا بالرسول ﷺ ، واعملوا بما أمركم به من طاعة الله ﷻ لكي تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحقّ في اتّباعكم إيّاه، والاتباع في الأقوال بأن يتمثل التابع

---

١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، (المتوفى: ٧٥١هـ)، **(مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)**، ج١، ص٤٧، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٢) ينظر: الزمخشري، **(الكشاف)**، ج٤، ص٥٤٩. القاسمي، **(محاسن التأويل)**، ج٩، ص٢٤٦

٣) ينظر: المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج٤، ص١٦. ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج٤، ص٢٩

جميع ما أمره به المتبوع على طريق الأمر والنهي والترغيب والترهيب، وأما المتابعة في الأفعال فبأن يقتدي به في أفعاله وآدابه؛ ومن لم يتبعه ضل ضلالاً بعيداً [١]

رابعاً: التوبة والإنابة إلى الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ (الرعد: ٢٧)؛ فالله ﷻ يهدى إلى الحق من رجع وتاب وأقلع عما كان عليه. فالإنابة إلى الله هي سبب الهداية، ومفهوم المخالفة[٢] "أن الذين لا ينيبون هم الذين يستأهلون الضلال فيضلهم الله تعالى" [٣]

خامساً: المجاهدة: المجاهدة أنواع؛ مجاهدة النفس، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة الأعداء، فعلى المسلم أن يجاهد نفسه، ويدلها على سلوك طريق الخير، ويعلمها أن طريق الجنة ومن المعلوم أن الجنّة محفوفة بالمكاره، قال أنس بن مالك[٤]: قال رسول الله ﷺ: "**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**"[٥]: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٣، ص١٧٢ الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم **(لباب التأويل في معاني التنزيل)**، ج٢، ص٢٥٩، دار النشر: دار الفكر – بيروت / لبنان –١٩٧٩م. رضا **(تفسير المنار)**، ج٩، ص٢٥٧. السعدي، **(تيسير الكريم الرحمن)**، ص ٣٠٥

٢) مفهوم المخالفة: هو دلالة اللفظ على نفي الحكم الثابت للمنطوق عن المسكوت، لانتفاء قيد من قيود المنطوق، ويسمى:. دليل الخطاب؛ لأن دليله من جنس الخطاب، أو لأن الخطاب دلَّ عليه، أو لمخالفته منظوم الخطاب ومنطوقه. ينظر: الزحيلي، محمد مصطفى، **(الوجيز في أصول الفقه الإسلامي)**، ج٢ ص١٥٤، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

٣) قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٤، ص٢٠٦٠.

٤) أنس بن مالك بن النضر، خادم رسول الله ﷺ، خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه قال أنس: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة،اختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، ودفن هناك. ينظر: ابن الأثير،**(أسد الغابة)**، ج١ ص١٥٢

٥) مسلم،**(صحيح مسلم)**، كتاب كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،ج٤، ص٢١٧٤، رقم الحديث٢٨٢٢

لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩) ،أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول؛ ليتناول كل ما يجب مجاهدته، والنتيجة زيادة الهداية والتوفيق إلى سبل الخير[١]

سادساً: الصحبة الصالحة: رفقة الصالحين الأخيار من الأسباب التي توصل للهداية فكم من ضال هداه الله على أيدي أصحابه، فالمرء على دين خليله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ ﴾ (الأنعام: ٧١)، أي لهذا الحيران الذي استهوته الشياطين في الأرض، له أصحاب صالحون يدلّونه على طريق الخير، عن طريق الاقتداء بهم في أفعالهم وأعمالهم، ولا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم، ولا أن يكون في الخير دونهم، فيصيروا سبباً لسعادته [٢].

هذه أهم أسباب الهداية، ويمكن القول إن هذه الأسباب سواء كانت منفردة أو مجتمعة هي التي تؤدي لهداية البشر إلى طريق الصواب، ومن تنكّب هذه الأسباب فإنه سيهوي في منزلقات الضّلال، والتي سأوضح أهم أسبابه في الفقرة التالية.

أسباب الضّلال:[٣]

كما أن للهداية أسبابها فللضّلال أسبابه، فمن يعرض عن أسباب الهداية ينزلق في حفر الضّلال، ويمكن القول إن كل من لا يأخذ بأسباب الهداية التي ذكرتها سابقاً، لا بدّ من وقوعه

---

١) ينظر:. الزمخشري، (**الكشاف**)، ج٣، ص٤٦٥. ابو حيان،(**البحر المحيط**)، ج٨، ص٣٦٧

٢) ينظر: الطبري، (**جامع البيان**)، ج١١، ص٤٥١. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ابن حبيب، (المتوفى: ٤٥٠هـ)، (**أدب الدنيا والدين**)، ص١٠٦، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م

٣) ينظر: الخطيب، (**السنن الإلهية في الحياة الإنسانية**)، ص١١٤- ٢٠٧. المغربي، (**السنن الإلهية في تغيير المجتمعات**)، ص١٤٣-١٦١.

في منزلقات الضّلال، وقد أوضح القرآن الكريم في آياته الكثير من أسباب الضّلال، وسأعرض بعضاً منها في السطور الآتية:

أولا: الذنوب والمعاصي واتباع الشهوات: يمكن اعتبار الذنوب والمعاصي من أهم أسباب الضّلال، فالانغماس بها يؤدي لموت القلب وإبعاد العبد عن الله ﷻ، ولذلك جاءت النّصوص الكثيرة تُحذّر من الذنوب وتبين عقوبتها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٧). ففي الآية ذكر لأمم قد حق عليها العذاب بذنوبها [١]

ثانيا: اتباع الشيطان والسير على خطاه: سبب مهم من أسباب الضّلال، فالشيطان نَذَر نفسه لغواية الإنسان والإيقاع به، لذلك فهو يزين طريق الغواية ويجمّلُها له، كيْ يوقعه في المعصية مستخدماً التدرج في الغواية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٣)، أي: فمن تبعك. من ذرّية آدم عليه السلام فأطاعك، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم، ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي، وثوابهم على اتباعهم إياك وخلافهم أمري (جزاءً موْفُورًا) أي: ثواباً مكثوراً مكملاً[٢]، واتباع الشيطان يتمثّل في الكبر والعناد والأمر بالسوء وتزيين الأعمال الباطلة، والوعود الكاذبة والاستهواء وغيرها.[٣]

ثالثا: الجهل واتباع الظن: الجهل سواء كان جهلاً بأسماء الله تعالى وصفاته، أو بالإعراض عن منهج الرسل عليهم السلام من أكبر الأسباب التي تحرف الإنسان عن الطريق

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٤٠٧. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٥، ص٢٦

٢) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**،ج١٧، ص٤٩٠

٣) ينظر: الخطيب، **(السنن الإلهية في الحياة الإنسانية)**، ج١، ص١٢٠-١٢٨.

السوي وقد أوضح القرآن الكريم أن الكثير قد حاد عن جادّة الصواب بفعل الجهل واتباع الظن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ (يونس: ٣٦) أي ما يتبعون إلا حدساً وكذباً في أن ما يعبدونه هي آلهة وأنها تشفع، وأما أتباعهم فيتبعونهم تقليداً [١] فالآية تبين أن الذين كانوا يعارضون رسول الله ﷺ فعلوا ذلك إما عناداً، رغم علمهم بصدق ما يبلغ عنه، وإما أنهم يعاندون عن غير علم، مصداقاً لقول الحق سبحانه﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ ﴾ (يونس: ٣٩)

رابعا: اتباع الهوى[٢]: من المهلكات التي تؤدي للضلال؛ هوى متبع، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على ذمها والتحذير منها ، وما ضل من ضل عن طريق الهداية، ووقع في سبيل الضلال إلا وكان الهوى السبب الرئيس، وقد حذرنا الله من اتباع الهوى؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (القصص: ٥٠)، فالهوى يؤدي بصاحبه إلى النار، وإنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار[٣]، وما ذكر الله ﷻ الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه [٤]، فاتباع الهوى هو أصل كل معصية، ورأس كل فتنة، وإنما تنشأ المعاصي من تقديم هوى النّفوس على محبّة الله ورسوله وكذلك البدع تنشأ من تقديم الهوى على الشّرع، ولهذا يسمّى أهلها أهل الأهواء، فيجب على

---

١) ينظر: القرطبي، **(الجامع لأحكام القرآن)**، ج٨، ص٣٤٣

٢) الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه قال الله عز وجل ونهى النفس عن الهوى معناه نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل. ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١٥، ص٣٧١

٣) ينظر: السمين الحلبي، **(الدر المصون)**، ج١، ص٤٩٩

٤) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (المتوفى: ٥٩٧هـ)، **(ذم الهوى)** ص١٢، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي

هؤلاء حينئذ التّوبة من ذلك، وتقديم محبّة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النّفس ومراداتها كلّها[1]

سادسا: اتباع العادات الجاهلية، وتقليد الآباء والأجداد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (الصافات: ٦٩ -٧٠) والتقليد اتباع الغير فيما يقول، أو يفعل، من غير حجة، ولا دليل [2]، وهو الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد والرؤساء وسائر أفراد المجتمع من العادات والتقاليد والدين، وما ورثوه من أخلاق وعادات عنهم، وقد بين الله تعالى قبح وضلال من يفعل ذلك في العديد من آيات القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(البقرة: ١٧٠)، أي وإذا قيل اتبعوا ما أنزل الله ولا تتبعوا من دونه أولياء مالوا إلى التقليد، وقالوا نحن لا نعرف إلا ما وجدنا عليه السادة، والكبراء والشيوخ من آبائنا[3]، وقد رسم الله ﷻ لهم صورة زرية تليق بهذا التقليد وهذا الجمود، فهم كالبهيمة السارحة التي لا تفقه شيئاً بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح، وهم صم بكم عمي[4]

---

١) ينظر: السَلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد(المتوفى: ٧٩٥هـ)، **(جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم)**، ج٢، ص٣٩٧، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

٢) ينظر: أبو جيب، **(القاموس الفقهي لغة واصطلاحا)**، ص٣٠٨

٣) ينظر: المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج٢، ص٤٤

٤) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج١، ص١٥٥

وهناك المزيد من الأسباب التي تؤدي للضلال[1]، والتي لا مجال لشرحها في هذه الصفحات .

سنن الهداية والضّلال

هناك الكثير من السّنن الإلهية التي كتبها الله ﷻ في من يتبع هداه، وفي المُعرض عنه، ومن هذه السّنن:

١- من يتبع هدى الله ﷻ؛ يُبَشَّر ببُعد الخوف والحزن عنه، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨)، فرتب الله تعالى على اتباع هداه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن، والفرق بينهما؛ أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظراً، أحدث الخوف، فنفاهما عمن اتبع هداه وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفي الضّلال والشقاء عمن اتبع هداه وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة، وفي المقابل فمن يترك هدى الله ﷻ، فإن الله يتركه لما اختاره، ومن المعلوم أن ما اختاره لنفسه هو سبيل الضّلال، لأنه ليس بعد الحق – الإسلام الذي تركه– إلا الضّلال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾(يونس: ٣٢)؛ ولقد ذاقت البشرية وما زالت من ويلات هذا الضّلال، ممّا هو حتْميّ في تاريخ البشرية حين تنحرف عن هدى الله، قال صاحب الظلال:" والذي يريد

---

١) من أراد الاستزادة فليراجع الخطيب، **(السنن الإلهية في الحياة الإنسانية)**، ص١١٤– ٢٠٧. المغربي، **(السنن الإلهية في تغيير المجتمعات)**، ص١٤٣-١٦١.

أن يتملّى شقاء البشرية في انحرافها عن هدى الله، لا يحتاج أن ينقب فهو حوله، في كل أرض تراه الأعين ويصرخ منه العقلاء في كل مكان" [1]

٢- من تمسك بالضّلال خسر ولاية الله له ونصرته إياه، وكان من الظالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩٧) وفي قوله تعالى (فلن تجد لهم من دونه أولياء)، وعيد بأن من يضلله الله تعالى فيخذله، ويكله إلى نفسه، فلا هادي له من دون الله ﷻ، وليس له ولي ينصره من عذاب الله ولا يوفقه للهداية؛ لسوء اختياره، وقبح استعداده، وفساد طبعه، ولن يجد له أنصاراً من دون الله يهدونه إلى طريق النجاة من عذاب استحقه بإمعانه في الضلال والعناد، أو يهدونه إلى الحق والسعادة في الدارين، ثم يحشره الله على وجهه خزيًا عميًا وبكمًا، ثم بعد الحساب يساق إلى جهنم على وجهه، مدفوعاً إليها دفعاً سريعاً، وفي النهاية مقرهم ودارهم جهنم التي جمعت كل همّ وغمّ وعذاب.[2]

٣- طيب العيش لمتبع الهدى، وحياة الضنك للمعرض عنه في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه: ١٢٣ – ١٢٤) فهذه الآيات بينت أن

---

١) قطب (**في ظلال القرآن**)، ج٢، ص١١٣٢.

٢) ينظر: ابن عطية، (**المحرر الوجيز**)، ج٣، ص٤٨٦. السعدي، (**تفسير السعدي**)، ص٤٦٧. مجموعة من العلماء، (**التفسير الوسيط**)، ج٥، ص٨٠٧

من اتبع هدى الله تعالى فهو في أمان من الضّلال والشّقاء، أما من ضلّ فيجني الشقاء ولو كان صاحبه غارقاً في المتاع؛ فهذا المتاع شقاء في الدنيا والآخرة. ومن ضلّ عن هدى الله عاش في تخبط وعدم استقرار لما يكون فيه من القلق والحرص على الدنيا، والتهالك على ازديادها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة[1]،هذا في الدنيا أما في الآخرة فيصدقه قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧١)،أي: فمن أعطي كتاب عمله بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم على أحسن الوجوه وأثبتها، مبتهجين فرحين بما فيه من العمل الصالح، ثم لا يكتفون بقراءتهم وحدهم بل يطلب القارئ من أهل الحشر أن يقرأوا معه[2]، ومما جاء في نفس المعنى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ١٩ – ٢١)، فهذه الآية تبين المآل الحسن والعيشة الهنية التي يعيشها من اهتدى في الدنيا

أما قوله تعالى:﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾(الإسراء: ٩٧)، تبين المآل السيء لمن ضلّ، وأن جهنم هي مأواه مصيره .

---

١) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج ٤، ص٢٣٥٦. الهرري، **(تفسير حدائق الروح والريحان)** ج١٧، ص٤٥٩.

٢) ينظر: الرازي،**(مفاتيح الغيب)**، ج٢١، ص٣٧٧. المراغي، **(تفسير المراغي)**،ج١٥، ص٧٧

٤- من يعرض عن هدى الله يقيض له شيطاناً يصاحبه ولا يفارقه يزين له عمل الشر ويصده عن سبيل الحق، وبهذا جرت سنة الله في المعرضين عن هداه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٣٦)، أي: من يعرض ويتعام عن ذكر الله، وينهمك في لذات الدنيا وشهواتها؛ يجعل الله تعالى له شيطاناً يغويه ويضلّه عن الطريق المستقيم فالشياطين يصدّون هؤلاء عن سبيل الحقّ، فيزينون لهم الضّلالة، ويكرّهون إليهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته ويرتعون في الشهوات، وبناء على ما جرت به سنة الله ينالون جزاءهم من عقاب الله تعالى واحتقار البشر لهم، فيكون ذلك عبرة لهم ولغيرهم.[1]، وفي المقابل فعباد الله لا سلطان للشيطان عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٦٥)

هذا بيان لأهم سنن الله في الهدى والضّلال، ولكن قد يتساءل البعض كيف نوفق بين القول إن الإنسان له الحرية في اختيار طريق الهدى أو الضّلال، وأن الله ﷻ يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

هذه حقيقة ثابتة بصريح نصوص القرآن الكريم، والسّنّة النبوية الشريفة، وإجماع أهل الحق. وقد تعددت الآيات التي تقرر هاتين الحقيقتين، وعليه يجب التوفيق بين هذه الآيات، وقد حددت السورة هذه المفاهيم من خلال الآيتين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج٢١، ص٦٠٣. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج٢٥، ص٨٩.

فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ ﴾ (الإسراء: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ ﴾ (الإسراء: ٩٧)

يقول محمد الغزالي في بيان ذلك:"إن إطلاق المشيئة في آية، تقيده آية أخرى يذكر فيها الاختيار الإنساني صريحًا أي أن إضلال الله لشخص، معناه: أن هذا الشخص آثر الغيّ على الرّشاد، فأقره الله على مراده، وتمم له ما يبغي لنفسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف: ٥) وانظر إلى قيمة التنويه بالاتجاه البشري المعتاد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾(النساء: ١١٥)".[1]

وهناك آيات عدة تبرز استحقاق الضالين للضلال بسبب أعمالهم، ومن ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾(البقرة: ٨٨)، وفي المقابل بينت الآيات أن الله يهدى أقواماً يستحقون الهداية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ﴾(المائدة: ١٦).

قال قطب:"فمشيئة الله سبحانه التي يجري بها قدره في البشر أن يخلق هذا الانسان باستعداد مزدوج للهدى والضّلال، وذلك مع إيداع فطرته إدراك الحقيقة الربوبية الواحدة والاتجاه إليها. ومع إعطائه العقل المميز للضلال والهدى، ومع إرسال الرسل بالبينات لإيقاظ الفطرة إذا

---

١) الغزالي، محمد، **(عقيدة المسلم)**، ص ٩٥، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.

تعطلت وهداية العقل إذا ضل، ولكن يبقى بعد ذلك كله ذلك الاستعداد المزدوج للهدى والضّلال الذي خلق الإنسان به، وفق مشيئة الله التي جرى بها قدره"[1].

إضافة لذلك وهب الله الإنسان وسائل الإدراك من سمع وبصر وعقل، ليهتدي بها إلى طريق الهدى والبعد عن الضّلال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الإسراء: ٣٦)

وأخيراً أرسل الرسل عليهم السلام لهداية الناس إلى طريق الحق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ (يونس: ٧٤).

وهكذا تتكامل حلقات مسؤولية البشر عن أعمالهم، فليس لأحد أن يلقى تبعة كفره وعصيانه على الله ﷻ أو على أحد من البشر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ (الطور: ٢١).

مما سبق يمكن القول إن سنة الله في هداية من يختار الهداية وإضلال من اختار الضّلال، سنة ماضية حاضرة مستمرة إلى أبد الآبدين ومع كون الله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، إلا أنه يقرر، مع ذلك، مسئولية المكلفين عن أعمالهم واختياراتهم فهي تقوم على ربط الأسباب بالمسببات.

---

١) قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٣، ص١٤٠٠.

المطلب السّادس: سنّة الاستفزاز

تعددت السّنن الإلهية في سورة الإسراء، وهذه هي السّنّة السادسة التي سأتطرق للحديث عنها، وفي البداية لا بدّ من بيان أن كلمة الاستفزاز كلمة غريبة في القرآن الكريم، لم ترد إلا في سورة الإسراء، في ثلاثة مواضع وحسب:

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾(الإسراء: ٦٤)

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (الإسراء:٧٦)

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا﴾(الإسراء: ١٠٣)

بالرّجوع إلى كتب اللغة وجدت أن هذه الكلمة مشتقة من الفعل (فزز)، يقال: فزّه واستفزّه إذا استخفّه، ورجل فزّ :خفيف، وفزّه فزا وأفزّه: أفزعه وأزعجه، واستفزّه من الشيء: أخرجه، واستفزّه الخوف أي: استخفّه، وفزّ الظبي: فزِع.، واستَفَزَّه الخَوْف: اسْتَخَفَّه[1]، من هنا نجد في الفعل (فزّ) معان كثيرة منها الاضطراب والخِفّة والفزع لشدة الخوف، ويمكن القول إن المعنى الأصلي والدقيق للاستفزاز هو الإزعاج والاستخفاف، وأَن الخوف والهرب والقتل من نتائج المعنى الأول للكلمة، وهذا المعنى هو المستخدم في كلامنا اليوم، فالاستفزاز يستخدم بمعنى الاستثارة والإزعاج، مما يدعو للخوف والغضب أو الهرب أو غير ذلك، وقد أشار صاحب"محاسن

---

١) ينظر: ابن فارس، **(معجم مقاييس اللغة)**، ج٤، ص ٤٣٩. ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٥ ص٣٩١. الفيروزآبادي، **(القاموس المحيط)**، ج١، ص٥٢٠. الزبيدي، **(تاج العروس)**، ج١٥، ص٣٧٠

التأويل"إلى المعنى الذي ذكرتُه فقال في معنى يستفزهم: "أي يُفزعهم ويزعجهم بِما يحملهم على خِفَّة الهرب فَرَقاً منه، أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال".[١]

من خلال الآيات السابقة يُلاحظ أن الفعل(فزّ) يتعدى بنفسه :﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾، ويتعدى بحرف (من): ﴿لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾وقوله: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾، فإن تعدى الفعل بنفسه كان بمعنى الإزعاج والاستخفاف، جاء في لسان العرب" استفزَّهُ:"خَتَلَهُ حتى ألقاه في مهلكةٍ، واستفزَّه الخوفُ أي استخفَّهُ"[٢]، أما إن تعدى بـ(من) كان بمعنى الإخراج والاستئصال بالقتل أو الطرد والتنحية[٣]، وقد ورد في لسان العرب:"استفزه من الشيء: أخرجه"[٤].

أما من خلال الرجوع إلى كتب السّادة المفسّرين، فقد اختلف المفسّرون في تفسير هذه الآيات حسب السياق، فلا يمكن تفسير الاستفزاز في جميع الآيات بنفس المعنى ، ففي قول الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ (الإسراء: ٦٤)، في هذه الآية تهديد ووعيد من الله تعالى للشيطان داعياً إياه أن يستخفّ ويزعج بصوته ودعائه ويحرك أتباعه ليجيئوا تابعين لصوته، وأن يجاهر بصوته داعياً بني آدم إلى معصية الله تعالى ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ

---

١) القاسمي، **(محاسن التأويل)**، ج٦، ص٥١٩.

٢) ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٥، ص٣٩١.

٣) ينظر: الزجاج، **(معاني القرآن)**، ج٣، ص٢٦٣. الماوردي، **(النكت والعيون)**، ج٣، ص٢٧٨.

٤) ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٥، ص٣٩١.

﴿(الإسراء: ٦٤)، [1]، وفعل الأمر هنا (واستفزز) أمر تعجيز، أي: أنت لا تقدر على إضلال أحد، وليس لك على أحد سلطان فافعل ما شئت.[2]

يتضح من تفسير الآية السابقة أن الاستفزاز هنا بمعنى الاستخفاف، وهذا الاستخفاف صادر من إبليس إلى بني آدم، فمن استمع لهذا الاستخفاف أصبح من أولياء الشيطان، وعلى النقيض فإن استخفاف ابليس لا ينجح مع فريق آخر؛ هو فريق أولياء الرحمن .

بالانتقال إلى الآية الثانية وهي قول الله ﷻ: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(الاسراء:٧٦).

فقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن الاستفزاز هنا جاء بمعنى الإخراج الذي بيَّنته وفسّرته الآية نفسها في قوله تعالى:"لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا"، ولا ذكر لمعنى الاستخفاف فيها[3]، إلا أن شيخ المفسرين الطبري ذكر أن الاستفزاز هنا يأتي بمعنى الاستخفاف الذي يحمل على الخروج فكأن الاستفزاز والاستخفاف كانا بمثابة المقدمة للخروج، وليس الخروج حقيقة، حيث قال:"وإن كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الأرض، يقول: ليستخفّونك من الأرض التي أنت بها، ليخرجوك

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٤٩١. ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج٥، ص٩٣. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٥، ص٧٠. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، **(زهرة التفاسير)**، ج٨، ص ٤٤١٦، دار الفكر العربي. الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج١٤، ص٨٦٦٦.

٢) ينظر:. القرطبي، **(الجامع لأحكام القرآن)**، ج ١٠، ص٢٨٨. ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)** ج٥، ص٩٣. ابن الجوزي، **(زاد المسير)**، ج٣، ص٣٧.

٣) ينظر: ابن الجوزي، **(زاد المسير)**، ج٣، ص٤٤. السعدي، **(تيسير الكريم الرحمن)**، ص٤٦٤. ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج١٥، ص١٧٨.

منها"[1]، وإلى هذا القول ذهب مفسرون آخرون، فقالوا: إن أهل مكة أزعجوا الرسول ﷺ بعداوتهم ومكرهم كل ذلك ليخرجوه من مكة المكرمة.[2]

بعد النظر في الأقوال السابقة يمكن ترجيح أن الاستفزاز في هذه الآية هو الإزعاج والاستخفاف الحامل على الخروج، وليس الإخراج حقيقة، فالاستفزاز والتضييق أدى إلى الخروج، بعد أن اشتد الكرب على النبي ﷺ؛ لأن الرّسول ﷺ لم يخرج بناء على استفزاز قومه، بل خرج بأمر من الله ﷻ وهذا ما سأبينه لاحقاً.

أما الآية الثالثة وهي قوله تعالى:: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ (الإسراء:١٠٣)، جاءت في معرض الحديث عن فرعون وما فعل مع بني اسرائيل، وقد اختلف العلماء في تفسير الاستفزاز، فمنهم من ذهب إلى أن معناه الإخراج[3]، وقال آخرون: بل إن المقصود القتل[4]، والقسم الثالث قال: إن الاستفزاز يعني الاستخفاف ثم الإخراج. [5]

والذي يتضح من سياق الآية الكريمة، أن الاستفزاز كان من قبل فرعون وأن المُسْتَفز هو سيدنا موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل.

---

١) الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٥١٠.

٢) ينظر: الزمخشري، **(الكشاف)**، ج٢، ص٦٨٥. البيضاوي، **(أنوار التنزيل)**، ج٣، ص٢٦٣.

٣) ينظر: الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج٢١، ص٤١٦. ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج٥ ص١٢٦. السعدي، **(تيسير الكريم الرحمن)**، ص٤٦٧.

٤) ينظر: الزمخشري، **(الكشاف)**، ج٢، ص٦٩٨.ابن عطية، **(المحرر الوجيز)**، ج٣، ص٤٩٠.

٥) ينظر: ابن عطية، **(المحرر الوجيز)**، ج٣، ص٤٩٠. البيضاوي، **(أنوار التنزيل)**، ج٣، ص٢٦٩. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٥، ص١٠٥. ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج١٥، ص٢٢٨. الطنطاوي **(التفسير الوسيط)**، ج ٨، ص٤٤٦

ومما استَوْقَفني في تفسير الآية الثالثة أن جُلّ المفسرين اتفقوا على أن المقصود من قول الله تعالى ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي، ليقتلهم، ومن لم يذهب إلى هذا القول، ذهب إلى أن الاستفزاز في هذه الآية هو بمعنى الإخراج، إخراج فرعون لموسى وملئه من مصر، ولكن الذي أراه كباحثة أن الاستفزاز هنا ليس بمعنى الإخراج، بل جاء بمعنى التضييق على موسى وقومه؛ لأن تفسير الاستفزاز في هذه الآية بالإخراج، يتنافى مع آيات أخرى في قصة موسى عليه السلام فمن خلال قراءة القرآن الكريم يتضح أن خروج موسى عليه السلام وقومه كان بأمر الله عز وجل وسأوضح هذا من خلال النقاط الآتية:

١- ذكر القرآن الكريم أن موسى عليه السلام منذ بداية بعثته طلب من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل، وأن يحررهم من العبودية التي عاشوها سابقا،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء: ١٦- ١٧)، وقد قوبل طلب موسى عليه السلام كما هو معروف بالرفض، بل إن فرعون دعا إلى مناظرة بينه وبين موسى عليه السلام أملا في غلبته على موسى عليه السلام من خلال السحرة الذين أحضرهم.

٢- خروج موسى عليه السلام كان ليلا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (الشعراء: ٥٢) وهذا دليل على أن خروجهم رغم أنف فرعون، ولو كان فرعون يريد إخراجهم لما لحق بهم عند علمه بهربهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ (الشعراء:٦٠)، هذه الآية تؤكد أن خروجهم لم يكن عن طيب خاطر من فرعون وإلا لتركهم يذهبون.

٣- خوف فرعون من إيمان قومه بعد إيمان السحرة، كل ذلك أدى إلى التهديد بالصّلب والقتل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٤)، ولم يكن هناك تهديد بالإخراج .

٤- لا بدّ من تفسير الاستفزاز في هذه الآية بمعنى الاستخفاف وليس الإخراج أو القتل وذلك للأسباب الآتية:

❖ تفسير الاستفزاز بالاستخفاف يوافق اللغة العربية، بحسب ما ورد في كتب الغريب والمعاجم، فقد ورد في كتب الغريب واللغة يستفزهم من الأرض: أي: يزعجهم، فوَزّني فلان، أي: أزعجني[١]، والاستفزاز: "طلب الفز، وهو الخفة والانزعاج وترك التثاقل، والسين والتاء فيه للجعل الناشئ عن شدة الطلب والحث الذي هو أصل معنى السين والتاء، أي استخفهم وأزعجهم".[٢]، لا يَسْتَفِزُّه: أي:"لا يَسْتَخِفُّه.، ورَجُلٌ فَزٌّ: أي خفيف. وافْزَزْتُه اذا ازعَجْتَه وافْزَعْتَه".[٣] وجاء في صحيح البخاري وَاسْتَفْزِزْ: اسْتَخِفَّ"[٤] هذه المعاني جميعاً ليس فيها ذكر للإخراج أبداً.

---

١) ينظر: الأصفهاني، **(المفردات)**، ص٦٣٥.

٢) ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج١٥، ص١٥٣.

٣) ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، **(النهاية في غريب الحديث والأثر)**، ج٣، ص٤٤٣، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب التفسير، باب سورة بني اسرائيل، ج٤، ص١٧٤١، رقم الحديث٤٤٣١.

❖ عند تفسير الاستفزاز بالاستخفاف يمكن القول إن ما أراده فرعون من بني إسرائيل: أن يكون كل واحد منهم خائفاً فزِعاً، وذلك من خلال استخفافهم وإزعاجهم، وعليه فالاستفزاز يأتي بمعنى الاستخفاف.

❖ عند تتبع الآيات الكريمة التي تتحدث عن الاستخفاف، تتضح آيتان كريمتان تذكران معنى مقارباً لمعنى الاستفزاز، والآيتان هما:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (الروم: ٦٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾(الزخرف: ٥٤)

وقد فسر أكثر العلماء الاستخفاف في الآيتين الكريمتين بـ"الاستفزاز"

ومما ورد في بيان ذلك في كتب اللغة لا يستخفنك: لا يستفزنك، ولا يستجهلنك، واستخفه: استفزه [1] وعليه؛ فالاستفزاز هو الاستخفاف، والاستخفاف هو الاستفزاز.

من هنا يمكن القول إن الصواب في تفسير الآية الكريمة ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴾(الإسراء: ١٠٣)، أن استخفاف فرعون ببني إسرائيل لم يكن الهدف منه إخراج بني اسرائيل، بل كان هدفه إرهابهم وإفزاعهم ليسهل انقيادهم له عبيداً أذلاء؛ ونتيجة لهذا الاستفزاز والتضييق كان قرار موسى عليه السلام بالهجرة بعد أن أوحى الله تعالى له بالخروج، وذلك للبحث عن أرض يتمكن فيها وقومه من إقامة شعائر الله بحرية وأمان، وتحقيق العبودية لله وحده في الأرض.

---

١) ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٩، ص٨٠. الزبيدي، **(تاج العروس)**، ج٢٣، ٢٣٨.

وكل ما قام به فرعون من استفزاز بني اسرائيل وتخويفهم، حدث ويحدث مثله في أيامنا المعاصرة للقضاء على الموحدين المؤمنين، ففي كل مكان يجتمع فيه مؤمنون مستضعفون مع أفراد آخرين من أي ملة كافرة، يتسلط الكفرة ويتجبرون على المؤمنين، ويكون العامل الأساس لخروج الموحدين؛ انعدام الأمان وتضييق الخناق تماما كما يحصل اليوم في بورما وحلب والموصل، وما حصل في القرن العشرين في البوسنة والهرسك، وبالأمس البعيد في الأندلس وكثير على شاكلتها، من هنا فالغاية من الاستفزاز بشكل عام الإزعاج والتضييق على أنفاس المؤمنين مادياً ومعنوياً، حتى تضيق الأرض عليهم بما رحبت؛ فيكون المهرب إما الارتداد إلى الكفر أو القتل، وقد يكون بالتهجير والخروج من الأرض كما حدث مع أهل فلسطين، وكما يحدث حالياً في سوريا والعراق وغيرها من بلاد المسلمين.

فظاهرة الاستفزاز بدأت تستشري كالنار في الهشيم أينما وجد من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومع تفرق دول الكفر والنزاع بينها، إلا أنها توحدت وتكالبت علينا كما تتكالب الأَكَلة على قَصْعتها.

وبدراسة هذه الآيات وفهم المقصود منها، تُستنبط سنّة من السّنن الإلهية وهي أنه لا بدّ من نزول العذاب الإلهي على أي قوم قاموا بإخراج نبيهم سواء كان الإخراج عنوة وبشكل مباشر، أو قاموا باستفزازه والتضييق عليه ليأتي الوحي بقرار الهجرة نتيجة هذا التضييق الحاصل، وهذه سنه إلهية ثابتة ومطردة حلت بكل الأقوام التي أخرجت أنبياءها من بين ظهرانيها، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (إبراهيم:١٣)، أي: أن كلَّ أمة أَخرجت رسولها، سيصيبها الهلاك، وهذه سنة الله

تعالى، وإضافتُها إلى الرسل لأنها سُنّتْ لأجلهم على ما ينطِق به ربّ العزّة :﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٧)أي تغييرا[١]

وقد يقول قائل إن هذه الآيات الكريمة تتعارض مع قصة هجرة الرسول ﷺ الواردة في السيرة النبوية وكتب التاريخ والتي تبين أنه أُكره على الخروج والهجرة الى المدينة المنورة، وأنه خلال هجرته طورد واختبأ في الغار وكاد أن يُقتل، ومع ذلك لَم يحلّ العذاب بقريش، وفي هذا مخالفة لهذه السّنّة الإلهية.

أما الجواب فيمكن أن يتضح في النقاط الآتية[٢]:

١- أن خروج الرسول ﷺ وهجرته كانت بأمر الله ﷻ؛ ولذلك لم يحلّ عذاب الله والاستئصال لما سبق في علمه تعالى من عدم إهلاك قريش بالإبادة، ولو أخرجوا الرسولﷺ عنوة وقسراً لحلّ بهم الهلاك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾(الإسراء:٧٦) فهذه سنة الله النافذة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴾(الإسراء: ٧٧).

---

١) ينظر: أبو السعود، **(إرشاد العقل السليم)**، ج٥، ص١٨٩.

٢) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٧، ص٥١٠. الزجاج، **(معاني القرآن وإعرابه)**، ج٣، ص٢٥٥. ابن تيمية، **(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)**، ج٦، ص٢١٧. الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج١٤ ص٨٦٩٣. قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج ٤، ص٢٢٤٦. حبنكة، **(معارج التفكر)**، ج٩، ص٧٠٣. حوى **(الأساس في التفسير)**، ج٦، ص٣١٠٤.

٢- أن ما حدث لهم يوم بدر من قتل لسبعين من صناديد قريش، وأسر مثلهم كان عذاباً يقابل فعلهم، وحتى من لم يخرج إلى بدر من زعماء قريش كأبي لهب، فقد أنزل الله ﷻ به وباء قاتلاً، ولم يلبث بعد بدر إلا قليلاً.

٣- أن أرض العرب واحدة، فالانتقال من مكة إلى المدينة لا يعتبر إخراجاً، والذي أراه كباحثة أن الانتقال من مكة المكرمة إلى المدينة هو من قبيل الإخراج ومما يؤيد ذلك مارواه عبد الله بن عدي بن الحمراء[١] قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفا على الحزورة[٢] فقال:"**وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**".[٣]

يضاف إلى ذلك ما صرح به ورقة بن نوفل[٤] من الإخراج، وأنه سنّة في كل نبي فقد ذهب الرسول ﷺ عند بدء الوحي إلى ورقة مخبراً له ما حصل في الغار فما كان جواب ورقة إلا أن قال:"هذا النّاموس الذي نزّله الله على موسى عليه السلام يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أوَ مُخْرجي هم؟ قال:

---

١) عبد الله بن عدي بن الحمراء الثقفي القرشي، كنيته أبو عمرو عبد الله بن عدي بن الحمراء القرشي الزهري، وقيل: إنه ثقفي حليف لهم. يكنى أبا عمر، وقيل: أبو عمرو، له صحبة، وهو من أهل الحجاز، وكان ينزل بين قديد وعسفان. ينظر: ابن الأثير، **(أسد الغابة)**، ج٣، ص٢٣٢.

٢) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، أبو عبد الله، (المتوفى: ٦٢٦هـ)،**(معجم البلدان)**، ج٢ ص٢٥٥، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م

٣) مسلم، **(صحيح مسلم)**، **كتاب الحج**، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، ج٢، ص١٠١٢ رقم الحديث١٣٩٤.

٤) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، أمه هندٌ بنتُ أبي كَثِير بن عبد العُزَّى، ابن عم خديجة وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان وهو الَّذِي أخبر خديجة أن رسول الله ﷺ نبي هَذِه الأمة. ابن الأثير، **(أسد الغابة)**، ج٤، ص٦٧١.

نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً".[1]

يتبين مما سبق أن ابن نوفل صرح بالإخراج من مكة، وأوضح أن الإخراج سنَّةً من سنن الله، وبين مستقبل هذه الدعوة وما سيصيبها من الأذى الذي سَيصبّه أشراف مكة على محمد ﷺ وأتباعه وما ذلك إلا لأن سنن الله ثابتة مطّردة لا تتبدل، ولا تتحول.

وعند النظر في قوله تعالى ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(الإسراء: ٧٦)، وقوله تعالى ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾(الإسراء: ١٠٣).

نجد أن كل منهما تتحدث عن استفزاز نبي من الأنبياء، ففي الآية الأولى كان المقصود محمدﷺ، والمقصود في الثانية موسىعليه السلام، ألا أن هناك فرقا بين الاستفزازين، فرق بين إخراج قريش للرسول محمد ﷺ، وبين ما قام به فرعون من ملاحقة لبني اسرائيل وموسىعليه السلام، فقد كان فرعون يجمع بين الكفر (بادعاء الربوبية) وبين الإجرام بقتل ذكور بني اسرائيل أولا، ثم بعد ذلك قام باستعباد رجال بنى اسرائيل، ففروا – كما بينت سابقاً– مع موسى وهارونعليه السلام، إلا أن فرعون لحق بهم، فكانت النتيجة أن حلّت اللعنة على فرعون وقومه، فغرق ومن معه جميعاً، يقول صاحب تفسير (حدائق الروح): "أراد فرعون من نتائج ظنه الكاذب أن يُخْرِج موسىعليه السلام، وبني

---

١) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به الرسولﷺ من الوحي والرؤيا جـ٦، ٢٥٦١، رقم الحديث٦٥٨١. مسلم، **(صحيح مسلم)**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ ج١، ص١٣٩، رقم الحديث١٦٠.

إسرائيل من أرض مصر بقتلهم واستئصالهم بحيث لا يُبْقي منهم أحدًا فعَكسنا عليه مكره" [1] وهذا تماماً ما حصل مع نبينا ﷺ ، فكثيراً ما ينقلب السحر على الساحر، فعندما قال المنافقون في السورة الموسومة باسمهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ﴾(المنافقون: ٨)، هم أرادوا إخراج النبي ﷺ من المدينة، فدارت الدوائر عليه وكانوا هم من أُخرِجوا، والرسول ﷺ وإن كان خرج طريداً خائفاً من مكة المكرمة، إلا أنه رجع إليها عزيزاً فاتحاً ودانت له الدنيا بما فيها فقريش لم تطارد النبي ﷺ بجيش مثلما فعل فرعون مع أنهم حاولوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لحلّ بهم نفس العذاب الذي حلّ بمن قبلهم.

يقول صاحب التفسير الحديث في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾﴿الأسراء:٧٦-٧٧) "في هاتين الآيتين إشارة ربانية إلى أن إزعاج الكفار للنبيﷺ قد بلغ حدّا كادوا أن يستفزوه ويثيروه ويجعلوه يخرج من مكة، وتوكيد تطميني بأن الأمر لو وصل إلى هذا الحد ، لكانوا عجّلوا على أنفسهم بالعذاب ولما بقوا معافين منه بعده أمداً طويلاً، لأن ذلك من سنّة الله التي جرت مع الرسل والأمم من قبل، والتي لا تبديل فيها ولا تحويل".[2]

في المواضع الثلاثة يلاحظ أن الاستفزاز يسبق الخروج من مكان إلى آخر، سواء أكان الخروج محسوساً أو معنوياً، فإبليس يريد أن ينقل بني آدم من الهداية إلى الضّلالة فيستفزهم حتى ينتقلوا اليها، وكذلك كفار قريش أرادوا ان يخرجوا الرسول ﷺ من بلده فاستفزوه ليخرجوه منها، وفرعون

---

١) الهرري، **(تفسير حدائق الروح والريحان)**، ج١٦، ص٢٥٠.

٢) دروزة، محمد عزت، **(التفسير الحديث)**، ج٣، ص٤١٥، دار إحياء الكتب العربية–القاهرة، ١٣٨٣هـ

أراد استخفاف بني اسرائيل وتخويفهم ليخرجهم عن دينهم، أو يخرجهم من العزّة التي ينشدونها بإرسالهم مع موسى عليه السلام، وإذا كانت محاولات إبليس قد آتت أكلها مع أوليائه فحولهم فعلاً الى الضّلالة، فقد فشلت محاولات المشركين مع النبي اذ ظلّ معهم صابراً ثابتاً طوال ثلاث عشرة سنة حتى أذن الله له بالهجرة، ثم عاد فاتحاً منتصراً، كما فشلت أيضاً محاولة فرعون مع بني إسرائيل إذ أهلكه الله بغرقه وغرق من معه، وانتصر موسى عليه السلام وقومه.

من هنا فسنّة الله الثابتة في كل طائفة مؤمنة لا تستسلم للاستفزاز، أن يرزقهم التمكين والاستخلاف، ومن الملاحظ أن ذلك تم بعد الهجرة، سواء كان ذلك في زمن موسى عليه السلام أم محمد ﷺ.

نستنتج مما سبق أن القاعدة عامة فأي أمة تعمل على استفزاز نبيها، والتضييق عليه لإخراجه من أرضه لا بدّ من أن تقع تحت عذاب الله وعقوبته، فهي كما رأينا سنّة من سار على دربها وصل إلى نتيجتها.

ومن خلال دراسة آراء المفسرين في الآيات الثلاثة السابقة يتبين أن الاستفزاز له ثلاث مجالات:١-استفزاز الشيطان للبشر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٤)

٢- استفزاز كفار مكة للنبي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٦)

٣- استفزاز فرعون لموسى وقومه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ (الإسراء: ١٠٣)

هذه سنّة الله في الاستفزاز، وبهذه السّنّة الإلهية أكون قد أنهيت البحث في ما فتح الله عليّ من سنن إلهية في سورة الإسراء، وانتقل للحديث في الفصل الثالث والأخير عن سورة فاطر وبعض السّنن الإلهية فيها.

الفصل الثالث

السّنن الإلهية في سورة فاطر.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: بين يدي سورة فاطر

المبحث الثاني: السّنن الإلهية التي تضمنتها سورة فاطر

المبحث الأول

بين يدي سورة فاطر

كما سبق لي التّرحال في آفاق سورة الإسراء، لا بدّ من التّرحال في هذه السورة أيضاً ومعرفة بعض الأمور الهامة عنها من حيث: تسميتها، وعدد آياتها، وترتيبها، ثم سأعرج على بيان المكيّ والمدني، كما سأتطرق للحديث عن مناسبتها للسورة التي قبلها سورة (سبأ) وما بعدها سورة (يس)، وأخيراً الحديث عن أهم موضوعات السورة، وهذا ما سيكون في المطالب الآتية بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: اسم السورة، وعدد آياتها

سميت السورة سورة فاطر في كثير من المصاحف في المشرق والمغرب، وفي كثير من التفاسير؛ وسبب التسمية لما ورد في أولها ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(فاطر:١)، وافتتاحها بهذا الوصف للّه ﷻ الدال على الخلق والإبداع والإيجاد للكون العظيم، والمنبئ عن عظمة الخالق وقدرته الباهرة.[١]

---

١) ينظر: الفيروزآبادى، **(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)**،ج١، ص٣٨٦. الزحيلي **(التفسير المنير)**، ج٢٢، ص٢٢٩.

ولم تقتصر سورة فاطر على هذا الاسم وحسب، بل ورد لها اسم آخر وهو سورة الملائكة حيث ورد هذا الاسم في (صحيح البخاري)[١]، وفي (سنن الترمذي)[٢]، وفي كثير من المصاحف والتفاسير، ووجه تسميتها بسورة الملائكة ذكر صفة خلق الملائكة في أولها، ولم يقع في سورة أخرى. ولأنها أفادت في مطلعها أيضاً أن اللّه سبحانه جاعل الملائكة وسائط بينه وبين أنبيائه لتبليغهم رسالاته وأوامره.[٣]

وقد ذكر لها صاحب (الإتقان) كلا الاسمين.[٤]

ويمكن القول إن سبب التسمية بهذين الاسمين لذكرهما في أول آية من السورة في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(فاطر: ١).

أما عدد آياتها فهي في عد أهل المدينة والشام ستٌ وأربعون، وفي عد أهل مكة والكوفة خمسٌ وأربعون.[٥]

المطلب الثاني: ترتيب سورة فاطر.

أولاً: ترتيب السورة حسب النزول:

---

١) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملائكة، ج٤، ص١٨٠٤.

٢) الترمذي، **(سنن الترمذي)**، أبواب فضائل القرآن عن رسول اللهﷺ، باب: وَمِنْ سورة الملائكة، ج٥ ص٢١٦.

٣) ينظر: ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج٢٢، ص٢٤٧. الزحيلي، **(التفسير المنير)**، ج٢٢ ص٢٢٩

٤) السيوطي، **(الإتقان في علوم القرآن)**، ج١، ص١٩٤.

٥) ينظر: الداني، **(البيان في عد آي القرآن)**، ص٢١٠. البقاعي، **(مصاعد النظر)**، ج٢، ص٣٨٣.

يجد الباحث أن سورة فاطر هي الثالثة والأربعون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفرقان وقبل سورة مريم.[١] وقد بينت عند الحديث عن ترتيب سورة الإسراء أن هذه المسألة (ترتيب السورة حسب النزول) أمر غير متفق عليه،لأن القرآن كما هو معلوم نزل في معظمه نجوماً، فالموضوع بحاجة إلى تحقيق ودراسة وليس هذا مقامه

ثانياً: ترتيب السورة في المصحف:

أما بالنسبة لترتيب السورة في المصحف فهي بين سورة سبأ قبلها ويس بعدها، وهذا مما لا يخفى على قارئ القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مكي سورة فاطر ومدنيها

سورة فاطر مكّية أجماعاً[٢]، نزلت– كما بينت سابقاً – بعد سورة الفرقان، ويرى العلماء أنها نزلت في الفترة الواقعة بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء والمعراج؛ فإذا ما قُسّمت حياة المسلمين بمكّة إلى ثلاث مراحل: المرحلة المبكرة للدعوة، والمرحلة المتوسّطة بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، والمرحلة الأخيرة بين الإسراء والهجرة إلى المدينة، يجد الباحث أن سورة فاطر نزلت في المرحلة المتوسّطة من حياة المسلمين في مكة[٣]

بعد بيان مكي السورة ومدنيها، لا بدّ من بيان مناسبة سورة فاطر لما قبلها، وهذا مدار الحديث في المطلب التالي.

---

١) ينظر: الزهري، **(تنزيل القرآن)**، ص٢٦. ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج٢٢، ص٢٤٧.

٢) ينظر: ابن الجوزي،**(زاد المسير في علم التفسير)**، ج٣، ص٥٠٥. البقاعي، **(مصاعد النظر)** ج٢، ص٣٨٣.

٣) ينظر: شرف الدين، جعفر، **(الموسوعة القرآنية خصائص السور)**، ج٧، ص١٤٧، تحقيق: عبد العزيز ابن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ

المطلب الرابع: مناسبة سورة فاطر لما قبلها (سورة سبأ). وما بعدها (سورة يس).

من المعلوم أن سورة سبأ هي السورة التي تسبق سورة فاطر، وقال العلماء إن مناسبة وضعها بعد سبأ تآخيهما في الافتتاح بالحمد، مع تناسبهما في المقدار، وإن افتتاح سورة فاطر (الحمد) مناسب لما ختمت به السورة قبلها من قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾(سبأ: ٥٤)[1]، وتظهر صلتها أيضا بما قبلها في أنه لما ذكر تعالى في آخر سورة سبأ هلاك المشركين أعداء المؤمنين، وأنزلهم منازل العذاب، فقال: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾(سبأ:٥٤)، تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره لى نعمه ، ووصفه بعظيم آلائه، وعلى ما اتصف به من قدرة الخلق والإبداع ، وإرسال الملائكة رسلاً إلى الأنبياء لتبليغ الرسالة [2]، وإن الحمد يكون بعد هلاك الظالمين كما في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٥)، فهذا موطن من مواطن الحمد.

أما المناسبة بين سورة فاطر وما بعدها(سورة يس)، فقد ذكر السيوطي في المناسبة بين السورتين قوله: لما ذكر الله تعالى في سورة فاطر قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾(فاطر: ٣٧)، وقوله:﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (فاطر: ٤٢)، والمراد به محمد ﷺ، وقد

---

١) ينظر: الزركشي، **(البرهان في علوم القرآن)**، ج١ ص٣٨. السيوطي، **(أسرار ترتيب القرآن)** ص١٢٥.

٢) ينظر: ابو حيان، **(البحر المحيط)**، ج٩، ص٩. الزحيلي، **(التفسير المنير)**، ج٢٢، ص٢٢٩.

أعرضوا عنه وكذبوه، فافتتح (سورة يس) بالإقسام على صحة رسالته، وأنه على صراط مستقيم؛ وهذا وجه بيِّن ،وقال تعالى في فاطر: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ (فاطر: ١٣)، وفي يس: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ (يس:٣٨-٣٩)، وذلك أبسط وأوضح، وفي فاطر: ﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾(فاطر: ١٢)، وفي يس: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴾ (يس: ٤١ – ٤٣)، فزاد القصة بسطًا.[١]

المطلب الخامس: موضوعات سورة فاطر.

يمكن القول إن الموضوع الأساس في سورة فاطر: توحيد الألوهية، من خلال الأدلة الكونية المبثوثة في ثنايا السورة، والتي تتجه كل آيات السورة لإبرازها من خلال الأسلوب البياني والكلمات المختارة في مجالات الكون، والإنسان والحيوان والنبات، إبداعًا وعناية "أدلة الخلق والعناية.[٢]

قال البقاعي:"إن مقصد السورة إثبات القدرة الكاملة لله تعالى، اللازم منها تمام القدرة على البعث، ولاسم السورة (فاطر) أتم مناسبة لمقصودها؛ لأنه لا شيء يعدل ما في الجنّة من تجدد الخلق؛ فإنه لا يؤكل منها شيء إلا عاد كما كان في الحال، ولا يراد شيء إلا وُجد في أسرع

---

١) ينظر: السيوطي، **(أسرار ترتيب القرآن)**، ١٢٦

٢) ينظر: مسلم، مصطفى، **(مباحث في التفسير الموضوعي)**، ص١٦٨، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

وقت، فهي دار الإبداع والاختراع بالحقيقة. وكذا النار، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها".[١]

وقال صاحب الظلال:"قِوام هذه السورة توجيه القلب إلى الله، وإيقاظه لرؤية آلائه واستشعار رحمته وفضله، وتملِّي بدائع صنعه في خلقه، وامتلاء الحس بهذه البدائع، وفيضه بالتسبيح والحمد والابتهال"[٢]

يمكن إجمال أهم ما تعرضت له السورة الكريمة في النقاط الآتية[٣]:

أولا- افتتحت السورة ببيان الأدلة التي تثبت تفرد الله تعالى بالخلق، وبما يدل على أنه مستحق الحمد على ما أبدع من الكائنات الدال إبداعها على تفرده تعالى بالألوهية ومن ذلك بيان خلق الملائكة، وذكر عجائب البحر، وجعل الملائكة رسلاً بينه وبين أنبيائه لتبليغ الوحي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾﴿فاطر: ١).

ثانيا- تذكير الناس بنعم اللّه ليشكروها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾(فاطر: ٣)

---

١) البقاعي، **(مصاعد النظر)**، ج٢، ص٣٨٤.

٢) قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج ٥، ص٢٩٢٠

٣) ينظر: البقاعي، **(مصاعد النظر)**، ج٢، ص ٣٨٥. ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج٢٢ ص٢٤٨. شرف الدين، **(الموسوعة القرآنية، خصائص السور)**، ج٧، ص١٤٧. الزحيلي، **(التفسير المنير)** ج٢٢، ص٢٢٩.

ثالثاً: تسلية الرسولﷺ وإثبات صدقه فيما جاء به، وأنه وافق من سَبقه من الرسل، وتثبيت قَلْبه بذكر قصص المكذبين من الأمم السابقة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (فاطر: ٤)

رابعاً: إثبات البعث والدار الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (فاطر: ٥)

خامساً: بيان الفرق في جزاء الكفار وجزاء المؤمنين الأبرار. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (فاطر:٧)

سادساً: بيان فضل القرآن وشرف تلاوته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (فاطر: ٢٩)

سابعا: بيان أصناف الخلق في وراثة القرآن، وبيان انقسام الأمة إلى أنواع ثلاثة: ظالم مقصّر ومحسن مقتصد، وسابق بالخيرات. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (فاطر:٣٢)

ثامناً: وفي النهاية ختمت السورة بتقريع المشركين في عبادتهم الأوثان والأصنام وإنذارهم أن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة قبلهم، وقرنت هذا الإنذار برحمة اللّه العامة للناس جميعا حيث لم يعاجلهم العقوبة، وإنما يؤخرهم إلى أجل مسمى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ (فاطر: ٤٠)

وبعد:

فهذا الترحال بين يدي السورة الكريمة كان لا بدّ منه قبل البدء في عرض أهم السّنن الإلهية التي تضمنتها هذه السورة، والتي ستكون مدار البحث القادم بإذن الله تعالى

المبحث الثاني

السّنن الالهية التي تضمنتها سورة فاطر.

سورة فاطر كغيرها من السور القرآنية التي جاء فيها الكثير من السّنن الإلهية، وقد تشارَكَت مع سورة الاسراء في بعض هذه السّنن الإلهية، ومن أهم السّنن الإلهية التي اشتركت فيها السورتان: سنة الله في بعث الأنبياء، قال تعالى في سورة فاطر ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ (فاطر: ٢٤)، وسنة الله في الهداية والضّلال، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ (فاطر: ٨)، وسنة الجزاء من جنس العمل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ ﴾ (فاطر: ١٨)، وقد بحثت هذه السّنن في سورة الإسراء، وعليه فسوف أقوم ببحث السّنن الإلهية الواردة سورة فاطر، والتي لم تتطرق إليها سورة الإسراء.

المطلب الأول: سنّة الله ﷻ في استدراج الماكرين

كرّم الله بني آدم وفضلهم على جميع خلقه، ووهبهم القدرة على التفريق بين الخير والشر وقد يَعْمد أحدهم إلى استخدام الحيلة في بعض الأوقات، ولكن دون إيقاع الضرر بالآخرين ولكن فريق آخر قد يلجأ للمكر والخداع؛ فيبوء بغضب الله ولعنته، وتكون عاقبة مكره الخسران والتدمير، والمكر من الصفات السيئة التي تعاني منها المجتمعات، المعاصرة منها والقديمة، من هنا سيكون الحديث في هذا المطلب عن المكر والماكرين وسنة الله في استدراجهم، حيث سأبين

معنى المكر لغة واصطلاحاً، ثم أوضح أنواع المكر، وأخيراً بيان سنة الله في المكر والماكرين من خلال سورة فاطر .

المكر لغة واصطلاحاً:

المكر في اللغة: تعددت المعاني اللغوية للمكر، ولكني سأستعرض معنى المكر الذي يتناسب مع هذا المطلب وحسب.

المكر: احتيال وخداع في خفية، مكر يمكر مكراً ومكر به[1] ، وفي الحديث الذي رواه ابن عباس عن النبيﷺ قال:**(اللهم امكر لي ولا تمكر علي)**[2]؛ أي: ألحق مكرك بأعدائي لا بي: وأصل المكر الخداع.[3]

المكر في الاصطلاح هو: تدبير أمر في خفاء وصرف الغير عمّا يقصده بحيلة، وذلك ضربان:

١- مكر محمود، وذلك أن يتحرّى بذلك فعلاً جميلاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٥٤)، فالمؤمنون المتقون يمكرون، أي يدبرون أمورهم في الخفاء، ومكرهم يكون في الخير.

---

١) ينظر: ابن فارس، **(معجم مقاييس اللغة)**،ج٥، ص٣٤٥.

٢) أبو داوود، **(سنن أبي داود)**،ج٢،ص٦٢٢، كتاب الصلاة ، باب ما يقول الرجل إذا سلّم. الترمذي **(سنن الترمذي)**،ج٥، ص٤٤٦، كتاب الدعوات، باب ١٠٣، ج٥، ص٤٤٦، رقم الحديث٣٥٥١، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٣) ينظر: ابن منظور،**(لسان العرب)**،ج٥، ص١٨٣.

٢- مكر مذموم، وهو أن يتحرّى بالمكر فعل قبيح، قال تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النمل: ٥١)، ومن الآيات التي جمعت المكرين معا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ٥٠)[١]

وقوله تعالى"ومكرنا مكرا"من قبيل المشاكلة في اللفظ وحَسْب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦).

والمكر قد يكون من جانب الله تعالى فيكون فيه "إرداف النّعم مع المخالفة، ولإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر.[٢]

من هنا يظهر أن مكر الله تعالى يختلف عن مكر البشر، فمكر الله استدراج بِالنّعم والإمهال قبل العذاب، وفتح باب التّوبة للعباد، فإن لم يستجيبوا أخذهم بغتة وَنصر أولياءه، أما مكر البشر فهو في الغالب: احتيالٌ في الخفاء لإيقاعِ المكروهِ والضرر بالطَّرف الآخر،أما المكر المحمود فليس بالضرورة أن يكون في الخفاء لأن مكر الخير لا يُتَقى، ولا يخاف منه على عكس مكر الشّر الذي يتكلف الإنسان على إخفائه.

---

١) ينظر: الأصفهاني، **(المفردات)**، ص٧٧٢. السمين الحلبي، **(الدر المصون)**،ج٣، ص٢١٢. حبنكة **(معارج التفكر)**، ج٧، ص٢٣٤.

٢) الجرجاني، **(التعريفات)**، ص٢٢٧.

وباستقراء الآيات التي ورد فيها لفظ المكر في القرآن الكريم نجدها وردت ثلاثاً وأربعين مرّة، شملت السّور المكيّة والمدنيّة[١]، ويمكن القول إن التّطرُق إلى موضوع المكر في المراحل الأولى للدعوة، والعمل على معالجته، وذكر المكر في الآيات المكية، كل ذلك فيه إشارة وتحذير إلى هؤلاء الماكرين من عاقبة مكرهم وخداعاتهم الشيطانية، البالغة أقصى درجات المكر والحيلة حتى لا تثير المخاوف في نفوس المسلمين.[٢]

وقد جاء المكر في القرآن الكريم على عدة معان، ومن هذه المعاني:

أولا– الاستدراج: ومنه قول الله تعالى:﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ (آل عمران:٥٤)، هذا من قبيل المشاكلة في اللفظ، والمقصود بمكر الله استدراج العبد وامهاله، وليس كمكر الخلق القائم على الخبث والخديعة والحيلة، وقد أوضح صاحب مفاتيح الغيب هذا المعنى فقال: "إن الله إن أعطى العبد سؤله، فلا يشترط أن يكون ذلك لكرامة هذا العبد بل قد يكون استدراجاً له، ولهذا الاستدراج أسماء كثيرة من القرآن الكريم، أحدها المكر، قال تعالى:﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾(الأعراف:٩٩)".[٣]

ثانيا– السعي بالفساد وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾(نوح: ٢٢)، أي مكراً كبيراً [٤]، هذا المكر الذي قام به الأشراف من قوم نوح لِثَنْي الناس عن الأيمان بدعوة نوحعليه السلام وتذكيرهم للمستضعفين أن إيمانهم بنوح عليه السلام يخالف دين الآباء الذي نشأوا عليه وما هذا

---

١) ينظر: عبد الباقي، **(المعجم المفهرس)**، ص ٨٤٥.

٢) ينظر: ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج٥، ص٢٣٧.

٣) الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج٢١، ص٤٣٨.

٤) ابن الجوزي، **(زاد المسير)**، ج٤، ص٣٤٤.

إلا من باب التعصب والإفساد الذي يقوم به كبراء القوم وأشرافهم في كل العصور من لدن نوح عليه السلام وحتى بعثة محمد ﷺ حتى زماننا أيضاً.

ثالثا- الشرك: معنى ثالث للمكر ويتضح في قول الله تعالى ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾ (فاطر: ٤٣)، فالمكر هنا بمعنى الشرك[١]، وفي قول الله تعالى"ولا يحيق المكر"أي لا تنزل عاقبة الشرك الا بمن أشرك.[٢]

رابعا- التكذيب والطعن: قد يراد بالمكر ما يقوم به البعض من التكذيب والطعن في آيات الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾ (يونس:٢١)، فالمكر هنا بمعنى الاستهزاء والتكذيب[٣]، وسُمِّي تكذيبهم بآيات الله مكراً؛ لأن المكر- كما ذكرت- صرف الشيء عما يقصده بحيلة ، وهؤلاء يحتالون لدفع آيات الله والطعن فيها والاحتيال في دفعها بكلِّ ما يقدرون عليه من إلقاء شبهة، أو تخليط في مناظرة، والتشديد على عدم الأخذ بما في هذه الآيات من شرائع وأحكام.[٤]

خامسا- القول السيء للإيقاع بالآخرين: وذلك كما كان من شأن امرأة العزيز في قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ ﴾ (يوسف:٣١)، فالمكر هنا بمعنى القول والكلام عن امرأة

---

١) ينظر: الطبري،(**جامع البيان**)، ج٢٠، ص٤٨٣. ابن الجوزي، (**زاد المسير**)، ج ٣، ص٥١٥.

٢) ينظر: الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (**الموسوعة القرآنية**)،ج١١، ص٢٨ مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ.

٣) ينظر: الطبري، (**جامع البيان**)، ج١٥، ص٤٩.

٤) ينظر: الرازي، (**مفاتيح الغيب**)، ج١٧، ص٢٣٢.

العزيز، وسمى اغتياب النسوة لها مكرًا؛ لكونه خفية عنها وإن كان ظاهرًا لغيرها، ولأن ما تكلموا به أثار حفيظتها وغيظها.[١]

سادسا: التدبير: ومنه ما قام به اليهود من التدبير لقتل عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٥٤)، فالمكر هنا التدبير، بل هو ألطف التدبير وهو مُواطأة ومعاونة اليهود بعضهم بعضًا على التدبير لقتل عيسى عليه السلام .[٢]

هذه بعض معاني المكر التي جاءت في القرآن الكريم، وهذه المعاني تختلف باختلاف الفاعل، فالمكر المنسوب لله تعالى يختلف عن المكر المنسوب للإنسان، فمكر الله استدراج بالنّعم، فإذا اطمأن الإنسان وفرح بنعمة الله دون أن يشكر الله تعالى أخذه الله بغتة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤)، أما مكر الإنسان فهو تدبير للإيقاع بالآخرين بطرق عدة منها: الكذب والكيد وشهادة الزور، واستغلال المناصب والاحتيال على الأخرين وتعمد الإضرار بهم دون أن يشعروا.

ومع أن المكر مما لا يوصف به المؤمنون؛ لأن المكر صفة من قبيل الذم[٣]، إلا أن المؤمن قد يلجأ إليه لارتداد حق، أو دفع ضرر، أو صدّ عدو ويكون من باب المكر، ومن خلال البحث

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٦، ص٦٩. ابن عطية، **(المحرر الوجيز)**، ج٣، ص٢٣٨.

٢) ينظر: الطبري،**(جامع البيان)**، ج٦، ص٤٥٣. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧هـ)، **(الكشف والبيان عن تفسير القرآن)**،ج٣، ص٧٨، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م. قطب، **(في ظلال القرآن)** ج١، ص٤٠٣.

٣) ينظر: الفقهاء، محمد،**(سلسلة المكر في القرآن الكريم)**،ج ٢، شبكة الألوكة الشرعية، تاريخ الإضافة: ٢٠١١/٤/٤ م- ١٤٣٢/٤/٢٩هـ.

اتضح لي الكثير من أشكال المكر الحسن، والتي تكون الأسباب الداعية إليه مقبولة ولغاية حسنة، وهذا من المكر المحمود الذي ذكره العلماء، ومن أهم أسباب المكر الحسن ما يلي:

أولا– الدعوة لله تعالى والقضاء على الكفر: نوع من أنواع المكر الحسن، غايته الدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له ومن أبرز من قام بهذا المكر إبراهيم عليه السلام لإيصال دعوة التوحيد إلى الناس ويتجلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾(الصافات: ٨٨ – ٨٩) فقد تظاهر إبراهيم بالمرض حتى لا يخرج مع قومه في عيدهم ، وأراد بهذا المكر الكيد بأصنامهم وتحطيمها ، فإذا رجعوا إلى أصنامهم ووجدوها محطمة احتج عليهم بعجز هذه الأصنام عن الدفاع عن نفسها ، وإنما كان عمله من قبيل المكر لأن قومه لم يكونوا على علم بما نوى فعله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾(الأنبياء:٥٨).

ثانياً– المكر لرفع الظلم واستعادة الحقوق: ومن ذلك ما قام به يوسف من مكر بأخوته ليجتمع بأخيه ومن ثم بأبيه وأهله وليتحقق تأويل رؤياه، قال الله تعالى﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ (يوسف: ٧٦)، فقد لجأ يوسف عليه السلام إلى المكر حتى يبقي أخاه عنده، قال المفسرون:"أي: يسرنا له الكيد، ودبرنا له المقدمات التي توصّل بها إلى أمر غير مذموم وهو إبقاء أخيه عنده، فلولا ما كاد الله ﷻ له ودبره وأراده ، لما تمكن من ذلك [1]، وفي الآية دليل على جواز المكر الحسن والتفكير بحيلة للتوصل إلى غرض حسن لا يخالف الشرع.

---

١) ينظر:. السعدي،(**تيسير الكريم**)، ص٤٠٢. الطنطاوي (**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**)، ج٧ ص٣٩٩.

ثالثا- المكر لتحقيق النصر في الحرب: نوع ثالث رخص الله تعالى فيه باستخدام الحيلة والمكر في الحرب، تحقيقا لمصلحة المؤمنين، عن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ "الحرب خُدْعَة"[١]، وقد ورد هذا على لسان الرسول ﷺ في غزوة الخندق حيث أتاه أحد الصحابة [٢] فقال:"يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت؛ فقال رسول الله ﷺ"إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خُدْعَة"[٣]، فخرج هذا الصحابي واحتال بمكره ففرق جمع الأحزاب بالحيلة والخداع[٤]، فهذا من أنواع المكر في الحرب.

---

١) البخاري،**(صحيح البخاري)**، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، ج٣، ص١١٠٢، رقم الحديث٢٨٦٦. مسلم، **(صحيح مسلم)**، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، ج٣، ص١٣٦٣ رقم الحديث١٧٣٩.

٢) الصحابي نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر ابن أشجع.، أسلم أيام غزوة الخندق وكتم إسلامه، سكن المدينة ، توفي زمن عثمان بن عفانﷺ. ابن سعد، (الطبقات الكبرى)، ج٤، ص٢٧٩. ينظر: الصفدي، **(الوافي بالوفيات)**، ج٢٧، ص٩٧.

٣) ينظر: ابن هشام، **(السيرة النبوية لابن هشام)**، ج٢، ص٢٢٩.

٤) حيلة نعيم بن مسعود في التفريق بين قريش وبني قريظة: أتى ابن مسعود إلى بني قريظة وتكلم معهم واعتمد على ما بينه وبينهم من صداقة، وقال إن قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا مثلكم البلد بلدكم وبه أموالكم وأولادكم، ولا تقدروا أن تتحولوا عنه إلى غيره، فإن انتصرتم كانوا معكم ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه. فقالوا: لقد أشرت بالرأي، ثم خرج حتى أتى قريشا فقال: أن يهود قد ندموا على نقضهم العهد مع محمد وأرسلوا إليه يطلبون رضاه وذلك بأن يأخذوا رجالا من أشراف القبيلتين، قريش وغطفان، فيعطونهم لمحمد فيضرب أعناقهم ثم يحاربون معه حتى يستأصلوكم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا منكم من رجالكم فلا تفعلوا، ثم خرج فأتى غطفان، وقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.، فلما كانت ليلة السبت من شوال، أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان، رسولا إلى بني قريظة طالبين منهم مباشرة القتال فاحتج بنو قريظة أنه يوم السبت وهو يوم لا يعملون فيه شيئا، واننا لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، لاننا نخشى أن غُلِبنا أن تهربوا وتتركونا ولا طاقة لنا بمحمد ومن=

بعد الحديث عن بعض أسباب المكر الحسن، انتقل للحديث عن أنواع المكر السيء حيث تتعدد أنواعه، ومن أهم هذه الأنواع. [1]

أولاً: المكر والتدبير لقتل الأنبياء والرسل عليهم السلام:

من ذلك محاولة مكر اليهود بعيسى ابن مريم عليه السلام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٥٤) فقد همّ به بنو إسرائيل بعيسى عليه السلام، وأرادوا قتله، ومشى على خطاهم كفار قريش، ومع أن قريشا منذ ظهور الدعوة أعلنوا إرادتهم القتل والنفي لرسول الله ﷺ لكن إعلانهم لا يسمى مكراً، بل ما قاموا به سراً من هذا التدبير هو المكر فقد مكروا ليتخلصوا منه أو ليخرجوه من مكة منفياً مطروداً [2]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)

ثانياً: التحريض على أذى الرسل وأتباعهم: وقد ورد الكثير من هذا في قصص الأنبياء؛ فرسل الله جميعاً أوذوا هم وأتباعهم، واتهموا بالجنون والكهانة والسحر، وغيرها من الاتهامات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (فاطر: ٤٢)، وهذا النوع من المكر (التحريض

=معه فلما رجع الرسول وأخبرهم بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله لقد حدثكم نعيم بن مسعود بحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله ما ندفع إليكم رجلا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين بلغهم قول قريش: إن الذي ذكر لكم نعيم لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا. فأبوا عليهم. وخذل الله بينهم. ينظر: ابن هشام، **(السيرة النبوية لابن هشام)**، ج٢، ص٢٢٩.

١) ينظر: زيدان،**(السنن الإلهية)**، ص٢٥٨ وما بعدها.

٢) ينظر: ابن عطية،**(المحرر الوجيز)**، ج٢، ص٥١٨. الرازي،**(مفاتيح الغيب)**، ج٨، ص٢٣٦. قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٣، ص١٥٠١.

على إيذاء الرسل)، ماضٍ إلى يوم القيامة، فإن لم يكن المكر للرسول ﷺ فالاتباع موجودون يُمكَر بهم في كل حين، وإن كان أشراف القوم سابقاً حرضوا الأتباع على أذية الرسل، فالحال أدهى وأمر في هذه الأيام؛ فالتحريض في أيامنا على أعلى المستويات وبأيد خفية ماكرة، وبطرق متعددة سواء عن طريق الإعلام، أو مواقع التواصل الاجتماعي، أو الفتاوى التي يخرج بها علماء السلاطين، والهدف واحد ألا وهو المكر بالمسلمين والتدبير للقضاء عليهم وتدميرهم.

ثالثاً: صد الناس عن دعوة الحق:

من المكر السيء الذي قام به الناس منذ الأزل وما زالوا يقومون به في كل حين سعيهم الدائم لصد الناس عن الإيمان بالله تعالى، وإشاعة الافتراءات على الدين، وهو في مقابل المكر الحسن الذي يقوم به الرسل للدعوة إلى الله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(الرعد: ٣٣)، والمقصود بالمكر هنا: الكيد للإسلام بشركهم أو تمويههم الأباطيل[١]، وفي قول الله تعالى (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) إشارة إلى أن قوة خارجة عنهم هي التي صدّتهم عن سبيل الله، ولكن هذا الصد كان بإرادتهم، فهؤلاء كفروا وأخفوا أدلة الإيمان وابتعدوا عن دلائل الهدى، وتصوروا أن مكرهم وتدبيرهم ضد الدعوة عمل حسن ، فحقت عليهم سنة الله ، لأن سنة الله لا تتوقف إذا حقت بأسبابها على العباد.[٢]

بعد بيان أسباب كل من المكر الحسن والسيء، لا بدّ أخيراً من بيان سنة الله في المكر والماكرين التي هي المحور الرئيس لهذا المطلب.

---

١) ينظر: أبو السعود، **(إرشاد العقل السليم)**، ج٥، ص٢٤.

٢) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٤، ص٢٠٦٣. الخطيب، **(التفسير القرآني للقرآن)**، ج٧ ص١٣٢.

سنن الله في المكر والماكرين

المكر السيئ، صفة أعداء الله في كل مكان وزمان، وطريقتهم الثابتة في التعامل مع الإسلام وأهله؛ وقد بين الله لنا في كتابه الكريم أن الرسل جميعاً قد قوبِلوا بالمكر، واتُّخِذ المكر وسيلة لمحاربة الرسل والرسالات، ومن بعدها المؤمنين جميعاً، وبما أن الله سبحانه له سنن ماضية، لا تتبدل ولا تتحول، بل هي مطردة ثابتة، يمكن استنباط سنن الله تعالى في استدراج الماكرين من خلال استعراض الآيات التي تحدثت عن المكر، وأهم هذه السّنن:

أولاً: مكر الماكرين إلى بوار وضياع:

سنة إلهية واضحة في المكر والماكرين، وهي أن مكرهم باطل زائل، قال الله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠)، فقد توعد الله ﷻ أولا بالعذاب الشديد على مكرهم، ثم أنبأهم أن مكرهم باطل فلا ينتفعون منه في الدنيا، ويعذبون بسببه في الآخرة، ومكر هؤلاء إلى بوار، والبوار كما ذكر أهل اللغة هو الهلاك أو كساد التجارة، وعدم نفاق السلعة [١]، وفي هذه الآية التي تتحدث عن مكر أهل مكة استُعير لفظ البوار؛ لبيان وجه الشّبه بين ما دبّره أهل مكة من المكر، مع حرصهم على إصابة النبي ﷺ بالسوء، وبين ما يقوم به التاجر من تزيين لبضاعته لجلب المشترين، ثم لا يُقْبل عليه أحد للشراء فيرجع فارغ الكفّ[٢] هذه سُنّة الله وحكمه القاطع في المكر، فهو إلى بوار وضياع، ولا يستطيع أحد النيل من هذا الدّين بل سيُبْطل الله مكرهم، ويكتب العزة والغلبة للاسلام والمسلمين.

---

١) ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج٤، ص٨٦.

٢) ينظر: ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج ٢٢، ٢٧٥.

ثانياً: المكر السيء لا يحيق إلا بأهله:

من خلال التأمل في الآيات التي تناولت قضية المكر والماكرين يمكن القول إن قول الله تعالى ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾(فاطر: ٤٣)، هي الآية الفصل التي تبين سنة الله في المكر والماكرين، والحيق لغة: ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء عمل يعمله فينزل ذلك به تقول أحاق الله بهم مكرهم وحاق به الشيء يحيق حيقاً؛ نزل به وأحاط به، وقيل: الحيْق في اللغة هو: أن يشتمل على الإنسان عاقبة مكروه فَعَله [1]، وقد نزلت هذه الآية بعد أن طلب أهل قريش النذير ووعدوا باتباع الهدى، إلا أنهم أخلفوا الوعد، واستكبروا عن اتباع طريق الحق، ومكروا بالناس، فكانت العقوبة أن هذا المكر أحاط بهم أنفسهم دون غيرهم، والآية عامة على الصحيح والأمور بعواقبها، والله يمهل ولا يهمل، وبالجملة من مَكر به غيره، ونفذ فيه المكر ففي الحقيقة هو الفائز، والماكر هو الهالك، وعليه لا تجد ماكراً إلا وهو ممكورٌ به، ولا مخادعا إلا وهو مخدوع ولا محتالاً إلا وهو محتال عليه [2]

هذه سُنة من سُنن الله تعالى في المجتمع البشري، فمن مكر فلا بدّ أن يحيق به مكره ومن لم يكن كذلك أنجاه الله تعالى، وقد يصاب الممكور به بشيء من الأذى أو الضر، ويكون ذلك من باب الابتلاء له ورفعاً لدرجاته، لكن الإحاطة الشاملة للمكر السيء لا تكون إلا

---

١) ينظر: ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج١٠، ص٧١.

٢) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج٢٠، ص٤٨٤. ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج٦ ص٥٥٩. الآلوسي، **(روح المعاني)**، ج٢٦، ص ٣٤. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب، **(إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان)**، ج١، ص٣٦٠، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

بمستحقيه الذين دبروا له، لأن الله تعالى يمكر لأوليائه مكراً يليق بجلاله، وشتان بين مكر الخالق ومكر المخلوق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٣) أي: إن مكر هؤلاء المجرمين عائد إليهم ومنقلب عليهم، بتلك الصورة الحاصرة (وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون).[١]

ويمكن القول: إن المكر من سنن الله في الصراع بين الحق والباطل على مر الأزمان، وهذا ما يجب على الأمة الإسلامية أن تدركه، فأهل المكر السيء لا ينفكون عن مكرهم بالمسلمين بكل ما يرونه محققاً لغرضهم الخبيث[٢]، وكل ذلك له أساليب وطرق منها صرف الناس عن الدين والافتراء ولصق التهم بالدعاة، والعمل على تعطيل نشاطهم؛ بالحبس أو النفي أو القتل والجميع مُطّلِع على كل ما يلاقيه الدعاة في هذه الأيام من حبس وإيذاء للتضيق عليهم، وتكميم الأفواه لإسكات كلمة الحق، كل ذلك من بعض مكرهم، وما ذلك إلا لإلحاق السوء بالإسلام والمسلمين ولكن يقيننا أن الغلبة لأهل الحق لان الله معهم ويمكر لهم، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠) فكل ما دُبِر للنبي ﷺ من المكر سواء كان الحبس أو القتل أو الإخراج، هذه الأساليب وغيرها هي نفسها التي يتعرض لها كل من يعمل لإعلاء كلمة الله في هذه الأيام.

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج١٢، ص٩٣. ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج٣، ص٣٣٢. أبو السعود، **(إرشاد العقل السليم)**، ج٣، ص١٨٢. حبنكة، **(معارج التفكر)**، ج٧، ص٢٣٦.

٢) ينظر: زيدان، **(السنن الإلهية)**، ص٢٦٩.

من هنا يمكن القول: إن في قول الله تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) قانوناً عاماً وسنة من سنن الله في حياة البشر وعلاقاتهم فيما بينهم، مثلها مثل السّنن الإلهية التي تكلمت عنها في المطالب السابقة، فهي مطردة ثابتة لا تتخلف على مرّ العصور.

ثالثاً: مكر الله لا يأمنه إلا خاسر:

لا شك أن الأمن من مكر الله من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب؛ فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩)، في هذه الآية تحذير العباد من الأمن من مكر الله تعالى بالإقامة على المعاصي والتهاون بحقه، والمراد من مكر الله: أن الله تعالى يملي للعصاة ويزيدهم من النّعم والخيرات، وهم مقيمون على معاصيه ومخالفة أمره فهم جديرون بأن يؤخذوا على غفلتهم ويعاقبوا؛ بسبب إقامتهم على معاصيه، وأمنهم من عقابه وغضبه.

وفي قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤)، في هذه الآية بيان أن أخْذ الله تعالى للناس بالبأساء والضراء سنّة من سننه في العباد لعل قلوبهم ترق وتلين وتتجه إلى الله ﷻ، فإذا لم يستجيبوا أخذهم بالنّعماء والسراء، وفتح عليهم الأبواب، كل ذلك للابتلاء، حتى إذا أصبحوا غافلين، وحسبوا أن الأمور تمضي جزافاً بلا قصد، وأن السراء تعقب الضراء من غير حكمة ولا ابتلاء، أخذهم الله بغتة، وهذا من باب مكر الله بالبشر، من خلال استدراجهم بالنّعم كما استدرج الذين من قبلهم.[1]

---

١) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٣، ص١٣٣٥.

وقد كثرت الأمثلة في القرآن الكريم التي تبين عقاب من يأمن مكر الله تعالى، ومن أمن مكر الله يكون معطِّلا لعقله، جاهلا بسنن الله في العباد، غير متعظ بما أصاب الأمم السابقة قال السلف:"المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشفِق، وَجِل خائف. والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن"[١]، ويقول صاحب الكشاف: "العاقل يكون في خوفه من مكر الله، كالمحارب الذي يخاف من عدوّه الكمين والبيات والغيلة". [٢]

رابعاً: مجيء العذاب من حيث لا يحتسب الماكرون:

بينت الآيات أن مكر الله تعالى وعذابه يحل وينزل بالماكرين من حيث لا يشعرون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النحل: ٢٦)، هذه الآية من باب المثل القرآني وقد وردت في معرض الحديث عن مكر الله بالماكرين، قال المفسرون: هذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه، حيث انقلب مكر الماكرين فصار وبالاً عليهم، وصار تدميرهم في تدبيرهم، مَثَّلهم كمثل الذي بنى البنيان للتحصين والقوة؛ فصار سبب هلاكه، حيث أبطل الله تدبيرهم ومكرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه، وأتاهم العذاب من حيث ظنوا أنهم في أمان.[٣]

---

١) ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج٣، ص٤٥١.

٢) الزمخشري، **(الكشاف)**، ج٢، ص١٣٤.

٣) ينظر: الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج٢٠، ص ١٩٨. القرطبي، **(الجامع لأحكام القرآن)**، ج١٠ ص٩٨. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج١٤، ص٧١. السعدي، **(تيسير الكريم الرحمن)**، ص٤٣٨. قطب، **(في ظلال القرآن)**،ج٤، ص٢١٦٨.

وفي تاريخنا المعاصر مثال لهذه السّنّة الإلهية، فقد كان الاتحاد السوفياتي من القوى العظمى في العالم، وكان ممن يمكر بالاسلام وأهله، وممن يسير على نهجه في هذه الأيام أمريكا ومن والاها من الدول، فهي تمكر بالإسلام والمسلمين بشتّى الطرق والأساليب، ولكن وعد الله تعالى حق لا مراء فيه، وسوف ينقلب السحر على الساحر، ويُشْف الله قلوب المؤمنين حين يرون أمريكا بجبروتها وهيمنتها متفككة إلى دويلات، ويخرّ عليها كل المكر الذي مَكَروه، وما ذلك على الله ببعيد، فكما تفكك الاتحاد السوفييتي ما بين ليلة وضحاها، فأمريكا لاحقة بروسيا لا محالة وسُنن الله تعالى ماضية على كل ماكر.

وفي قول الله تعالى (مِنْ حَيث لا يشعرون) بيان للخوف الذي حلّ بهم، لأن العذاب حل بهم بغتة وهم لا يشعرون؛ الأخذ فجأة أصعب على النفس، لما يصاحبه من الخوف الشديد، بخلاف الشيء التدريجي فإن النفس تتلقاه بصبر.[1]

والخلاصة أن الله تعالى يُحبط مكر الكفار، ويجعله وبالاً عليهم.

خامساً: عقاب المكر السيء يكون في الدنيا والآخرة:

من سنّة الله في الماكرين عدم الإفلات من العقاب سواء في الدنيا أو الآخرة ، ومن ظنّ أنه يُعجِز الله سبحانه فهو واهم وخاسر؛ فالماكرين معرضون للعذاب بسبب صدهم عن سبيل الله ومكرهم وكيدهم بالإسلام وأهله.

وعقاب الله في الدنيا يكون بإظهار مكرهم وفضحهم وانكشاف أمرهم، وحلول العذاب بهم، والقارئ لسنة الرسول ﷺ يرى مدى تَفنُّن المشركين في مكرهم بالمسلمين، فقد قاموا بكل ما قد يكون سبباً في ضعف الإسلام، والحطّ من قدره حتى يُمْحى أثره من الوجود، ومنه ما قامت به

---

١) ينظر: ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج١٤، ص١٣٥.

قريش في دار الندوة، حين تشاورت في أمر الرسول ﷺ فكان عاقبة مكرهم ما حلّ بهم يوم بدر حيث قتل سبعون من صناديد القوم وأُسِر مثلهم، وقد بين الله تعالى في قوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٤) نوعاً من العذاب الدنيوي الذي يصيب الماكرين، ألا وهو الصغار[١]، والذي يصيب المكذبين بالله ورسوله، بسبب كيدهم بالإسلام وأهله وبمكرهم القائم على مقاومة الرسل ودعوتهم، وما ذلك إلا من باب الحرص على رياستهم ومصالحهم الدنيوية.

ومن سنن الله في المكر والماكرين عدم اقتصار العذاب على العذاب الدنيوي سواء كان بالقتل أو الأسر أو غيرها من المحن، بل يتعداه للعذاب الشديد الشاق في الآخرة، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠)، أي: والذين يمكرون المكر السيّء بالمسلمين، ويقومون بالأعمال السيئة المفسدة لصلاح الأمة وقيام عمرانها، ويفعلون كلّ ما يكون سبباً في ضعف الإسلام والحطّ من قدره حتى يمّحى أثره من الوجود، كما فعلت قريش في دار الندوة، هؤلاء لهم العذاب الشديد يوم القيامة، ومكرهم يظهَر زَيْفه عن قريب لأولى البصائر ويجازون عليه أشد الخزي والهوان.[٢]، ولما توعدهم الله بالعذاب الشديد على مكرهم أنبأهم أن مكرهم لا يروج ولا ينفِق وأن الله سيبطله فلا ينتفعون منه في الدنيا، ويضرون بسببه في الآخرة فقال:﴿ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠)، أي: يضمحل ؛ لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه [٣]، والذين

---

١) الصغار هو: الذل والهوان. ابن منظور،**(لسان العرب)**، ج٤، ص٤٥٨.

٢) ينظر: المراغي،**(تفسير المراغي)**، ج٢٢، ص١١٣. القاسمي، **(محاسن التأويل)**،ج٨، ص١٦١

٣) ابن عاشور، **(التحرير والتنوير)**، ج٢٢، ص٢٧٤

يمكرون السيئات يمكرونها طلباً للعزة الكاذبة، والغلبة الموهومة، وقد يبدو في الظاهر أنهم أعزاء وأنهم أقوياء، إلا أن المكر السيئ قولاً وعملاً ليس سبيلاً إلى العزة، ولو حقق هذا المكر القوة الطاغية الباغية في بعض الأحيان، إلا أن نهايته إلى البوار وإلى العذاب الشديد، وعد الله، لا يخلف الله وعده، وإن أمهل الماكرين بالسوء حتى يحين الأجل المحتوم في تدبير الله المرسوم [1]، وقال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (الرعد: ٣٣ – ٣٤) هذه الآيات لم تحدد نوع العذاب الذي سيصيب الماكرين، بل تُرك بلا تحديد ليذهب العقل في تخيله كل مذهب، هذا إلى جانب عدم وجود من يحميهم من العذاب، وأَخْذ الله لهم ونكاله بهم[2]، وعليه فمن يمكر بالآخرين فإنه لا يجني من مكره إلا أخبث الثمر؛ الحسرة والضياع في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة.

سادساً: ضعف مكر الماكرين مهما ملكوا من قوة:

يتعرض المسلمون في أيامنا هذه إلى مكر شديد لم يتعرضوا له من قبل، فما القتل والتدمير الذي ينتشر في سوريا والعراق واليمن وغيرها من الأقطار المسلمة إلا نتيجة المكر المتواصل من مجرمي الأنظمة الحاكمة بالتعاون مع أهل الدسائس ومسعرّي الحروب ألا وهم اليهود، وكل ذلك بهدف القضاء على الإسلام وإبادة أهله، ولكن يقيننا وثقتنا أن كل ذلك إلى زوال، حيث أخذ سبحانه وتعالى على نفسه عهدًا بإبطال المكر وتدمير الماكرين وتدميرهم، ووعد

---

١) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج٥، ص٢٩٣١

٢) ينظر: الالوسي،**(روح المعاني)**، ج٧، ص١٥٣. قطب ،**(في ظلال القرآن)**، ج٤، ص٢٠٦٣. زيدان، عبد الكريم،**(السنن الإلهية)**، ص٢٤٤.

عباده المتقين بنصرهم، فكل مكر وكَيْد سيكون وبالاً على الماكرين، وستتحقق عدالة القوي العزيز، فهذه سنة الله الجارية في خلقه"، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ (إبراهيم: ٤٦).

قال أحد المعاصرين: المكر مأخوذ من التفاف الأغصان بعضها على بعض التفافاً بحيث لا تستطيع إذا أمسكت ورقة من أعلى أن تقول هذه الورقة من هذا الفرع؛ وذلك لالتفاف وتشابك الأغصان والفروع بعضها مع بعض، وكذلك الماكر يقوم بما يقوم به من المكر؛ لأنه يريد أن يلّف تبييته حتى لا يُكشف عنه، ومادام يفعل ذلك فهو ضعيف؛ أما القوي فلا يمكر بل يواجه.[١]

ويُلاحظ في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٣) أن الآية قامت على تخصيص المكر للأكابر المستكبرين الحريصين على تحقيق رغباتهم في العلو في الأرض، وقد علّل المفسرون السبب في تخصيص الأكابر؛ لأن هؤلاء الأكابر أقدر على المكر واستتباع الناس وهم لأجل المحافظة على مناصبهم، أقدر على الغدر والمكر وترويج الأباطيل، ولكثرة مالهم وقوة جاههم واتباع الناس لهم، كل ذاك يدفعهم للمبالغة في حفظ هذه الأشياء ولا يمكنهم أن يحافظوا على كل ذلك إلا بالمكر والخداع. [٢]

---

١) ينظر: الشعراوي، **(تفسير الشعراوي)**، ج٧، ص٣٩١٦.

٢) ينظر: الرازي، **(مفاتيح الغيب)**، ج١٣، ص١٣٥. رضا، **(المنار)**، ج٨، ص٣٠. حبنكة، **(معارج التفكر)**، ج٧، ص٢٣٥.

والمتأمل في التفاسير يجد أن هناك علاقة بين المكر والإجرام، فالماكر ليس مجرماً عادياً بل من أكابر المجرمين، ويستخدم التزوير والتلفيق والكذب للتلبيس على الناس يقول المفسرون: مضت سنة الله تعالى في الاجتماع البشري بوجود زعماء يمكرون بالرسل المبعوثين في عهدهم، وبسائر المصلحين من بعدهم، والماكر يكون من أكابر المجرمين الذين يقومون على إفساد عقائد الناس وأخلاقهم وصرفهم عن الهدى، ولا يقتصر المكر على الأفراد بل قد يكون بين الأمم لا سيما في الأزمنة التي تكثر فيها المطامع ويعظم حب الرياسة والكبرياء، فقد يمكر الحاكم بأفراد أمته ليحافظ على رياسته ومصلحته ، وقد يمكر بغيره من الدول لإرضاء مطامع أمته وتعزيز نفوذ حكومته في تلك الدول. وقد عظم هذا المكر في هذا العصر فصار قطب رحى السياسة في الدول، وعظم الإفك بعظمه لأنه أعظم أركانه.[1]

ومن أوضح الأمثلة على مثل هذا المكر ما حصل في مصر من انقلاب على الشرعية فهو مثال على مكر الرؤساء بأفراد أمتهم لتحقيق مصلحة الحاكم المنقلب، وتحقيق مصالح أمم معادية لمصر والعالم الإسلامي عامة، ولا يقتصر الأمر على مصر فحسب بل إن من يقلب بصره في أقطار المسلمين يجد المكر أينما نظر والتفت.

يقول الشاعر:

أنّى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصاً جناحاه[2]

---

١) ينظر: رضا، (**المنار**)، ج٨، ص٢٩. الجزائري، (**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**)، ج٢ ص١١٤.

٢) القائل محمود غنيم. أرشيف المجلس العلمي، من موقع الألوكة، www.majles.alukah.net

وقد ربط العلماء بين آية الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٣-١٢٤)، وبين آية فاطر وهي قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ (فاطر: ٤٣)، فقالوا: المكر السيء يشترك فيه المستكبرون الحريصون على تحقيق رغباتهم في العلو في الأرض، وأهل الأهواء والشهوات لإشباع هذه الشهوات، فمن يدعو إلى الحياة فهو يدعو إلى الاستقلال والمساواة ومن يدعو إلى الحق فهو مقاوم للباطل، وكلا الأمرين من أبغض الأشياء إلى أهل الأهواء والمستبدين، فالدعوة إلى نصرة الحق ومقاومة الباطل، والدعوة إلى كون الأعمال الفاضلة هي ميزان التفاضل بين الناس ليست من مقاييس هؤلاء الماكرين، ولكن مهما تفنّن الماكرون وأحكموا مكرهم وفسادهم، فلا بدّ أن عاقبة مكرهم تحيق بهم لجهلهم بسنن الله تعالى في خلقه.[1]

وسنّة الله قائمة على أنه مهما تعاظم مكر الماكرين إلا أنه يبور مقابل مكر الله تعالى الذي يمكره لأوليائه الصّالحين، فلو تصورنا أن مكر هؤلاء من الشدة بحيث يسبب زوال الجبال إلا أنه ضعيف واهن مقابل مكر الله تعالى وتدبيره.

بالرجوع إلى سورة الإسراء يجد الباحث أن سنة الله في استدراج الماكرين وردت بشكل ضمني في السورة، فقد تحدثت الآيات عن هذه السُّنة من ثلاث محاور:

---

١) ينظر: رضا، **(المنار)**،ج ٨، ص٣٠. حبنكة، **(معارج التفكر)**، ج٧، ص٢٣٥.

١- مكر الله تعالى باليهود وذلك في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ ﴾(الإسراء: ٨)، الآيات الكريمة، قد "حكت لنا قضاء الله تعالى في بنى إسرائيل، وساقت لنا لكي نعتبر ونتعظ، ألواناً من سنن الله ﷻ التي لا تتخلف، والتي من أبرزها أن الإيمان والصلاح عاقبتهما الفلاح، وأن الكفر والفساد عاقبتهما الشقاء، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى"[١] فهذا من باب المكر الإلهي، والاستدراج لليهود.

٢- المكر لأتباع الشيطان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾ (الإسراء: ٦٨-٦٩)، أي: أفحسبتم أنكم بخروجكم إلى البر أمنتم من انتقام الله تعالى وعذابه، فهو إن شاء خسف بكم الأرض وأنتم عليها، وإن شاء أمطر عليكم حجارة من السماء تقتلكم كما فعل بقوم لوط، ثم لا تجدون من تكلون إليه أموركم، ولا نصيراً يعينكم ويأخذ بثأركم وهذا من مكر الله تعالى، وفى الآية وعيد بانتقام الله تعالى من غير أن يكون هناك نصير يدفع بأس الله تعالى عمن أعرض عن أمر الله تعالى .[٢]

٣- مكر الله تعالى بكفار قريش: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(الإسراء: ٧٦) أي: من بغض الكفار لوجود الرسول ﷺ بين أظهرهم، كادوا أن يخرجوه من الأرض، ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعده

---

١) الطنطاوي،(**التفسير الوسيط**)، ج٨، ص٢٩٧

٢) ينظر:المراغي، (**تفسير المراغي**)، ج١٥، ص٧٥. الشعراوي،(**تفسير الشعراوي**)،ج١٤، ص٨٦٧٨

فيها إلا قليلاً حتى تحلّ بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول ولا تتبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة، ولمّا مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلاً حتى أوقع الله ﷻ بهم بـ "بدر" وقتل صناديدهم، وفضّ بيضتهم[1]، فكفار قريش يماثلون أعداء الإسلام في هذه الأيام الذين يمكرون مكرًا بالمسلمين، والله ﷻ يمكر مكرًا بأعداء الإسلام والذي يتحقق على أرض الواقع هو مكر الله وليس مكرهم، وذلك تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ (فاطر: ٤٣)، وقد كان هذا المكر بالمسلمين قديمًا ولا يزال في زماننا وسوف يستمر مستقبلاً تعرض المسلمين للمحن والابتلاء والسجن والقتل والتهجير، لأن الحرب بين الإيمان والكفر قائمة ومستمرة إلى قيام الساعة، وفي المقابل ستستمر سنة الله تعالى في أن تكون أفعال أعداء الإسلام بالمسلمين؛ لتنفير الناس من الإسلام هي نفسها سببًا في انتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً

المطلب الثاني: سنة الله ﷻ في الزيادة .

سنن الله في عباده كثيرة، بثها في القرآن الكريم؛ ليعلم المرتلون أن سنن الله تعالى لا تتغير بتغير الزمان، ولا تتخلف باختلاف المكان، بل هي سنن مطردة في كل زمان ومكان ، فلا يغتر قوي بقوته، ولا يبطر غني بماله، ولا تظن أمة أنها لا تقهر، فالقوي يضعف، والموارد تنقص قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾(الروم: ٥٤).

---

١) ينظر: السعدي، **(تفسير السعدي)**، ص٤٦٤

من سنن الله تعالى في خلقه"سنّة الزيادة"، وقد ظهرت هذه السّنة في كثير من الآيات في سورة فاطر، أبحثها من عدة محاور وهي على النحو الآتي:

أولاً: الزيادة في الخلق: قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (فاطر: ١)، وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية، فمنهم من قصر الزيادة هنا على الزيادة في خلق الملائكة وأجنحتهم، لأن الآية جاءت في سياق الحديث عن الملائكة، وذهب آخرون إلى تفسير الزيادة بعدة معان منها: زيادة بعض المخلوقات على بعض، في صفة خلقها من حسن الصوت أو حسن الخط، أو الملاحة في العينين، أو الأنف أو الشّعْر الْجَعْد، أو الزيادة هي الخلق الحسن أو العفة في الفقراء، والحلاوة في الفم، أو الزيادة في القوة، أو الزيادة في ملاحة العيش، وجاء في بعض التفاسير: أَنه زيادة الْعقل والتمييز والعلم بالصناعات، وهكذا يزيد في تفاوت العقول والنفوس والقوى المادية والمعنوية، وهذه الأقوال على سبيل التمثيل لا الحصر.[1]

وذهب بعض المفسرين إلى القول إن الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، ولا يقتصر على الزيادات في الأجنحة، بل هو يشمل ما يزيده سبحانه في الخلق من كل شيء تقتضي حِكمته أن يزيد فيه، وقد شرحوا هذه الزيادة بالأشياء المستحسنة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧)؛ والناظر إلى الآية بعين العلم، يجد أن هذا الوجود في نماء مستمرّ، وأنه أشبه بالكائن الحيّ في نموّه واكتماله، إلا أن الفرق بينهما أن الكائن

---

١) ينظر: ابو حيان، **(البحر المحيط)**، ج٩، ص١٢. ابن الجوزي **(زاد المسير)**، ج٣، ص٥٠٥. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج٢٢، ص١٠٤. السعدي، **(تيسير الكريم الرحمن)**، ص ٦٨٤.

الحيّ يبلغ حداً يقف عنده، بينما الوجود في نمو دائم لا يتوقف والسماء تتوسع سِعات متجدِّدة مستمرة على مرّ الأزمان، وهذا من زيادات الله في الخلق [١]

وقوله تعالى"ما يشاء"عام لا يخص حسناً دون غيره فالله ﷻ يُجري بِتجَدُد مستمر زيادات في خلقه تقتضيها حكمته، وخَتْم الآية بالقدرة على كل شيء يدل على ذلك.[٢]

من هنا أمكن القول إن الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق مهما كانت، وإذا قُرِأت الآية بعيداً عن السياق الذي وردت فيه يمكن القول إنها سنة من سنن الله في الخلق.

ثانياً: الزيادة في نعيم المؤمنين: زخر القرآن الكريم بالآيات التي تدل على هذه السّنّة، ومن الأمثلة القرآنية، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾(فاطر: ٢٩ – ٣٠)﴿ يزيدهم من فضله على ما سبق أن وعدهم إياه زيادات لا تخطر على بالهم، ولا تقع في تصوراتهم الوهمية [٣]

قال الله تعالى في أصحاب الكهف ﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾(الكهف:١٣)

فالمتدبر لهذه الآيات يجد أن صدق فتية الكهف في إيمانهم، وإخلاصهم في عبادتهم، وهجرتهم فراراً بدينهم نتيجة ذلك زادهم الله تعالى إيماناً وهداية، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾؛ أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان وببركة هذا الإخلاص والثبات على الحق ، زادهم الله من الهدى، الذي هو

---

١) ينظر: الخطيب،(**التفسير القرآني للقرآن**)،ج١٤، ص٥٣٠.

٢) ابو حيان، (**البحر المحيط**)، ج٩، ص١٢.

٣) حبنكة، (**معارج التفكر**)، ج٧، ص٣٠

العلم النافع والعمل الصالح، وزادهم هدى بالتثبيت على الإيمان، والتوفيق للعمل الصالح، كما قال الله تعالى في آية أخرى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾(مريم: ٧٦) أي: سيمدهم بالهدى في الحياة الدنيا، ويزيدهم فلاحاً وإيماناً.[١]

وفي قول الله تعالى:﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾خمسة أقوال:

- أحدها: ويزيد الله الذين اهتدَوا بالتوحيد إيماناً.
- والثاني: يزيدهم بصيرةً في دينهم.
- والثالث: يزيدهم بزيادة الوحي إيماناً، فكلما نزلت سورة زاد إيمانهم.
- والرابع: يزيدهم إيماناً بالناسخ والمنسوخ.
- والخامس: يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ. قال البعض: المعنى: إن الله تعالى يجعل جزاءهم أن يزيدهم يقيناً، كما جعل جزاء الكافر أن يمدَّه في ضلالته.[٢]

ففي كل المعاني السابقة يوجد زيادة على اختلاف أنواعها، وإن دلّ ذلك فإنما يدلّ على تحقق واطراد سنة الزيادة في الخلق، وفي الآية ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ "كلاماً مستأنفاً مسوقاً لبيان سُنة الله تعالى التي لا تتخلف في المهتدين، أي ويزيد الله سبحانه المهتدين إلى طريق الحق هداية على هدايتهم، بأن يثبتهم عليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى

---

١) ينظر:. الطنطاوي، **(التفسير الوسيط)**، ج٨، ص٤٨٠. الخطيب، **(التفسير القرآني)**، ج٨ ص٧٦٥.

٢) ينظر: ابن الجوزي، **(زاد المسير)**، ج٣، ص١٤٥.

وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ (محمد: ١٧) وقوله عز وجل-: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ (الفتح: ٤)".[١]

وقد وعد الله ﷻ كل من عزم على عمل صالح، واجتهد في تحقيقه، بالزيادة قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ (الشورى:٢٠)؛ أي من كان يريد بعمله الآخرة يزاد له في عمله الحسن، ويجعل له بالواحدة عشراً، إلى ما شاء ربنا من الزيادة فمن كان يريد الهدى والإيمان، ويعمل للآخرة ، يزيد له الله ﷻ من فضله وإحسانه، وتوفيقه وإعانته وتسهيل سبل الخير له ويضاعف له الجزاء أضعافاً مضاعفة ويكافئهم على شكرهم إياه بما هم أهل له.[٢]

وفي آية أخرى يقول الله تعالى:﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ (الشورى: ٢٣)، أي: من يعمل خيراً فيه طاعة لله ورسوله تسجل له هذه الطاعة زائدة على المقدار الذي صدر عنه بإرادته، لِيُثاب عليها وعلى ما زيد له فيها من الثواب المضاعف عشر من المرات، فتتضاعف الحسنة عشرة أضعافها إلى سبعمائة ضعف إلى ما فوق ذلك فضلاً من الله ورحمة، وقد تكون الزيادة التوفيق في الدنيا، أو زيادة الدرجات في الآخرة، فيحصل له الثواب العاجل والآجل.[٣]

---

١) الطنطاوي، **(التفسير الوسيط)**، ج٩، ص٦٦.

٢) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج٢١، ص٥٢١. الخطيب ، **(التفسير القرآني)**، ج١٣، ص٤٠. الطنطاوي،**(التفسير الوسيط)**، ج٢، ص٢٨٦.

٣) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج٢١، ص٥٢١. المراغي، **(تفسير المراغي)**، ج٢٥، ص٣٢. السعدي **(تيسير الكريم الرحمن)**، ص٧٥٧. حبنكة، **(معارج التفكر)**، ج١٢، ص٦٢٢.

من هنا فإن العمل وزيادة الحسنات عن طريق مجاهدة النفس ومغالبة الهوى يؤدي إلى تحقق سنة الزيادة، قال أحد السلف:"جاهدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت".[1]

ثالثاً: الزيادة في عذاب الكفار: كما تجري سُنة الزيادة على عباد الله المؤمنين، فإنها لا بدّ جارية على أولئك الكفار والمنافقين، فهي سنة مطردة ثابتة تصيب الجميع دون تمييز أو محاباة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ (فاطر: ٣٩)،أي: ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكاً، ومقت ربه له وبغضه إياه، وأي: عقوبة أعظم من مقت الله ﷻ ؟ يضاف لهذا المقت أنهم يخسرون أنفسهم وأهليهم وأعمالهم ومنازلهم في الجنة، فالكافر لا يزال في زيادة من الشقاء والخسران، والخزي عند الله وعند خلقه [2]، وقد وردت سُنة الزيادة بشكل ضمني أيضاً وذلك في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴾ (فاطر: ٣٦)

والمؤمن يزداد إيماناً مع إيمانه، نتيجة لزيادة العلم الحاصل من تدبر السُّور المختلفة، ونتيجة لما يتجلّى له من آيات كاشفة عن عظمة الخالق، وحكمته، ويستبشر بهذه الآيات؛ لأنها تزوده بزاد جديد من الإيمان والتقوى، ولأنها سبب لزيادة كماله وارتفاع درجاته وفى قوله تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾التوبة: ١٢٥)، بيان لما يحصّله المنافقون والذين في قلوبهم مرض من آيات الله ، فهي تزيدهم وجساً إلى رجسهم، وعمى

---

١) الطبري، **(جامع البيان)**، ج٥، ص٦٩٧.

٢) ينظر: الطبري،**(جامع البيان)**، ج٢٠، ص ٤٨٠. السعدي،**(تفسير السعدي)**، ص٦٩٠

إلى عماهم وضلالاً إلى ضلالهم، واستحكم ذلك فيهم إلى أن ماتوا على الكفر والنفاق، على مقتضى سننه تعالى في تأثير الأعمال في صفات النفس، وتغيير هواجس الفكر.[١]

من هنا فزيادة العذاب إنما تكون بسبب ضلالهم وإضلالهم لغيرهم، وفي المقابل قد يحصد المؤمن من الحسنات الكثير بسبب عمل صالح عمله فاقتدى به غيره، وصدق رسول الله ﷺ القائل ﷺ فيما رواه عنه جرير بن عبد الله: "**من سَنّ في الإسلام سُنّة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنّ في الإسلام سُنّة سيئة فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وِزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء**".[٢]

وقد تكون الزّيادة ماديّة أو معنوية؛ ومن الجزاء الدنيوي المادي ما يزيد الله سبحانه للعبد في الرزق أو العمر أو صلاح الزوج والولد، وغير ذلك، أما المعنوي: كطمأنينة النفس وسعادة القلب والتوفيق لعمل الطاعات.

وعكس ما سبق يزاد العذاب المادي والمعنوي لأهل الفجور في الدنيا، إضافة لعقاب الآخرة، فمن العقوبات المعنوية ضيق الصدر وشقاء القلب، وترك الطاعات، أما العقوبات المادية كالحرمان من الولد، أو الابتلاء بالزوج السيء إلى غير ذلك.

---

١) ينظر: البيضاوي، (**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**)، ج٣، ص١٠٢. القاسمي، (**محاسن التأويل**)، ج٥ ص٥٣١. الخطيب، (**التفسير القرآني للقرآن**)، ج٦، ص٩٢٢. الهرري، (**تفسير حدائق الروح والريحان**)، ج١٢ ص١٠٧.

٢) مسلم، (**صحيح مسلم**)، ج٤، ص٢٠٥٨، رقم الحديث ١٠١٧، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

وأخيراً فمَنْ فقه السّنن الإلهية في الزيادة زادت طاعته ولم تنقص، وزاد قرباً وتعلقاً بالله تعالى؛ ليقينه الراسخ أنه كلما زاد الإقبال على الله ﷻ؛ كان إقباله سبحانه عليه أضعافاً مضاعفة ، قال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

وقال سبحانه في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة: "**أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرْتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرْتُه في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرّب إليّ شبراً تقربْت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقرّبْتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرْولة**"[1]، وفي المقابل لا بدّ من الحذر وعدم الاستهانة بفعل المعاصي، وترك الطاعات؛ خوفا من أن تدرك سنة الزيادة في معصيته، فينتقل من معصية إلى أعظم منها، فكل زيادة يقدمها خيراً أو شراً فإن الله تعالى يزيده عليها أضعافاً في الدنيا وفي الآخرة.

وإذا كانت سنة الزيادة من سنن الله في الخلق، فلا بدّ أن يزاد للمؤمن في النّعم والتي هي من سنن الله أيضاً في خلقه، وهو مدار البحث في المطلب القادم.

المطلب الثالث: سنة الله ﷻ في النّعم.

بعد أن استعرضت في المطلب السابق سنن الله في الزّيادة، انتقل للحديث عن سنّة جديدة مرتبطة بصورة وثيقة بسّنة الزّيادة، بل يمكن القول إنها مكمّلة لتلك السّنّة، هذه السّنّة الإلهية هي سنّة الله في النّعم.

---

١) البخاري، **(صحيح البخاري)**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه)/ آل عمران ٢٨، ج٦، ص٢٦٩٤، رقم الحديث٦٧٩٠. مسلم، **(صحيح مسلم)**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، ج٤، ص٢٠٦١، رقم ٢٦٧٥.

نِعَم الله سبحانه على خلقه كثيرة لا تعد ولا تحصى قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(النحل: ١٨)، والله سبحانه هو المانح والمانع لها، وعليه فلا يمكن لبشر التفضل بالنّعم على أحد، كما أنه لا يستطيع منعها عن أحد، ومن رحمة الله سبحانه أنه بين لعباده في قرآنه الحكيم سنته سبحانه في النّعم وشكرها، ووضح لهم السّنن الإلهية التي إن ساروا عليها نالوا النّعم الوفيرة، بل وزيد لهم فيها، وقد ورد كثير من الآيات التي ورد فيها ذكر النّعم وطرق المحافظة عليها وكيفية شكرها وهذا ما سأستعرضه في هذا المطلب بإذن الله تعالى.

قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(فاطر: ٢).

جاء لفظ الرحمة في هذه الآية وفي آيات كثيرة، وذهب العلماء في تفسيره مذاهب متعددة حسب السياق، وقد فُسِّرت كلمة الرحمة في هذه الآية بمعنى النّعمة، قال المفسرون (الرحمة):"كل نعمة حسية كانت أو معنوية، كرزق أو صحة أو مطر أو أمن أو علم، أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها".[1]

من التفسير السابق يتبين أن النّعم تتفاوت ما بين المادية والمعنوية، النّعم المادية كنعمة خلق الأرض وما سخر فيها من الرزق والأكل والشرب قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(الرحمن: ١٠ – ١٣)، والمعنوية مثل نعمة الإيمان والأمن والأخوة والتكافل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ

---

١) ينظر: ابو حيان، **(البحر المحيط)**، ج٩، ص١٢. المراغي، **(تفسير المراغي)**،ج٢٢، ص١٠٤.

عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ويمكن القول إن النّعم المعنوية أعظم وأكثر منّة من النّعم المادية وإن كانت النّعم الماديّة مما امتنّ الله بها على عباده في كثير من آيات القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٦٩).

ويلاحظ أن الله سبحانه أطلق فعل "يفتح" للدلالة على إجراء النّعم الربانية بالتتابع مع الزمن، لأنه كما قال صاحب تفسير معارج التفكر:"إن فتح سدود مجاري النّعم يجعلها تتدفّق شطر من هي موجهة له، فينتفع بها ويقضي منها أوطاره لدنياه وآخرته، ويمكن القول إن عطاءات الله من نعمه تأتي غالباً على سُنة الجريان المتتابع، نظير جريان الكهرباء في الأسلاك، ولا تأتي عطاءات الله من نعمه في الغالب على سُنة العطاء دفعة واحدة ثم تنقطع والحكمة من هذا أن يظلّ العبد المؤمن مرتبطاً بربه دائما، يُلاحِظ عطاءاته المتواليات، فيتابع هذا العطاء بالحمد والشكر، ويكون دائم الدعاء شاعراً بدوام افتقاره اليه سبحانه".[١]

وقد امتلأت سورة فاطر بذكر الكثير من نعم الله تعالى، ومنها:

١- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ (فاطر: ١٣)، نعمة وقدرة الله تعالى التّامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان. ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفاً وشتاء[٢].

---

١) حبنكة، **(معارج التفكر)**، ج٧، ص٣٤.

٢) ينظر: ابن كثير،**(تفسير القرآن العظيم)**، ج٦، ص٥٤٠

٢- تسخير الشمس والقمر: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ (فاطر: ١٣) أي: النجوم السيارات، والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن محرر، تقديراً من عزيز عليم إلى يوم القيامة.[١]

٣- تسخير البحر: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (فاطر:١٢)، هذه الآية تبين النعم الكثيرة التي سخرها الله ﷻ لنا في البحر، والتي هيأها الله ﷻ لمنافع البشر المتنوعة، فمن اصطياد الأسماك وأكل لحمه، إلى استخراج حلية تزيدنا جمالاً وحسناً وسفن ومراكب تشق البحر الهائل بمقدمها، حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي يطلبون بها الأرزاق وفضل الله عليهم.[٢]

هذه النعم سواء كانت في الأجواء بين السماء والأرض، أو على الأرض من بحار وأنهار إنما تدلّ على تفرد الله تعالى بالإلهية ودقيق صنع الله تعالى

هذه النِّعم وغيرها لا بدّ من شُكر ربنا المُنعِم عليها، ليزيد الله لنا من آلائه ونعمه قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ (إبراهيم:٧) أي: لئن شكرتم عطايا الله ونعمه فالجزاء الزيادة لهذه النّعم لأن بقاء النّعم وزيادتها يرتهن بشكر

---

١) ابن كثير،**(تفسير القرآن العظيم)**، ج٦، ص٥٣٩

٢) ينظر: ابن كثير،**(تفسير القرآن العظيم)**، ج٦، ص٥٣٩. السعدي، **(تفسير السعدي)**، ص٤٣٧

العبد لها؛ قال أحد الصّالحين:"من لم يشكر النّعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها"[١]

وللإمام الغزالي في كتاب الإحياء كلام جميل في شكر النعم حيث يقول:"إعلَم أن الشّكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينتظم من عِلْم وحال وعَمَل فالعِلم هو الأصل فيورث الحال، والحال يورث العمل، فأما العلم فهو مَعرفَةُ النِّعمةِ مِنَ الْمُنْعِم والحالُ هوَ الفرحُ الحاصِلُ بِإنعامِهِ والعمل هو القيام بما هو مَقصودُ الْمُنْعِم وَمَحْبُوبُهُ ويَتَعَلَّقُ ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان".[٢]

أي لا بدّ من تعظيم الله المنعِم واستِشعار نِعَمه، والفرح بها، وأخيراً توطين النفس على شكر هذه النِّعم، من خلال صرف النِّعم فيما خُلِقت لأجله مثل إنفاق الأموال في عمل الخير ومساعدة المحتاجين.

قال صاحب المنار:"أن لكل نعمة بدنية أو عقلية أو علمية أو مالية.... شكراً خاصاً، ومن لم يهتد بهذه الهداية الربانية في الاستفادة من النّعم والنقم فإنه يسيء التصرف في الحالتين فيظلم نفسه ويظلم الناس،.... فالشكر سبيل لمزيد من النّعم".[٣]

أما الزيادة في النّعمة فهي كما قال العلماء على قسمين: روحانية وجسمانية، فالأولى هي أن الشاكر يكون أبداً في مطالعة أقسام نعمة الله تعالى، وأنواع فضله وكرمه، وأما الثانية: فلأن الاستقراء دل على أنّ كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر، كان وصول نعم الله إليه

---

١) السكندري، ابن عطاء الله، **(الحكم العطائية)**، ص ٥٧، إعداد محمد عبد المقصود هيكل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٢) الغزالي، **(إحياء علوم الدين)**، ج٤، ص١١٣.

٣) رضا، **(المنار)**، ج٨، ص ٢٢٣.

أكثر"[1] وقال صاحب المنار :"وكم من محروم أوتي النّعم بالاستعداد لشكرها، ثم زيدت بقدر شكره لها." [2]

مما سبق يتضح أن الشكر ليس هو المطلوب وَحَسب لدوام النّعم، بل لا بدّ من استخدام هذه النّعم فيما يرضي الله تعالى، وعدم الاغترار بنعم الله، فالله سبحانه قد يغمر العباد بنعم كثيرة لكنها تكون استدراجاً له وقد تكون اختباراً وابتلاءً؛ ليرى الله من عبده هل يشكر أم يجحد هذه النّعم،

وشكر النعم كما هو مطلوب من الأفراد، مطلوب أيضاً من الأمم والجماعات، فالأمة التي تشكر الله تعالى على نعمه، يفتح لها أبواب الخير، وعلى العكس فمن جحد النعمة،أصابه التضييق والهلاك، ومن الأمثلة القرآنية على الجحود الفردي قارون، أعطاه الله المال الوفير فكيف كان شكره ؟ ادَّعَى أنه نال هذا المال بتعبه وعلمه، وأنه أهل له وأنه يستحقه لمحبت الله تعالى له ورضاه عنه[3]، وأجاب مغتراً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾(القصص: ٧٨)،ولكن هذا لم يكن الحق فقد عاقبه الله بأن خسف الأرض به وبداره، إمضاء لعادة الله وسنته في إهلاك من طغى وتجبر مثل قارون، وإذا كانت هذه السّنّة الإلهية تجري على الأفراد (قارون)، فهي تجري بشكل مماثل على الأمم والجماعات؛ فكل أمة تشكر نعم الله سبحانه لا بدّ من تحقق وعد الله بزيادة النّعم فكلما زاد شكرهم زيد لهم في النّعم ، فتتوالى النّعم مع دوام الشكر مصداقا لقوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(إبراهيم: ٧).

---

١) الشربيني، **(السراج المنير)**، ج٢، ص١٧٠.

٢) **رضا، (المنار)**، ج٧، ص٣٧١.

٣) ينظر: السعدي، **(تيسير الكريم الرحمن)**، ص٦٢٣.

ومن أوضح الأمثلة القرآنية على الجحود الجماعي(جحود قوم)، قصة سبأ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ (سبأ: ١٥)، أنعم الله عليهم نعمًا جمة، من العيش الرغيد والرزق الواسع والبلاد الآمنة والقرى، مع كثرة أشجارها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، لأنه حيث نزل وجد ماءً وثمرًا، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم،فالأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهارًا[١] ومع هذه النّعم العظيمة التي امتن بها الله سبحانه عليهم كفروا، يقول أهل التفسير: لقد بطر القوم معيشتهم، فحادوا عن هذا الطّريق الآمن، وسلكوا طرقاً جديدة إلى جهات بعيدة غير تلك الجهة التي ألفوها وتبادلوا المنافع مع أهلها، واستبد بهم الغرور، فركبوا الأهوال والمخاطر، لا لحاجة إلّا إرضاء لغرورهم ففرق الله شملهم، ومزقهم كل ممزق، فأصبحوا أحاديث على ألسنة الناس، لما وقع بهم من بلاء.[٢]

وشكر النّعمة يدل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يُشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي، والنفس التي تشكر الله على نعمته، وتراقبه في التصرف بهذه النّعمة، بلا بطر وبلا استخدام للنعمة في الأذى والفساد، كل ذلك يؤدي في المقابل إلى تزكية النفس ودفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النّعمة بما ينميها ويبارك فيها، والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها، أو بإنكار أن الله واهبها، ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي الذاتي

---

١) ينظر: الطبري، **(جامع البيان)**، ج٢٠، ص٣٨٦.

٢) ينظر: الخطيب، **(التفسير القرآني)**، ج١١، ص٨١٠.

وهذا ما حصل مع قارون، وكأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله! وقد يكون كفر النّعمة بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد.[١]

ويمكن تشبيه شكر النّعم بالرياضة وتمرين العضلات؛ فكما أن الرياضة تؤدي إلى زيادة قوة العضلات، وإن لم تُمرّن ضعفت واضمحلت، كذلك النّعم إن شُكِرَت واستعملت فيما وجدت له استمرت وزادت، وإن جُحِدت اختفت، روى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: "**من أُعطِيَ الشُّكر لم يحرم الزِّيادة**".[٢]

وهذه السّنّة الربانية في التعامل مع النّعم تجري في النّعم بكل أنواعها المادية والمعنوية وفي النّعم الدينية والدنيوية: فمن هداه الله تعالى إلى طاعة، فلزمها، وأخلص فيها؛ بارك الله له فيها، وأعانه عليها، فوجد لذته في لزومها والزيادة منها، ومن كفر نعمة ماهدي إليه من الطاعة عوقب على كفره بنعمة ربه سبحانه بضيق صدره، وقسوة قلبه وتقصيره في عبادته، وربما ارتكس في مزيد من الإثم، وزين له سوء عمله فرآه حسنا، فيكون عذابه أشد.[٣]

---

١) ينظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**،ج٤،ص٢٠٨٩.

٢) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **(شعب الإيمان)**، الباب الثالث والثلاثون من شعب الإيمان باب في تعديد نعم الله ﷻ، ج٤، ص١٢٥، رقم الحديث٤٥٢٨، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ. قال الهيثمي: ضعيف. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (المتوفى: ٨٠٧هـ)، **(مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)**، كتاب الأدعية، باب شكر المعروف ومكافأة فاعله، ج١٠، ص١٤٩، رقم الحديث١٧٢١١، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م

٣) شبكة الألوكة، الحقيل، إبراهيم بن محمد، **سنن الله في خلقه (النعم والنقم)**، تاريخ الاضافة: ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، www.alukah.net

وعليه فالأمة كالفرد إن قابلت نعم الله تعالى عليها بالجحود والكفران، واستخدام هذه النّعم بالمعاصي والفجور كان عقابها بسلب هذه النّعم، وحلول المحن المختلفة من مرض وحرب وجوع؛ لأن سنة الله تعالى فيمن جحد النّعم وتكبر على الله أن يعذبه فردا كان أو جماعة﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(إبراهيم: ٧)، وعد رباني متحقق في الأمم المتأخرة كما تحقق في الأمم المتقدمة وأنواع عذابه سبحانه كثيرة أليمة، قد تصيب الأمة في رزقها أو أمنها فيسلّط عليها الشقاق والنزاع بين أبناء البلد الواحد، ولعل ما أصاب بلاد المسلمين من فُرقة وحرب وجوع وشقاق وتكالب الأمم عليها، لعل كل هذا بسبب بطر النّعم التي امتن الله بها عليهم، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل:١١٢).

مما سبق يمكن تلخيص هذه السّنّة الإلهية بما يلي:

١- ليست النّعم متعلقة بالأمور المادية وحسب، بل تعلقها بالأمور المعنوية أعظم وأكبر، فها نحن أولاء نرى من الأمم الذين يتمتعون بالمال والعزّ والبنيان الشاهق والقصور المشيدة إلّا أنهم من جانب مقابل حرموا الأمن والأمان، وحرموا الأخوة والترابط واضطربت نفوسهم، وشاعت بينهم الأمراض، وابتلوا بكثير من البلايا والرزايا.

٢- السّنّة الإلهية ماضية على مستوى الأفراد والجماعات، والنّعمة لا تُسلَب من أحد إلا إذا كثرت عنده أسباب الكفران لهذه النّعم، وتلك سُنة جارية ماضية.

3- كل النّعم فيها حق لله شكرا وثناءً، والشكر نعمة تحتاج إلى شكر، فلا ينقطع شكر الله المنعم، قَالَ تَعَالَى:﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾(النمل:٤٠)

وإدراك ذلك هو سنة ربانية ينبغي أن لا يغفل عنها أحد، وربط هذه السّنن بعمل الناس أمر مطّرد على مرّ السّنين.

٤- إذا كان شكر النّعم سببا لزيادتها فكفرها يؤدي إلى زوالها، فمن شكر الله على نعمه ونسبها إليه سبحانه، وسخّرها فيما يرضيه ﷻ؛ أدام الله تعالى نعمته، وزاده منها وباركها وأما من بطر نعمة الله تعالى عليه، ونسبها لنفسه، ونَسِيَ المُنعِم سبحانه فلم يشكره وسخّرها في معصية الله ﷻ؛ فإن سُنّة الله تعالى جارية عليه لا محالة، فتُسلَب نعمته وتحلّ نقمته، فيخاف بعد الأمن، ويبتلى بعد العافية، ويفتقر بعد الغنى.

الخاتمة

أحمد الله العليم الحكيم، الذي تتم بنعمته الصالحات، وبفضله ومنّه وجودِه يكون التوفيق والسّداد، وأصلي وأسلم على حبيب الله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن نِعَم الله سبحانه تعالى أن امتنّ عليّ بإكمال رسالتي هذه، والتي جاءت بعنوان **(السنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر)**، والتي اعدّها من الموضوعات الهامّة التي لا بدّ من الكتابة فيها لعظيم فائدتها على الأمة، وبخاصة في أيامنا العصيبة التي تمر بها الأمّة الإسلامية.

وقد اتضح من خلال بحثي هذا أن السّنن الإلهية سنن شاملة ثابتة مطّردة، وتؤكد أن هذه الحياة ليست فوضى ولا عبثاً، بل هي حياة قائمة على نواميس وسُنن، فمن يعمل خيرا يُجْز به ومن يعمل سوءاً يجز به، والله لا يضيع أجر المحسنين، وإن استشراف هذه السّنن واستكشافُها وموافقتها، يُحيى في الإنسان الشعور بالمسؤولية والأمانة، ويصنع منه عاملاً مجداً مثمراً ، لأنه يعلم أنه أمام سنن وقوانين لا تحابي أحداً ولا تستثني فرداً، بخلاف من يُهمل علم السّنن ويُغفله ولا يقيم له وزناً؛ فإنك تراه يتّبع هواه، ويخالف هذه السّنن الربانية، ويعاندها؛ فيعيش حياة فوضوية وعبثية كلها تفريط وضياع.

وبعد هذه الرحلة مع سُنن الله ﷻ في سورتي الإسراء وفاطر، فقد خَلَصْت إلى عدة نتائج أهمها:

١- أن قدماء المفسرين ليس في آرائهم كثير مما يخدم موضوع السّنن الإلهية بالمعنى الذي تناولته الدراسات المعاصرة، التي تسعى إلى الإفادة من السّنن في المشروع الحضاري وتطلعاته المستقبلية، وهذا ليس عجزاً منهم، فمن الممكن أن يكون مركوناً في أذهانهم ولكن لا يتفق مع الواقع الذي يعيشونه.

٢- دراستي هذه بمثابة خطوط هامة في السنن الإلهية التي تميّزت بها كل من سورتي الإسراء وفاطر، وفي دراستها واستيعابها بصورة صحيحة من قِبل أفراد الأمة الإسلامية أهمية عظيمة لأن ذلك سوف يعين على أخذ العبر، ووضع حد للجرأة على حدود الله وحرماته.

٣- إنّ الله تعالى خلق البشر، وسخر لهم الكون بما فيه وبيّن لهم سنناً إلهية دقيقة، ينبغي على كل مسلم أن يفهمها، لأنها بمثابة معالم في طريق النَّجاح والنَّهضة والإبداع من جهة، وشاخصاتٍ تحذيريَّة من الهلاك والفشل والانزلاق من جهة أخرى.

٤- تميّزت سورة الإسراء بانفرادها بسنّة لم ترد في القرآن الكريم، ألا وهي سنّة الاستفزاز حيث إن هذه الكلمة لم ترد في غيرها من السور.

٥- السُّنن التي تميزت بها سورة الإسراء عن سورة فاطر: سُنّة الله ﷻ في الصراع مع اليهود، وسُنّة الله ﷻ في الترف والمترفين. وسنة الاستفزاز

٦- أما السُّنن التي تميّزت بها سورة فاطر: فسُنّة الله ﷻ في المكر والماكرين، وسُنّة الله ﷻ في الزيادة، وأخيرا سُنّة الله ﷻ في النعم، وقد شاركتها سورة الإسراء في سنّة المكر بصورة ضمنية

٧- وجود سنن إلهية مشتركة بين السورتين مثل: سنة الله ﷻ في بعث الأنبياء وعقاب الأمم الجاحدة، وسنة الله ﷻ في الهداية والضّلال، وسنة الجزاء من جنس العمل.

٨- إن معرفة السنن الإلهية واجبة من أجل التغيير والإصلاح، والارتقاء بالأمة، واعادة مجدها الضائع.

٩- حاجة المسلمين إلى الوعي بالسُنن التي وردت في السورتين خاصة، والسُّنن التي حفل بها القرآن الكريم عامة، استشرافاً إلى مستقبل مشرق للأمة الإسلامية .

١٠ – إن الإلمام بسُنن الله هي من إسباب رفعة الأمة، وإن الانحطاط والفتن والحروب والدمار الذي يحيط بالمسلمين ويجتاح البلاد الإسلامية ما هو إلا نتيجة للظلم والبغي والترف والسكوت عن الحق، تحقيقاً لسُنن الله تعالى في البشر.

هذه أهم النتائج التي أعانني الله تعالى على الوصول إليها، أما بالنسبة للتوصيات فبعد الدعوة لتقوى الله وطاعة ونصرة نبيه أوصي بالآتي:

١- ضرورة العودة إلى كتاب الله ﷻ في استنباط السنن الإلهية، وضرورة أن يأخذ أهل العلم دورهم للتخلص من المعضلات التي تحيق بالأمة، من خلال ربط السنن الإلهية بالواقع، حتى تؤتي الفائدة ثمارها.

٢- ضرورة مواصلة الاهتمام بموضوعات القرآن الكريم، والتوسع في دراسة السّنن الإلهية من خلال إفراد دراسات في سنن القرآن الكريم والعمل على استخدام هذه الدراسات وتوظيفها في مشروع نهضة الأمة الإسلامية، لما لها من أثر في قيام الحضارات أوسقوطها .

٣- حثّ الطّلبة على التفكير السُّنني؛ ليحلّ محلّ الأوهام والخرافات التي عشّشت في عقول الكثيرين.

٤ – محاولة القيام بتقويم سنني للأحداث الكبرى التي نشهدها في أيامنا العصيبة التي نعيشها، والإفادة منها في الرجوع إلى مجدنا الضائع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المسارد العلمية

مسرد الآيات

مسرد الأحاديث والآثار

مسرد الكلمات الغريبة

مسرد الأعلام

مسرد الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾	٦	١٢٨
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ..﴾	٧	١٢٥
سورة البقرة		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ .﴾	٥	١٢٥
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾	١٠	١٨٣
﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾	١٥	١١٨
﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ .﴾	٣٨	٥٣-١٥٤
﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾	٤٠	١١٨
﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ .﴾	٨٨	١٣٩
﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا﴾	١٠٢	٥٥
﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ .﴾	١٢٠	١٣٥
﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ ﴾	١٤٥	٥٢

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ ﴾	١٧٠	١٣٤
﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾	١٧٨	١٢٢
سورة آل عمران		
﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾	٥٤	١٦٤-١٦٦-١٦٨-١٧٢
﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ ﴾	١٠١	١٢٨
﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾	١٠٣	١٩٤
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ ﴾	١١٠	١٠٦
﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ ﴾	١٣٧	ض-٧-٤٢-٤٧
﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ ﴾	١٧٨	٥٧
سورة النساء		
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ ﴾	٢٦	٤٧
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ ﴾	١١٥	١٣٨
﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ...﴾	١٢٣	٢٣
﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	١٥٥	٩١
سورة المائدة		
﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ ﴾	١٦	١٣٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ ﴾	٣٨	١٢٠
﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾	٦٤	٩٧
﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ ﴾	٧١	٨١-٨٢
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ﴾	٨٢	٧٦
سورة الأنعام		
﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ﴾	١١	٤١
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ ﴾	٤٤	١٠٢-١٦٩-١٧٧
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	٤٥	١٥٨
﴿فَأَذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٦٩	١٨٧
﴿ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾	٧١	١٣٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ﴾	١٢٣	١٧٥-١٧٧-١٧٨
﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ ﴾	١٢٤	١٧٥-١٨٢-١٨٣
﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ ﴾	١٦٠	١٩٣٥
سورة الأعراف		
﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ .﴾	٥٤	٢٣

﴿فَٱذۡكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	٦٩	١٩٥
﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ ﴾	٧٨	١٠٤
﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا ﴾	٩٦	١٨
﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ﴾	٩٩	١٦٦-١٧٧
﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ﴾	١٢٤	١٤٥
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ ﴾	١٢٧	٥
﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ﴾	١٣٦	١٠٣
﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا ﴾	١٣٨	٩١
﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾	١٥٨	١٢٩
﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ﴾	١٦٧	٨٤
سورة الأنفال		
﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا ﴾	٧	٥٨
﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ ﴾	١١	٤٥
﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾	٢٥	١١٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾	٢٩	٤٥-٥١
﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ ﴾	٣٠	١٦٥-١٧٢-١٧٦

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ﴾	٣٨	٤٧
﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ ﴾	٦٨	٥٢
سورة التوبة		
﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ ﴾	١٢٥	١٩١
سورة يونس		
﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾	٢١	١٦٧
﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ.. ﴾	٣٢	١٣٥
﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ ﴾	٣٦	١٣٢
﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾	٣٩	١٣٢
﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ ﴾	٧٤	١٣٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾	٩٦	٥٧
سورة هود		
﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ ﴾	٣٤	٥٥
﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ..﴾	٦٧	١٠٤
﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم﴾	٨٩	٣٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ﴾	١٠٢	٣١

﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ﴾	١١٣	٥٨
﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ ﴾	١١٦	١١٦
سورة يوسف		
﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ ﴾	٣١	١٦٨
﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ ﴾	٧٦	١٧٠
﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾	١١١	١١-٣٤
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا ﴾	١١	٢٩
﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ﴾	٢٧	١٢٩
﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ﴾	٣٣	١٦٨- ١٧٣-١٨١
﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾	٣٤	١٧٢-١٨١
سورة ابراهيم		
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ﴾	١٠	٩٨
﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ ﴾	٧	١٩٦-١٩٨-٢٠١
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم﴾	١٣	١٤٧
﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾	٢١	١١٣

﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ﴾	٤٦	١٨٢
سورة الحجر		
﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	١٣	٤٧
سورة النحل		
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ﴾	١٨	١٩٤
﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ ﴾	٢٦	١٧٨
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ﴾	٣٦	٩٨
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ﴾	٤٤	٣٣
﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ ﴾	٦٩	٧١
﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	٨٩	ط
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ ﴾	١١٢	٢٠١-٥٧-٣٩
﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾	١٢٤	٧١
﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم﴾	١٢٦	١٦٥
سورة الإسراء		
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ﴾	١	٩٠-٧٣-٦٢
﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ .﴾	٤	٩١-٨٢-٧٧-٧٣

﴿ جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ ﴾	٥	٧٧-٨٢-٨٦-٨٧-٩٧
﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم.﴾	٦	٧٧-٨٢-٨٧-٩٢
﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ ﴾	٧	٧٧-٨٢-٨٦-٩٢-١١٩
﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾	٧	٧٧-٨٢-٨٥-٩٢-٩٧-١١٩
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا﴾	٨	٨٢-٩٤-٩٥-١٨٤
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾	٩	٧٤-١٢٨
﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ﴾	١٢	٧٣
﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ﴾	١٥	١٢٦-١٣٨
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾	١٥	٩٩-١٠٠
﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا....﴾	١٦	٥٤-١٠٨-١٠٩-١١٠
﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ ﴾	١٧	١٣١
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا ﴾	١٨	١٢٠
﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ﴾	١٩	١٢٠
﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا ﴾	٢٢	١١٩
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾	٢٣	٧٤

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾	٢٦	٦٨
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ﴾	٣٢	٦٨
﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾	٣٣	٦٨- ١٢٢
﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ﴾	٣٦	١٢٧-١٣٩
﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾	٤٠	٧٤
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾	٥٧	٦٩
﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ﴾	٥٨	١٠٠
﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ..﴾	٦٠	٦٩
﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ﴾	٦٣	١٣٢
﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾	٦٤	١٤٠-١٤١-١٥٢
﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾	٦٥	١٣٨
﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾	٦٨	١٠٣-١٨٥
﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾	٦٩	١٠٣-١٨٥
﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ﴾	٧١	١٣٦
﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾	٧٢	١٢١
﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ﴾	٧٣	٦٩

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾	٧٤	٦٩
﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾	٧٥	٦٩
﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾	٧٦	٦٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٨-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٨٥
﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾	٧٧	٢٥-٤٧-٦٩-٩٨-١٤٨-١٤٩-١٥١
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾	٧٨	٦٩
﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن﴾	٧٩	٦٩
﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ....﴾	٨٠	٦٩-٧٠
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾	٨٢	٧١
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	٧٢
﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ﴾	٩٣	٧٤
﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن﴾	٩٧	١٣٧-١٣٨
﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ﴾	٩٧-٩٨	١٠٥
﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾	١٠٣	١٤٠-١٤١-١٤٣-١٤٤-١٤٦-١٥٠-١٥٣

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾	١٠٤	٧٢-٨٨-٨٩-٩٤
﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾	١٠٧	٦٦
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾	١١١	٧٤
سورة الكهف		
﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾	١٣	١٨٨
﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾	٤٩	٩٢
﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ﴾	٥٥	٤٧
﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾	٥٩	١٠٤
﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾	٩٨	٧٢
﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴾	١٠٠	٧٢
﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ﴾	١٠٩	٧٢
سورة مريم		
﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ﴾	٧٦	١٨٩
سورة طه		
﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ ﴾	١٢٣	٢٠-١٣٦
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً﴾	١٢٤	٢١-١٣٦

سورة الأنبياء		
﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾	١١	١١٤
﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾	١٢	١١٤
﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾	١٣	١١٤
﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ ﴾	٥٨	١٦٩
﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ ﴾	٩٥	٥٥
﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾	١١٢	٥٥
سورة الحج		
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾	٤٠	٨٧
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾	٤٦	٤١
سورة المؤمنون		
﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٣٣	١٠٨
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ﴾	٤٤	١٠٥
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ﴾	٦٤	١٠٨
سورة النور		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ﴾	٢١	١٣١

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ﴾	٥٥	٥١
﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن﴾	٦٣	٥٢
سورة الفرقان		
﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ﴾	٢٧	١٣٢
﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾	٢٨	١٣٢
﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾	٢٩	١٣٣-١٣٢
سورة الشعراء		
﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٦	١٤٤
﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	١٧	١٤٤
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم ﴾	٥٢	١٤٤
﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴾	٦٠	١٤٤
سورة النمل		
﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ﴾	٤٠	٢٠١
﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ ﴾	٥٠	١٦٥
﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ ﴾	٥١	١٦٥
سورة القصص		

﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى ﴾	٥٠	١٣٣
﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾	٥٨	١٩٢
﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ ﴾	٥٧	٥٦
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ ﴾	٥٩	٩٩
﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾	٧٨	١٩٨
﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا ﴾	٨٣	٣٥
سورة العنكبوت		
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ﴾	١٤	١٠٣
﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم ﴾	٣٩	١٠٥
﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا﴾	٤٠	١٠١
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا ﴾	٤٣	٣٩
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾	٦٩	١٣٠
سورة الروم		
﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ﴾	٩	١١٣
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ ﴾	٥٤	١٨٦
﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ﴾	٦٠	١٤٦

سورة الأحزاب		
﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ ﴾	٣٨	٤٧
﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ ﴾	٦٢	٤٧-٢٢
﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾	٦٢	٢٥
﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾	٦٧	١١٣
سورة سبأ		
﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ﴾	١٥	١٩٩
﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾	١٨	٤١
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ ﴾	٣٤	١٠٨
﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ ﴾	٥٤	١٥٨
سورة فاطر		
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ﴾	١	١٨٧-١٦٠-١٥٦-١٥٥
﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾	٢	١٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾	٣	١٦٠
﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ ﴾	٤	١٦١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ﴾	٥	١٦١

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٧	١٦١
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾	٨	١٦٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ ﴾	١٠	١٧٤-١٨٠
﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ ﴾	١٢	١٥٩-١٩٦
﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ﴾	١٣	١٩٥
﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾	١٣	١٥٩-١٩٦
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾	١٨	١٦٣
﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾	٢٤	١٦٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ﴾	٢٩	١٦١-١٨٨
﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾	٣٠	١٨٨
﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ ﴾	٣٢	٥٤-١٦١
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ﴾	٣٦	١٩١
﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن﴾	٣٧	١٥٨
﴿ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	٣٩	١٩١
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ﴾	٤٠	١٦١

﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ ﴾	٤٢	١٥٨-١٧٢
﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ﴾	٤٣	١٦٧-١٧٤-١٨٤-١٨٦
﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ ﴾	٤٣	٤٧-
﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾	٤٣	٦
سورة يس		
﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ ﴾	٣٨-٣٩	١٥٩
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ ﴾	٤١-٤٣	١٥٩
سورة الصافات		
﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾	٢٢	٢٤
﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾	٢٣	١٢٥
﴿ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ٦٩ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ﴾-	٦٩-٧٠	١٣٣
﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي ﴾	٨٨-٨٩	١٦٩
سورة الزمر		

﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾	٢٧	٣٨
سورة غافر		
﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ ﴾	١٧	١١٧
﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ﴾	٢١	٢٥
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم ﴾	٢٢	٢٥
﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ﴾	٨٢	٣٦
﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ ﴾	٨٥	٤٧
سورة فصلت		
﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾	١٥	١٠٥
سورة الشورى		
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ ﴾	٢٠	١٩٠
﴿ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ ﴾	٢٣	١٩٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾	٥٢	٢٢
سورة الزخرف		
﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ ﴾	٢٣	١٠٨
﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ ﴾	٣٦	١٣٧

﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ ﴾	٣٧	١٣٦
﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ ﴾	٥٤	١٤٦
الأحقاف		
﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٩	٢٨
سورة محمد		
﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ ﴾	١٧	١٩٠
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾	٢٤	ض
سورة الفتح		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٤	١٩٠
﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن ﴾	٢٣	٦-٤٨
سورة القمر		
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ ﴾	٣٤	١٠٣
سورة الرحمن		
﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	١١-١٣	١٩٤
سورة الذاريات		
﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	٤٧	١٨٧

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا ﴾	٥٢	١٦٨
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	٩٨
سورة الطور		
﴿ كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾	٢١	١٣٩
سورة الحشر		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ﴾	٢	٩١
﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾	١٤	٩٦
سورة الصف		
﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا ﴾	٥	١٣٨
سورة المنافقون		
﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾	٨	١٥١
سورة التغابن		
﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾	١١	١٢٨
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ ﴾	٢-٣	٤٤
سورة الحاقة		
﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴾	٦	١٠٢

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي ﴾	١٩ – ٢١	١٣٧
سورة نوح		
﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾	٢٢	١٦٧
سورة المطففين		
﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّاۖ﴾	١٣–١٤	١٣٠
سورة الطارق		
﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾	١٥–١٦	١١٨
سورة البلد		
﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾	٨–١٠	١٣٨
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾	٧	١١٧

مسرد الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة	٦٢
أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي	١٩٣
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ	٦٣
حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النّار بالشّهوات	١٣٠
الْحَرْبُ خَدْعَةٌ	١٧٠
فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا	٢٣
فواللّه ما الفقر أخشى	١١٠
كان رسول الله ﷺ يقرأ كلّ ليلةٍ	٦٤
كما تُدين تُدان	١١٧
اللهُم امْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ	١٦٤
اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي	٤٥
مثل القائِمِ على حُدود الله	١١٤
مَن أُعْطِيَ الشكر لم يُحرَمِ الزِّيادَة	٢٠٠
مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً	٤
مَن صَنَعَ مَعرُوفًا فَكَافِئُوه	ث-١٢٣
نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ	١٥

هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ بِه اللَّهُ عَلَى مُوسَى	١٤٩
وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ	١٤٩
وإني سألت ربّي لأمَتي	١٠٢
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟	١١٤

فهرس الكلمات الغريبة

الكلمة	المعنى	الصفحة
الاجتهاد	بذل الوسع للتوصل إلى معرفة الحكم الشرعي	٦١
الإدالَة	الغلبة	٨
استئصال	إهلاك وإزالة من الأصل	١٠١
التبار	الهلاك	٩٧
التعليل	إظهار علّية الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة	٥٦
التوقيف	نص الشارع المتعلق ببعض الأمور	٦١
الحاصب	الريح التي تحمل الحصى	١٠٣
حرودا	تنحّى وتحوّل عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم	٤
الخسف	ذهاب الأرض بما عليها	١٠٣
الدهماء	الجماعة من الناس	١٠٩
السبب	كل شيء يتوصل به إلى غيره	٤٤
الصّغار	الذل والهوان	١٨٠
العدّ الكوفي	أحد مذاهب عد آي القرآن الكريم	٦٦
المَثُلَة	العقوبة	٨
المصادفة	خلو النظام الكوني من الإله	٢٠
المعروف	اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه	١٠٦

المنكر	كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه	١٠٦
الهوى	محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه	١٣٣

مسرد الأعلام

اسم العلم	الصفحة
ابن الأثير	١٨
ابن تيمية	١٠
ابن عاشور	٤٠
ابن عباس	١٦٤
ابن قيم الجوزية	٣٧
ابن كثير	٩
أبو أمامة	٦٢
أبو زهرة	٣٤
أبو هريرة	١٧٠
أنس بن مالك	١٣٠
ثوبان	١٠٢
جابر بن زيد	٦٨
جرير بن عبد الله	٤
حجة الاسلام محمد الغزالي	١٥
الراغب الأصفهاني	٦
الزمخشري	٨

زينب بنت جحش	١١٤
سيد قطب	١١
السيوطي	٦١
الشاطبي	٢٨
الشافعي	٣٩
الطبري	٧
عائشة أم المؤمنين	٦٤
عبد الله بن مسعود	٦٣
عبد الله بن عمر	١٢٣
عدي بن الحمراء	١٤٩
عروة بن الزبير	٢٣
عمرو بن العاص	٣
عمرو بن عوف	١١٠
قارون	٣٥
القفال	٨٢
محمد الغزالي	١٢
محمد رشيد رضا	١١
محمد عبده	١٦
النعمان بن بشير	١١٤

نعيم بن مسعود	١٧٠
ورقة بن نوفل	١٤٩
يحيى بن سلام	٦٤

قائمة المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**

٢- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني،(المتوفى: ٦٣٠هـ)، (**أسد الغابة**)، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٣- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري، (المتوفى: ٦٣٠هـ)، (**الكامل في التاريخ**)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٤- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (**النهاية في غريب الحديث والأثر**)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥- ابن البناء المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، (٧٢١هـ)،(**عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**)، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م.

٦- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (٥٩٧هـ)، (**زاد المسير في علم التفسير**)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٧- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (٥٩٧هـ)، **(ذم الهوى)** تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي.

٨- ابن عربي، ابو بكر محمد بن علي، (٦٣٨)، **(الفتوحات المكية)**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري ،(١٠٨٩هـ)، **(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١٠ –– ابن الهائم، أبو العباس أحمد بن محمد بن الصدر، (٨١٥هـ)، (التبيان في تفسير غريب القرآن)، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ.

١١ –ابن تيمية، (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، تحقيق: علي بن حسن الألمعي وغيره، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

١٢ – ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (٧٢٨هـ)، **(مجموع الفتاوى)** تحقيق، أنور الباز– عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٣ –ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (٧٢٨هـ)، **(النبوات)**، المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٨٦هـ.

١٤ – ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (٧٢٨هـ)، **(جامع الرسائل)** تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٥ – ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، (٢٤١هـ)، **(مسند الإمام أحمد بن حنبل)**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٦ – ابن حبان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي، (٧٤٥هـ) **(البحر المحيط في التفسير)**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ .

١٧ – ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، **(الحجة في القراءات السبع)**، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ.

١٨ – ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر،(٦٨١هـ)، **(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت .

١٩ –ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، (٢٣٠هـ)، **(الطبقات الكبرى)** تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

٢٠ –ابن سلام، يحيى بن سلام (٢٠٠هـ)، **(تفسير يحيى بن سلام)**، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٢١ – ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (١٣٩٣هـ)، **(التحرير والتنوير)**، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٢٢ – ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، (٥٤٢)، (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٢٣ – ابن عقيل، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، (كتاب الفنون) تحقيق: جورج المقدسي دار المشرق، بيروت – عام ١٩٧٠م، تصوير: مكتبة لينة للنشر والتوزيع، دمنهور – عام ١٩٩١م.

٢٤ – ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، (**معجم مقاييس اللغة**)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٥ –ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب،(**إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**) ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٥هـ –١٩٧٥م.

٢٦ –ابن قيم الجوزية، (**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**)، دار الكتب العلمية – بيروت

٢٧ – ابن قيم الجوزية، أبوعبد الله محمد بن أبي بكر، (٧٥١هـ)، (**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**)، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٨ هـ– ١٩٧٨م.

٢٨ – ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله، (**الأمثال في القرآن الكريم**) تحقيق: إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة – طنطا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م.

٢٩ – ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (٧٥١هـ)، **(مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٣٠ – ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، (٧٥١هـ)، **(زاد المعاد في هدي خير العباد)**، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣١ – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (٧٧٤هـ)، **(تفسير القرآن العظيم)**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣٢ – ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، (٧٧٤ هـ) **(البداية والنهاية)**، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، هجر للطباعة والنشر – الجيزة، الطبعة: الاولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م

٣٣ – ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي، (٧١١هـ)، **(لسان العرب)**، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٣٤ – ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، (٢١٣هـ)، **(السيرة النبوية لابن هشام)**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧هـ – ١٩٥٥ م.

٣٥ – ابن همام، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، (مصنف عبد الرزاق)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ، ١٤٠٣هـ.

٣٦ أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، (٩٨٢هـ)، **(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٧ – أبو حبيب سعدي، **(القاموس الفقهي لغة واصطلاحا)**، دار الفكر. دمشق – سوريا الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨م.

٣٨ – أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، (سنن أبي داود)، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٣٩ أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (١٣٩٤هـ)، **(المعجزة الكبرى القرآن)** دار الفكر العربي.

٤٠ – أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، (١٣٩٤هـ)، **(زهرة التفاسير)**، دار الفكر العربي.

٤١ – الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، (١٤١٤هـ)، **(الموسوعة القرآنية)**، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ

٤٢ – الهرري، محمد الأمين بن عبد الله العلوي الشافعي، **(تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن)**، إشراف هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٤٣ – الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي،(المتوفى:٣٧٠هـ)، **(معاني القراءات للأزهري)**، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م.

٤٤ –الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (٣٧٠هـ)، **(تهذيب اللغة)**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٤٥ – اسماعيل، محمد بكر، (١٤٢٦هـ)، **(دراسات في علوم القرآن)**، دار المنار، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.

٤٦ – الأشقر، عمر سليمان، **(زبدة التفسير)**، ص٢٨٨، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

٤٧ – الأشقر، عمر سليمان، **(وليتبروا ما علو تتبيرا)**، دار النفائس، عمان،الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ–٢٠١٠م.

٤٨ – الأشموني، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفى: نحو ١١٠٠هـ)،**(منار الهدى في بيان الوقف والابتدا)**، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث – القاهرة، مصر، عام النشر: ٢٠٠٨م

٤٩ –الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي، (١٤٢٠هـ) **(صحيح الجامع الصغير وزياداته)**، المكتب الإسلامي.

٥٠ – الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، **(سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة)**، دار المعارف، الرياض–المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ– ١٩٩٢ م

٥١ -الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤٢٠هـ)،(**صحيح أبي داود**)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٥٢ - الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (١٢٧٠هـ)، (**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**)، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٣ - أمحزون، محمد، (**منهج دراسة التاريخ الاسلامي**)، دار السلام للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م.

٥٤ - أمحزون، محمد، (**منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة**)، دار السلام للطباعة والنشر- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

٥٥ - الآمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي،(٦٣١هـ)، (**الإحكام في أصول الأحكام**)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان

٥٦ - الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم ، (٣٢٨هـ)، (**الزاهر في معاني كلمات الناس**) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٥٧ - البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي،(٢٥٦هـ)، (**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

٥٨ – برغوت، عبد العزيز، **(ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية)**، بحث منشور في مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشرة، العدد ٤٩ ١٤٢٨ هـ– ٢٠٠٧ م .

٥٩ – البغا، مصطفى ديب، مستو محيى الدين، **(الواضح في علوم القرآن)**، دار الكلم الطيب – دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.

٦٠ – البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، (٨٨٥هـ)، **(مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)**، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.

٦١ – البنا، حسن، **(مجموعة الرسائل)**، دار الدعوة للطبع والنشر، الاسكندرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

٦٢ – البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (٦٨٥هـ) **(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٣ – البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **(شعب الإيمان)**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

٦٤ – الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، (٢٧٩هـ) **(الجامع الكبير – سنن الترمذي)**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.

٦٥ – الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، (٣٢٠هـ)، (**الأمثال من الكتاب والسنة**)، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون / دار أسامة – بيروت – دمشق.

٦٦ – التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه ، (المتوفى: ١٠٣٦ هـ)، (**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**)، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م.

٦٧ –التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع، (٢٨٣هـ)، (**تفسير التستري**)، حقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ.

٦٨ – الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، (٤٢٧هـ)، (**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٦٩ – جرار، بسام، (زوال اسرائيل ٢٠٢٢م نبوءة أم صدفة رقمية).

٧٠ – الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (٨١٦هـ)، (**كتاب التعريفات**) تحقيق وضبط جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

٧١ – الجرمي، إبراهيم محمد، (**معجم علوم القرآن**)، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٧٢ – جرير، (ديوان جرير)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

٧٣ –الجزائري، أبوبكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، **(أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير)**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٧٤ – الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد،(المتوفى: ٣٠٣هـ)،**(تاج اللغة وصحاح العربية)**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٧٥ – حبنكة، عبد الرحمن بن حسن، (١٤٢٥هـ)، **(البلاغة العربية)**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٧٦ – حجازى، محمد محمود، **(التفسير الواضح)**، دار النشر: دار الجيل الجديد.

٧٧ – الحلو، خالد، **(أتى أمر الله فلا تستعجلوه)**، دار الأسرة للنشر والتوزيع، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

٧٨ – حوّى، سعيد، (١٤٠٩هـ)، **(الأساس في التفسير)**، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ.

٧٩ – الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، **(لباب التأويل في معاني التنزيل)** دار الفكر – بيروت / لبنان –١٩٧٩م.

٨٠ – الخالدي، صلاح، **(حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية)**، منشورات "فلسطين المسلمة"، الطبعة: الثانية، لندن، ١٩٩٥م.

٨١ – الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد، (٤٦٣هـ)، **(تاريخ بغداد)**، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٨٢ – الخطيب، شريف الشيخ صالح أحمد، **(السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك)**، دار الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

٨٣ – الخطيب، عبد الكريم، (المتوفى: ١٣٩٠هـ)، **(التفسير القرآني للقرآن)**، دار الفكر العربي – القاهرة.

٨٤ – خليل، عماد الدين، **(التفسير الإسلامي للتاريخ)**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٨٥ – الخولي، البهي، **(بنو اسرائيل في الميزان)**، دار القلم، دمشق الطبعة: الأولى،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٨٦ – الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (٤٤٤هـ)، **(المقنع في رسم مصاحف الأمصار)**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٨٧ – الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عم، (٤٤٤هـ)، **(البيان في عدّ آي القرآن)** تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٨٨ –. دروزة، محمد عزت،**(التفسير الحديث)**، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ

٨٩ – الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (٧٤٨هـ)، (**تذكرة الحفاظ**)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م .

٩٠ – الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (٧٤٨هـ)، (**معجم الشيوخ الكبير للذهبي**)، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٩١ – الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (٧٤٨هـ)، (**سير أعلام النبلاء**)، ج١٨، ص١٢١، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ– ١٩٨٥م .

٩٢ – الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، (٦٠٦هـ)، (**التفسير الكبير = مفاتيح الغيب**)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٩٣ – الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (٥٠٢هـ)، (**المفردات في غريب القرآن**)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٩٤ – رضا، محمد رشيد بن علي، (١٣٥٤هـ)، (**تفسير المنار**)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٩٥ – الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (١٢٠٥هـ) (**تاج العروس من جواهر القاموس**)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٩٦ – الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، (٣١١هـ)، **(معاني القرآن وإعرابه)** تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩٧ – الزحيلي، محمد مصطفى، **(الوجيز في أصول الفقه الإسلامي)**، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

٩٨ – الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **(التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج)**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ١٤١٨هـ

١٠٠-- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **(التفسير الوسيط)**، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١٠١-الزرقاني، محمد عبد العظيم، **(مناهل العرفان في علوم القرآن)**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١٠٢-- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (٧٩٤هـ)، **(البرهان في علوم القرآن)**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.-

١٠٣-زكريا الأنصاري، بن محمد بن أحمد بن زكريا أبو يحيى السنيكي، (المتوفى: ٩٢٦هـ)، **(فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن)**، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م

١٠٤-زكي، رمضان خميس، **(مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم)**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م.

١٠٥-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (٥٣٨هـ)، **(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)**، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ .

١٠٦-الزهري، ابن شهاب،(المتوفى:١٢٤)، **(تنزيل القرآن)**، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الحديث – بيروت، الطبعة: الثانية ، ١٩٨٠م.

١٠٧-زيدان، عبد الكريم، **(السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية)**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٤م.

١٠٨--السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، (٦٤٣هـ)، **(جمال القراء وكمال الإقراء)** تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

١٠٩-السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (١٣٧٦هـ)، **(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١١٠-السكندري، ابن عطاء الله، **(الحكم العطائية)**،إعداد محمد عبد المقصود هيكل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

١١١-السَلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، (٧٩٥هـ)، **(جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم)**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١١٢-السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (٧٥٦هـ) **(الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)**، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١١٣-السويدان، طارق، **(فلسطين التاريخ المصور)**، دار الإبداع الفكري، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

١١٤-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (٩١١هـ)، **(الإتقان في علوم القرآن)**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

١١٥-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،(المتوفى: ٩١١هـ)،**(أسرار ترتيب القرآن)**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع

١١٦-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: ٩١١هـ)، **(الإتقان في علوم القرآن)** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

١١٧-الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي،(٧٩٠هـ)،**(الموافقات)** تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١١٨-الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، (٢٠٤هـ)، **(الرسالة)**، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ- ١٩٤٠م .

١١٩-شحاته، عبد الله محمود، **(أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

١٢٠-الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب،(٩٧٧هـ)، **(السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)**، مطبعة بولاق- القاهرة، ١٢٨٥ هـ.

١٢١-شرف الدين، جعفر، **(الموسوعة القرآنية خصائص السور)**، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

١٢٢-الشريف، عدنان، **(من علم الطب القرآني)**، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان الطبعة الخامسة، ٢٠٠١م.

١٢٣-الشعراوي، محمد متولي، (١٤١٨هـ)،**(تفسير الشعراوي)**، مطابع أخبار اليوم.

١٢٤-الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (١٣٩٣هـ)، **(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

١٢٥-الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

١٢٦-شهوان، راشد سعيد، **(تأصيل علم السنن الربانية)**، مجلة القسم العربي، العدد: الخامس عشر، ٢٠٠٨ م .

١٢٧-الصدر، محمد باقر، **(مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن)**، دار التوجيه الإسلامي، بيروت.

١٢٨-الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، (٣١٠هـ)، **(جامع البيان في آي تأويل القرآن)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٢٩-طنطاوي، محمد سيد، **(التفسير الوسيط للقرآن الكريم)**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

١٣٠-عاشور، مجدي محمد، **(السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم)**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

١٣١- عباس، فضل حسن، **(إتقان البرهان في علوم القرآن)**، دار الفرقان، عمان الأردن، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٣٢-عباس، فضل، **(الاسراء والمعراج دروس ونفحات)**، دار الفرقان، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٣٣-عبد الباقي، محمد فؤاد، **(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)**، دار الفكر للطباعة الطبعة: الرابعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٣٤-العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، **(فتح الباري شرح صحيح البخاري)**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ .

١٣٥-العلاونة، أحمد، **(ذيل الأعلام)**، دار المنارة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٣٦-عمر، أحمد مختار عبد الحميد، (١٤٢٤هـ)،(**معجم اللغة العربية المعاصرة**)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٣٧-العمرو، آمال بنت عبد العزيز، (**الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية جمع ودراسة**)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.

١٣٨-عويس، عبد الحليم، (**فقه التاريخ في ضوء أزمتنا الحضارية**)، دار الصحوة للنشر والتوزيع -القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٣٩-الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (٧٠٨هـ)، (**البرهان في تناسب سور القرآن**)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٤٠-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (٥٠٥هـ)، (**إحياء علوم الدين**)، تحقيق: الشحات الطحان، عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، مصر، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٤١-الغزالي، محمد، (**المحاور الخمسة للقرآن الكريم**)، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى .

١٤٢-الغزالي، محمد، (**عقيدة المسلم**)، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.

١٤٣-الغزالي، محمد، (**كيف نتعامل مع القرآن**)، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.

١٤٤-الغزالي، محمد، (**نظرات في القرآن الكريم**)، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.

١٤٥-الغلبزوري، توفيق بن أحمد، **(السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم)**، بحث مقدم للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، والمركز الغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية بتطوان، إبريل ٢٠٠٧م

١٤٦-الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (٨١٧هـ)، **(القاموس المحيط)**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٤٧-الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (٨١٧هـ)، **(البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة)**، دار سعد الدين للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٤٨-الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (٨١٧هـ)، **(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

١٤٩-القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق، (١٣٣٢هـ)، **(محاسن التأويل)**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ .

١٥٠-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، **(الجامع لأحكام القرآن)**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٥١-القطان، مناع بن خليل، (١٤٢٠هـ)، **(مباحث في علوم القرآن)**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٥٢-قطب، سيد، (١٣٨٥هـ)، **(في ظلال القرآن)**، دار الشروق - بيروت، القاهرة الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

١٥٣-القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي، (١٣٠٧هـ)، **(أبجد العلوم)**، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.

١٥٤-كنعان، أحمد، **(أزمتنا الحضارية في ضوء سنّة الله في الخلق)**، دار النفائس بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

١٥٥-كهوس، محمد رشيد، **(علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي)**، مركز جمعة الماجد للثقافة ولتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

١٥٦-كهوس، محمد رشيد، **(سقوط الأندلس من منظور السنن الإلهية)**، بحث منشور في مجلة الإبصار المغربية المحكمة السنة الثانية، العدد الثاني، ربيع الأول ١٤٣٦هـ- كانون أول ٢٠١٤ م.

١٥٧-كهوس، محمد رشيد، **(سنة الله في جهاد سيدنا رسول اللهﷺ)**، دار الحكمة، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢ م .

١٥٨-كهوس، محمد رشيد، **(طرائق استنباط السنن القرآنية)**، بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثامنة عشرة، العدد:٦٩، ربيع الثاني ١٤٣١هـ- آذار ٢٠١٠م.

١٥٩-الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ)، (**أدب الدنيا والدين**)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

١٦٠-الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب،(٤٥٠هـ)،(**النكت والعيون**)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١٦١-مجمع اللغة العربية، (**معجم ألفاظ القرآن الكريم**)، القاهرة – مصر، الطبعة: الثانية ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.

١٦٢-مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، (**الموسوعة القرآنية المتخصصة**)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٦٣-مجموعة من العلماء، (**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**)، إشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م.

١٦٤-المراغي، أحمد بن مصطفى، (١٣٧١هـ)، (**تفسير المراغي**)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٦٥-مسلم، أبو الحسن ابن الحجاج النيسابوري، (٢٦١هـ)، (**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله**ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٦-مسلم، مصطفى، (**مباحث في التفسير الموضوعي**)، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١٦٧-المغربي أيمن بن نبيه، **(السنن الإلهية السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعًا ودراسة)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير إشراف ا. د محمد بن عمر بازمول، ١٤٢٧هـ.

١٦٨-المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، (المتوفى: ٦٥٦هـ)، **(مختصر صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٦٩-الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، (٥١٨هـ)، **(مجمع الأمثال)**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.

١٧٠-الناصري محمد المكي، (١٤١٤هـ)، **(التيسير في أحاديث التفسير)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

١٧١-نوفل،أحمد، **(تفسير سورة الإسراء دراسة تحليلية موضوعية)**، جمعية المحافظة على القرآن الكريم ،عمان، الأردن ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م

١٧٢-نوفل، عبد الرزاق، **(الإعجاز العددي للقرآن الكريم)**، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الخامسة،١٤٠هـ -١٩٨٧م

١٧٣-النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (٨٥٠هـ)، **(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

١٧٤-الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (المتوفى: ٨٠٧هـ) **(مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م

١٧٥-هيشور، **(سنن التداول ومآلات الحضارة)**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٧٦-الوزير، إبراهيم بن علي، **(على مشارف القرن الخامس عشر الهجري)**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٧٧-ياسين، عبد السلام، **(سنة الله)**، مطبعة الخليج العربي - تطوان، الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٧٨-ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، أبو عبد الله، (المتوفى: ٦٢٦هـ)،**(معجم البلدان)**، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م

المصادر الألكترونية:

١٧٩-موقع اسلام ويب، محاضرة الشيخ الألباني بعنوان،" **الاجتهاد** والإفتاء"t**www.islamweb.net**

١٨٠- شبكة الألوكة، الحقيل، إبراهيم بن محمد، سنن الله في خلقه **(النعم والنقم)** www.**alukah.net**

١٨١- أرشيف المجلس العلمي، من موقع الألوكة، www.majles.alukah.net

١٨٢-الفقهاء، محمد،**(سلسلة المكر في القرآن الكريم)** ، شبكة الألوكة الشرعية **www.alukah.net**

الحمد لله

الذي بنعمته تتم الصالحات